السلسلة البوليسية الأكثر مبيعًا عالميًّا

بنجامين ستيفنسن

EVERYONE ON THIS TRAIN IS A SUSPECT

كل شخص في القطار يخفي شيئًا ما

الجزء 2

ترجمة: إسراء محمود



مكتبة ياسمين

رواية

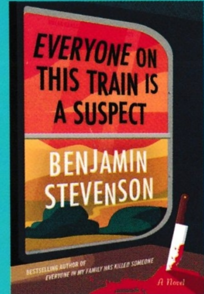
كل شخص في القطار يخفي شيئًا ما





عندما دعاني نادي كُتاب الأدب البوليسي الأستراليين إلى مهرجانهم لأدب الجريمَّة على متن قطار جان الشهير الذي يربط بين مدينتي داروين وأديلايد، كنت آمل في بعض الإلهام لكتابي الثاني: رواية هذه المرة. كنت بحاجة إلى استراحة من قتل الناس الحقيقيين بعضهم بعضًا. كما هو واضح، لم أفلح في ذلك.

تألف البرنامج من نخبة من نبلاء أدب الجريمة:



كاتب مبتدئ (أنا!).
كاتب علوم الطب الشرعي.
كاتب الأعمال المكتسحة.
كاتب الروايات القضائية المثيرة.
كاتب الأدب.
كاتب التشويق النفسي.

ولكن عندما يُقتل أحدُنا، يتحول بقية الكُتاب إلى خمسة محققين. معًا، يجب أن نعرف كيف نحلَّ جريمة. وبالطبع، يجب كذلك أن نعلم كيف نرتكب جريمة.

أنى لك أن تكتشف القاتل في حين أن كل المشتبه فيهم يعرفون جيدًا كيف يفلتون من الجريمة؟

تصميم الغلاف كريم آدم



www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

كل شخص في القطار يخفي شيئًا ما





- العنوان الأصلي:
Everyone On This Train Is A suspect
- العنوان العربي: كل شخص في القطار يخفي شيئًا ما

- تأليف: بنجامين ستيفنسن
- ترجمة: إسراء محمود
- تحرير: أحمد حسين
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: يناير/ 2025م
- رقم الإيداع: 2024/32639م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-488-5



السلسلة البوليسية الأكثر مبيعًا عالميًا

بنجامين ستيفنسن

EVERYONE ON THIS TRAIN IS A SUSPECT

كل شخص في القطار يخفي شيئًا ما

ترجمة: إسراء محمود



رواية

لا بد من محقق واحد فقط. بمعنى، شخصية واحدة تقود خيوط التحقيق، إله واحد يحل المعضلة. يجمع عقول ثلاثة أو أربعة، أو أحيانًا عصبة كاملة من المحققين معًا، لحل لغز ما، لا يشتت الاهتمام ويفكك خيط المنطق فحسب، بل يستغل القارئ استغلالًا جائرًا. إذا تعدد المحققون، فلن يعرف القارئ من الذي يشاركه استنتاجاته. الأمر كما لو تجبر القارئ على خوض سباق تناوب.

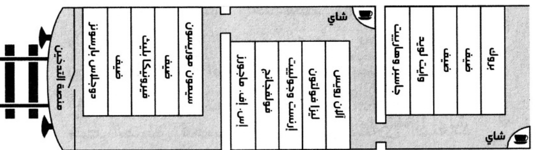
القاعدة التاسعة من القواعد العشرين لإس.إس. فان داين

لكتابة الروايات البوليسية

الجزء الثاني هو اعتراف بأنك أصبحت مجرد مقلد لنفسك.

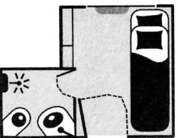
دون ماركيز

تصميم قطار الغان

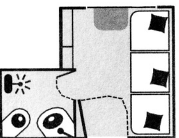








المقصورة في الليل



المقصورة في النهار



برنامج مهرجان كُتَّاب أدب الغموض الأستراليين في دورته الخمسين

يرحب مهرجان كُتَّاب أدب الغموض الأستراليين ترحيبًا خاصًّا بضيف شرف المهرجان:

هنري ماكتافش، صاحب السلسلة الأكثر مبيعًا عالميًّا عن المحقق موربند. قالت عنها النيويورك تايمز: «عمل استثنائي لا يمكنك أن تضعه من يدك. إن ماكتافش لا يضاهى».

إرنست كانينجهام: مذكرات إرنست كانينجهام بعنوان «كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما» أخذتنا إلى أعماق قصة أحد أشهر القتلة المتسلسلين في أستراليا، المعروف باسم «اللسان الأسود». وهو يعمل حاليًّا على كتابة رواية جديدة.

ليزا فولتون: هزت رواية ليزا فولتون الأولى الأكثر مبيعًا بعنوان «توازن العدالة» أسس أدب الجريمة عند صدورها قبل واحد وعشرين عامًا بغضبها المشتعل وحقائقها القاسية، وأُدرجت في القائمة الطويلة لجائزة «العدالة في الأدب» وجائزة النساء لعام 2003. تعمل حاليًّا على كتابة روايتها الثانية التي طال انتظارها.

إس إف ماجورز: أثارت روايات الإثارة والتشويق لإس إف ماجورز إعجاب العالم بتعقيداتها النفسية والتقلبات المثيرة. تشمل كتبها الرواية الأكثر مبيعًا في نيويورك تايمز «الالتفافات والمنعطفات»، والتي اختيرت لتحويلها إلى فيلم من قبل شبكة نتفليكس. كما يجري تحويل روايتها الشبابية «زميلي في المختبر قاتل متسلسل» إلى مسرحية موسيقية على برودواي. نشأت وهي تعيد قراءة الكتب الثلاثة الوحيدة في مكتبة مدرستها الصغيرة، وتعيش الآن في جبال بلو مع حبيبها وكلبيها.

آلان رويس: آلان رويس هو مؤلف سلسلة الدكتورة جين بلاك، التي تضم إحدى عشرة رواية وثلاث روايات قصيرة. عمل سابقًا طبيبًا شرعيًّا قبل أن يحقق شهرة كبيرة في أدب الجريمة، ويجلب خبرته في المشرحة وتشريح الجثث إلى صفحات كتبه. «واقعي، قاسٍ وغير متساهل. كاتب يجب متابعته» مجلة تايم، 2011.

فولفجانج: فائز بجائزة كُتَّاب الكومنولث لعام 2012؛ مرشح في القائمة القصيرة لجائزة «اختيار القراء» لعام 2012؛ مرشح في القائمة القصيرة لجائزة «أفضل كتب أمازون» لعام 2012؛ مرشح في القائمة القصيرة لجائزة «العدالة في الأدب» لعام 2003 (حصل على استثناء خاص)؛ مدرج في القائمة الطويلة لجائزة «مايلز فرانكلين» لعام 2015؛ ومدرج في القائمة الطويلة لجائزة «اختيار المكتبات المستقلة» لعام 2015؛ جائزة «أرشيبالد باكر» لعام 2018؛ حصل على ذِكر فخري في جائزة الشعر الدولية لمنطقة المحيط الهادئ لعام 2020. يعمل حاليًّا على مشروع فني تفاعلي بعنوان «موت الأدب».

تمهيد

من: ECunninghamWrites221@gmail.com

إلى: @penguinrandomhouse.com.au

الموضوع: تمهيد

مرحبًا..

آسف أنني أرفض التمهيد رفضًا قاطعًا. أعلم أنه أمر شائع في روايات الجريمة، لكي تشد انتباه القارئ وكل ذلك، ولكن الأمر فقط أنه يبدو مبتذلًا قليلًا هنا.

أعلم كيف أفعل ذلك، بالطبع، ذلك المشهد الذي تريدونني أن أكتبه. عين خفية ما ستشهد تدمير المقصورة وعلامات الدمار الذي نزل بها: الملاءات المتناثرة، الفراش المقلوب، أثر اليد الدامية على باب الحمام. إضافة تلميحات عابرة عن الأدلة، كثلاث كلمات خُطت على عجل بالحبر الأزرق على مخطوطة ما، تتعارض مع فوهة سلاح الجريمة الذي يقطر بالدم القاني، بما يكفي من الإثارة والغموض بحيث لا يحرق الأحداث.

ستكون الصورة الأخيرة للجثة مطموسة الوجه بالطبع. إذ ينبغي ألا يعرف القارئ الضحية في البداية. ربما رشَّة من التفاصيل البسيطة، غرض شخصي كقطعة ملابس (مثل الشال الأزرق مثلًا، لست واثقًا) يمكن أن يقتفي القارئ أثره مع تصاعد الأحداث.

هذا هو الأمر وما فيه: الكتاب والدم والجثة. الجزرة المتدلية أمام عيني الحمار. انتهى التمهيد.

ليس الأمر أنني لا أثق في تقديركم التحريري. الأمر فقط يبدو لي غير ذي جدوى أن أعرض مشهدًا من جزء متقدم من الكتاب بغرض التشويق فحسب. وكأننا نقول: «أهلًا، نعرف أن قراءة هذا الكتاب تستغرق وقتًا، ولكنك ستصل إلى هذا». وما على القارئ المسكين إلا أن يسعى للوصول إلى ذلك المشهد حتى نصل إلى الجريمة.

حسنًا، هذا المشهد هو الجريمة الثانية على أي حال، ولكنكم تفهمون قصدي.

تحياتي

إرنست.

ملاحظة: بعد ما حدث، أظن أن من الواضح أنني سأحتاج إلى وكيل أدبي جديد. سأتواصل معكم من أجل ذلك.

ملاحظة ثانية: أجل، علينا أن نضيف برنامج المهرجان. أظن أنه يحوي الكثير من الأدلة المهمة.

ملاحظة ثالثة: سؤال نَحوي، أجد أن من المضحك أن عنوان رواية جريمة على متن قطار الشرق السريع يكتب هكذا، على اعتبار أن كل جرائم القتل تحدث في القطار ليس *عليه*. تبدو جريمة *على* نهر النيل

صحيحة أكثر، في ظني، على اعتبار أن أحدًا لم يغرق. ولكن على الرغم من ذلك، من الشائع بالطبع أن تقول إنك على متن قطار أو طائرة. إنني أجبر الفكرة، ولكن أظن سؤالي هو: هل سنجعل العنوان *في القطار* أم *على متن القطار*؟ مع العلم أن معظم جرائم القتل، بالطبع، تحدث في القطار، بالطبع عدا ما يحدث على السطح، هنا يمكننا أن نقول على. باستثناء شريك الرجل العجوز وأولئك الذين ماتوا معه، ولكن هذا استرجاع للذاكرة.

هل أبدو منطقيًّا؟

إلى جيري كالاجيان الذي غير حياتي.

مذكرات

الفصل الأول

ها أنا أكتب مجددًا. وهو ما أظنه خبرًا جيدًا لمن رغبوا في جزء ثانٍ، ولكنه أمر مؤسف لأولئك الذين توجب أن يموتوا حتى يتسنى لي كتابته.

أبدأ هذا العمل من داخل مقصورتي على متن القطار، إذ أريد أن أدون بضعة أشياء قبل أن أنساها أو أبالغ فيها. لقد توقفنا، ليس في المحطة، ولكننا فقط متوقفون على القضبان على بعد ساعة من أديلايد. تبدلت الصحراء الحمراء الشاسعة في الساعات الأربع الأخيرة إلى حزام من القمح الذهبي أولًا ثم إلى حظائر مزارع الألبان بلونها الأخضر اليانع، ليستحيل الأفق المنبسط إلى محيط من العشب المتراقص، تحفِّزه تيارات بطيئة وثابتة من الرياح. كان من المفترض أن نكون في أديلايد الآن، ولكننا اضطررنا إلى أن نتوقف لكي تتمكن السلطات من إخلاء الجثث. أقول إخلاء، ولكنني أظن أن التأخير مردَّه الأساسي أنهم يواجهون مشكلة في إيجادها. أو على الأقل الأشلاء كلها.

هأنذا أستبق الأحداث.

أخبرتني ناشرتي أن السلاسل خادعة. هناك قواعد محددة ينبغي اتباعها، كخلق قصة تصلح لمن قرأوا لي من قبل ولأولئك الذين لم

يسمعوا بي قط. قيل لي إنني لا أريد أن أُضجر قرائي القدامى، وفي الوقت نفسه لا أريد أن أفوِّت أي شيء قد يربك القراء الجدد. لست واثقًا أي واحد أنت، لذلك فلنبدأ من هنا:

اسمي إرنست كانينجهام، ولقد فعلت هذا من قبل. أقصد أنني كتبت كتابًا. ولكنني أيضًا حللت سلسلة من جرائم القتل.

حدث الأمر على نحو طبيعي جدًّا حينذاك. أقصد الكتابة، وليس الوفيات، والتي كانت أسبابها هي المعنى المعاكس للطبيعي بالطبع. من بين الناجين، ارتأيت أنني أفضل من يحكي القصة، إذ إن لديَّ شيئًا يمكن أن نتكرم ونسميه «خبرة» في مجال الكتابة بالفعل. اعتدت كتابة كتب عن كيفية كتابة الكتب، عن قواعد كتابة الألغاز، لأكون دقيقًا. وقد كانت كتيبات أكثر منها كتبًا، لو كنت مصرًّا على الأمانة. نشرتها ذاتيًّا على الإنترنت، بدولار للنسخة الواحدة. ليس ذلك بحلم كل الكتَّاب، ولكنه عُدَّ رزقًا. ثم عندما حدث كل شيء العام الماضي فجأة ودقت وسائل الإعلام بابي، ظننت أن ربما يمكنني أيضًا أن أطبق بعضًا مما عرفته وأحاول كتابة كل شيء. بالطبع استعنت بالمبادئ الإرشادية للعصر الذهبي لروايات الجريمة التي وضعها كُتَّاب مثل أجاثا كريستي وآرثر كونان دويل وبالأخص رجل يدعى رونالد نوكس، الذي كتب «الوصايا العشر للأدب البوليسي». ليس نوكس الشخص الوحيد الذي وضع مجموعة من القواعد، العديد من الكتاب على مر السنين لهم تجربة في تحويل لغز جريمة إلى مخطط دراسي. حتى هنري ماكتافش له مجموعة قواعد.

إذا كنت تظن أنك لا تعرف قواعد كتابة ألغاز الجريمة بالفعل، صدقني، إنك تعرفها. الأمر بديهي جدًّا. دعني أعرض لك مثالًا. إنني أكتب هذه الرواية بصيغة المتكلم. ذلك يعني، من أجل أن أجلس وأكتب

عنها بنفسي، أنني أنجو من أحداث الكتاب. صيغة المتكلم تعني النجاة. أعتذر مقدمًا عن قلة التشويق عندما أكاد ألقى حتفي في الفصل الثامن والعشرين.

القواعد بسيطة: لا ماورائيات، ولا ظهور مفاجئ لتوأم متطابق، يجب أن يُعرَّف بالقاتل من البداية (في الحقيقة، لقد فعلت ذلك بالفعل ونحن لم نتخطَّ الفصل الأول بعد، ولكن أتوقع أنك ربما تخطيت التمهيد) وأن تكون شخصية رئيسية بما يكفي للتأثير في الحبكة. تلك النقطة الأخيرة مهمة. لقد ولَّت تلك الأيام التي يرتكب فيها الخادم الجريمة، فمن أجل لعبة عادلة، لا بد أن يكون للقاتل اسم يتردد بكثرة. ولكي أثبت هذه النقطة، سأخبرك أنني أستخدم اسم القاتل، بكل صيغه، مئة وست مرات بالضبط هنا. والأمر الأهم، أن خلاصة القواعد كلها تُختزل في هذه الجملة: لن تَخفى أي حقائق واضحة عن القارئ مطلقًا.

لهذا السبب أتحدث إليك هكذا. إنني، ربما لاحظتَ هذا، أكثر ثرثرة من المحقق المعتاد في هذا النوع من الكتب. هذا لأنني لا أنوي إخفاء أي شيء عنك. فاللعب في هذا اللغز لعب نزيه رغم كل شيء.

لهذا أعدك بأن أكون هذه الحالة النادرة في روايات الجريمة المعاصرة، بأن أكون راويًا أمينًا. يمكنك أن تعتمد عليَّ في إِطْلَاعِكَ على الحقيقة عند كل منعطف. بلا خداع. كما أعدك بأن أستخدم الجملة المفزعة: «ذلك كله كان حلمًا» مرة واحدة فقط، وحتى حينها أعتقد أنها ستكون مبررة في السياق.

مع الأسف، لم يخطر لأي كاتب أن يخط على عجل أي قواعد خاصة بكتابة السلاسل (كونان دويل ومتعته الشهيرة في قتل شيرلوك هولمز، ثم اضطراره آسفًا إلى إعادته مرة أخرى فقط من أجل المال) لذلك

سأخوض الأمر بمفردي هنا. لا أستمد المساعدة سوى من ناشرتي، التي بدا أنها تأتي بنصائحها من قسم التسويق.

كانت نصيحتها الأولى أن أتجنب التكرار. ذلك منطقي جدًّا، فلا أحد يريد أن يقرأ الحبكات القديمة نفسها وهي يُعاد إحياؤها مرة بعد أخرى. أما نصيحتها الثانية، فكانت ألا أقدم كتابًا مختلفًا بالكامل عن الكتاب الأول، إذ إن القراء سيتوقعون المزيد من المثل. دعني أكرر، لست أملك أي سيطرة على أحداث الكتاب. أنا فقط أكتب ما حدث، لذا فهاتان قاعدتان من الصعب اتباعهما. سأوضح أن وجه الشبه غير المقصود والوحيد هي المصادفة الغريبة في أن كلتا القضيتين كان حلهما علامة ترقيم. كانت العام الماضي نقطة. هذه المرة، فاصلة ستنقذ الموقف.

وأي نوع من كتب الغموض سيكون هذا الكتاب لو لم يكن لدينا تلاعب لفظي أو شفرة أو أحجية واحدة على الأقل؟ ستجد كل هذا هنا أيضًا.

نبهتني ناشرتي كذلك أن أهتم بأكثر الأجزاء إثارة في الكتاب السابق والتي ستجعل القراء يرغبون في شراء هذا الكتاب أيضًا، ولكن من دون حرق النهاية. تُسمي ذلك «التسويق الطبيعي». اتضح أن السلاسل تتمثل في فعل أمرين معًا: أن تكون جديدة ومألوفة في الوقت نفسه.

أنا بالفعل أكسر تلك القواعد السابق ذكرها. يُفضِّل روائي العصر الذهبي لأدب الغموض إس.إس فان داين أن تحل الجريمة شخصية واحدة. هذه المرة، لدينا خمسة محققين طموحين. ولكنني أظن أن هذا ما يحدث عندما تضع ستة كتاب جريمة في الغرفة نفسها. أقول ستة كتاب وخمسة محققين لأن واحدًا منهم هو ضحية الجريمة. ليست ذات الشال الأزرق، بل الشخص الآخر.

أتخيل أن فان داين يتقلب في قبره الآن، عدا أن ذلك سيكسر القواعد العامة للخوارق. إذن فإنه سيكون راقدًا في سبات تام، ولكنه خائب الأمل بالقدر نفسه.

دعني أكرر من فضلك، لست من يقرر ما القواعد التي يجب كسرها بينما أدون ببساطة ما حدث. يمكن لأيٍّ كان أن يخمن كيف أقحمت نفسي في لغز آخر كالمتاهة، والأشخاص أنفسهم الذين اتهموني باستغلال قاتل مأجور يستهدف عائلتي الكبيرة واحدًا تلو الآخر في الكتاب السابق (التسويق الطبيعي، أترى؟) على الأرجح سيتهمونني بالأمر نفسه هنا. أتمنى لو لم يحدث ذلك، لا الآن، ولا حينذاك.

كما أن الجميع يكرهون السلاسل؛ عادة ما تُتَّهم بأنها تقليد ضعيف لما سبق. مع العلم أن الجرائم السابقة حدثت على جبل ثلجي وهذه حدثت في الصحراء، النكتة هنا على أولئك المعارضين، أن هذه الرواية لن تكون تقليدًا ضعيفًا، إذ إنني على الأقل اكتسبت بعض السُمرة.

حان الوقت لكي أدعم نواياي الحسنة بصفتي راويًا أمينًا. يتضمن سجل الجرائم المرتكبة في هذا الكتاب: القتل والشروع في القتل والاغتصاب والسرقة والاعتداء والتلاعب بالأدلة والمؤامرة والابتزاز والتدخين في المواصلات العامة والنطح (أظن أن اللفظ البليغ هو التهجم) والسطو (نعم، هذا مختلف عن السرقة) والاستخدام غير السليم للعبارات الظرفية.

إليك المزيد من الحقائق. سبعة كُتَّاب على متن قطار. ببلوغ نهاية الخط، خمسة فقط سيغادرونه أحياء. واحد سيكون مكبلًا بالأصفاد.

عدد الأجساد: تسعة. أقل بقليل من المرة السابقة.

وأنا؟ لن أقتل أي أحد هذه المرة.

فلنبدأ مجددًا.

الفصل الثاني

كان الفزع المتمثل في شهود واقعة جريمة قتل كاتب زميل (إعدام، يمكنني القول) أقل مما شعرت به عندما لمحتني وكيلتي الأدبية على رصيف القطار المزدحم بينما تشق طريقها عبر الحشود، وسألتني: «ما أخبار الكتاب الجديد؟».

سيمون موريسون هي آخر شخص توقعت رؤيته في محطة بريما، داروين، إذ إن مكتبها يبعد أربعة آلاف كيلومتر عن هنا. لقد أحضرت ملبورن معها، مرتديةً معطفًا كان مزيجًا هزليًّا من معطف أمطار ومعطف منتفخ مبطَّن. ولكن مع ذلك، فقد كانت أحسن هندامًا مني. ارتديت شورتًا وقميصًا بكم قصير كنت قد ابتعته من متجر أدوات صيد كونه قطعة «مكيفة». لطالما اقتنعت أنها قطعة ملابس أقل من العادية، ولكني اشتريتها على أي حال. كانت المشكلة، في حين أن رحلتنا كان من المعلن أنها ستبدأ عند شروق الشمس، أنني افترضت مخطئًا أن الحرارة اللافحة للمناخ الاستوائي للمنطقة الشمالية ستكون دائمة في جميع الأوقات، من ضمنها وقت الفجر.

ذلك لم يحدث.

على الرغم من أن الضوء قد طلع الآن، كنا على الجانب الغربي من القطار الذي يشبه ثعبانًا قصديريًّا منزلقًا يسد الأفق كله، لذا لم يكن شعاع شمس خافت كافيًا ليبعث الدفء، على الشمس أن تبذل جهدًا كبيرًا حقًّا. كان الجزء الوحيد الدافئ مني هي يدي اليمنى، التي كانت قد سُلخت في خضمِّ جرائم العام الماضي وشُفيت جزئيًّا فقط، بفضل تطوع سخي من مؤخرتي اليسرى، إذ كنت أرتدي فردة قفاز واحدة مبطنة لكي تحمي الجلد الحساس أسفلها. بشكل عام، كان مظهري يليق برحلة إلى الحديقة الجوراسية أكثر من رحلة بالقطار، ووجدتني في الوقت نفسه أتمنى من الشمس أن تسرع وأحقد على الشال الصوفي الأزرق الوثير الذي يحيط بعنق سيمون.

قلت إن مكتب سيمون يقع في ملبورن، ولكن لم يسبق لي زيارته قط. على حد علمي، فإنها تدير معظم أعمالها من ركن ما في أحد المطاعم الإيطالية في المدينة. لقد ساعدت الطباخ هناك في نشر كتاب طبخ ذات مرة، والذي لاقى نجاحًا كافيًا لكي يوفر له برنامجًا تلفزيونيًّا، وقد كوفئت على هذا بحجز دائم وضمان إدمانها على الكحول. في كل مرة أقعد على الكرسي الأحمر الناري قبالتها، كانت سيمون ترفع إصبعًا بينما تنهي كتابة بريد إلكتروني على حاسوبها (تنقر بأظافرها المطلية بعنف لدرجة أشعرتني بالشفقة على الشخص الذي تراسله)، ثم تأخذ رشفة من قهوتها المرَّة الداكنة كالقطران. (وبقعة وردية فاقعة على الكوب الخزفي، ولكنها، في إشارة واهية إلى معايير غسل الأطباق في المكان، دائمًا تطلي شفتيها بالأحمر)، ثم تقول، متجاهلة تمامًا حقيقة أنها كانت تستدعيني في كثير من الأحيان: «أرجوك قل لي أخبارًا جيدة». هي تعشق الأكتاف المبطنة وتبييض الأسنان والتنهُّدات الثقيلة والأقراط الدائرية، لا يشترط هذا الترتيب.

على الرغم من كل هذا، لا يمكنني أن أجحد قدراتها. تقابلنا للمرة الأولى بعد توقيع عقد الناشر لرواية *كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما*، عندما دعتني على الغداء وطلبت مني أن أحضر العقد معي. جلست حينها في صمت بينما راحت تقلِّب صفحات العقد وتشد خطًّا أسفل بعض النقاط وتتأفف بتجسيدات كثيرة فيما معناه: «غير معقول» قبل أن تتذكر أنني موجود أيضًا، ثم تسند ظهرها وتقول: «هذا توقيعك؟ أعني، لم يزوره أحد أو أي شيء؟ هل قرأت ووافقت على...». تعقد حاجبيها بينما تهزُّ الصفحات، وتقول: «على هذا؟».

أومأتُ مؤكدًا.

- أنا مندهشة أنك تستطيع كتابة الكتب، لأنك لا تستطيع القراءة بكل تأكيد. أنا أتقاضى خمسة عشر بالمئة.

لم أستطع أن أحدد إذا كان ذلك عرضًا أم إهانة. أعادت تركيزها إلى الحاسوب، لذا شعرت أنني منبوذ ونهضت عن الكرسي البلاستيكي، لم أتخيل أنني سأسمع منها مجددًا. بعد أسبوع، وصلتني وثيقة تعرب عن اهتمام ناشر ألماني وحتى بعض الأشخاص الذين يودون إجراء مقابلة تليفزيونية إلى صندوق رسائلي. كان هناك أيضًا عرض لكتاب جريمة جديد. قصة خيالية هذه المرة.

هي لم تسألني، ولم أبدِ أي اهتمام بكتابة رواية، ولم تكن لدي أدنى فكرة عما قد أكتبه. والفكرة أنني يجب أن أكتبه بسرعة. لكني سأعترف أنني كنت معميًّا بما سبق ذكره -لقد كان أفضل بكثير عما عُرض عليَّ قبلًا- لذا فقد قبلت. كما أنني فكرت حينها أنه قد يكون تغييرًا لطيفًا عن الكتابة عن أشخاص حقيقيين يقتلون بعضهم بعضًا.

كما هو واضح، ذلك لم يفلح.

كنت أعلم أن سيمون جادة في عملها، بل جادة جدًّا ربما، ولكنني فكرت لو أن الناشرين يخشونها نصف ما أخشاها، فعليَّ أن أكون ممتنًّا لأنها إلى جانبي. وبالطبع، كنت أتملص من رسائلها ومكالماتها للسؤال عن الرواية طيلة أشهر. ولكن أن تلحق بي إلى داروين بدا مبالغًا فيه. على أي حال، أن تسأل كاتبًا عن أخبار كتابه الجديد كأن تلاحظ أحمر شفاه على ياقة قميصه. حقًّا ليس ثمة أي فائدة من هذا السؤال، لا أحد يجيب بصراحة أبدًا.

قلت: «جيد جدًّا».

أجابت سيمون: «بهذا السوء، هاه؟».

وقفت جولييت، حبيبتي، إلى جانبي، ممسكة بذراعي في شفقة.

- إن كتابة الرواية.. أصعب مما تخيلت أنه قد يكون.

قالت سيمون: «لقد أخذت مالهم. *أخذنا* مالهم». راحت تفتش في حقيبة يدها، وأخرجت سيجارة إلكترونية، ونفخت قائلة: «أنا لا أعيد عمولتي، كما تعلم».

في الحقيقة أنا لم أكن أعلم هذا. قلت: «إذن فقد قطعت كل هذه المسافة لتضايقيني؟».

نفثت دخانًا برائحة التوت البري، وقالت: «لا يدور كل شيء حولك يا إرن. متى تطرق الفرص بابي، أجيب».

قاطعتنا جولييت: «وأي مكان أفضل من قلب الصحراء لكي تحيطي ببعض الذبائح».

أطلقت سيمون ضحكة، بدت معجبة أكثر من شعورها بالإهانة. كانت تحب أن يتحداها أحدهم، كنت فقط أفتقد الثقة لأفعل هذا. لكن جولييت كانت دائمًا تمنحها المزاح القتالي الذي تحبه. تقدمت سيمون

وعانقت جولييت في واحد من تلك الأحضان التي تبقي فيها الشخص مسافة ذراع، كما لو كانت تمسك بطفل يتبول، وقبلة في الهواء على كلا الخدين. قالت: «لطالما أعجبت بك يا عزيزتي. إنك تجرحينني، ولكن بالحقيقة. هل أفهم ذلك على أنك ما زلت لا تحتاجين إلى وكيل؟».

- تابعي بحثك. أنا سعيدة بحالي.

قالت: «لديك رقم هاتفي». هذه كذبة من دون شك، لأن حتى *أنا* ليس معي رقمها. اتصلت بي برقم خاص، وليس العكس.

قاطعتهما قائلًا: «ليست لدي تذكرة من أجلك، جولييت ترافقني. كيف سمحوا لك بركوب الحافلة أصلًا؟ آسف أنك قطعت كل تلك المسافة..».

قالت سيمون ساخرة: «أنا لا أركب الحافلات. ولدي الكثير من العملاء غيرك يا إرن. لقد تولى وايت الأمر». أدارت رأسها حول الرصيف، وسألت: «أين الآخرون؟».

لم أكن أعلم من يكون وايت، ولكن أوحت نبرة صوتها بأن تلك كانت مشكلتي. لم يبدُ الاسم كأحد الكتاب الذين رأيتهم في برنامج الرحلة. ولكني أيضًا لم أقرأ الكثير من الكتب، فقط تصفحتها سريعًا، وحكم عليها أن تظل مكدسة فوق الكومودينو. لو أن أكبر كذبة للكاتب أنه يمضي على نحو جيد في كتابته، فإن كذبته الثانية أنه قرأ نصف الكتاب الجديد لكاتب آخر.

تذكرت أن هناك خمسة مؤلفين آخرين ضمن برنامج مهرجان كُتَّاب أدب الجريمة الأستراليين. اختيروا بعناية من قبل المهرجان من أجل تغطية، كما وصف الموقع الإلكتروني، كل جوانب أدب الجريمة المعاصر. تضمَّن البرنامج ثلاثة كتَّاب جريمة مشاهير، غطت أعمالهم الأنواع الأدبية التي تتناول الطب الشرعي والإثارة النفسية والدراما القضائية، وأيضًا أديب شهير كان قد تأهل إلى القائمة القصيرة لجائزة

كُتَّاب الكومنولث، والعنصر الأهم لجذب الجماهير، الظاهرة الاسكتلندية والكاتب صاحب سلسلة المحقق موربند، هنري ماكتافش، الذي حتى أنا أعرفه فقط من اسمه. ثم هناك أنا، أمارس رياضة رفع الأحمال في مجال الأنشطة المزدوجة لأعمال الظهور الأول والأعمال غير الأدبية، لأن كتابي الأول صُنِّف توثيقًا لجريمة حقيقية. كتبت جولييت أيضًا، وهي المالكة السابقة للمنتجع الجبلي حيث وقعت جرائم قتل العام الماضي، كتابًا عن الأحداث، ولكنها هنا بصفتها ضيفتي. حتى إن مبيعات كتابها كانت أفضل من كتابي، وسأعترف أنها تكتب أفضل بكثير مني. لكنها أيضًا ليست لديها صلة قرابة بقاتل متسلسل، هذا النوع من الشهرة لا يُشترى، لذا فكانت الدعوات مثل هذه من نصيبي أنا.

إذا كنت مستغربًا من أننا متجمهرون في محطة قطار بينما تُعقد المهرجانات الأدبية عادة في المكتبات أو قاعات المدارس أو أي غرفة صادف أن تكون فارغة في مقر جمعية العائدين والخدمات[1] بما يكفي لاستضافة مهرجان بعنوان: *تبًّا، لقد نسينا تمامًا أن لدينا حديثًا أدبيًّا اليوم*، فإنك محق. ولكن هذا العام، في الاحتفال بالذكرى الخمسين لتأسيسه، تقرر أن يُعقد المهرجان على متن الغان، خط القطار الأشهر الذي يقطع صحراء أستراليا الشاسعة حتى نصفها تقريبًا. كان في الأصل خطًّا تجاريًّا، والاسم هو اختصار لـ «القطار الأفغاني السريع»، تكريمًا للمستكشفين الأستراليين القدامى راكبي الجمال، الذين قطعوا الصحراء الحمراء طولها وعرضها من قبل القضبان الفولاذية والمحركات البخارية. ولإيصال الفكرة، زُينت جوانب العديد من العربات بظل أحمر لرجل يرتدي عمامة ويمتطي جملًا.

(1) أو Returned and Services League، RSL، جمعية تأسست لدعم الجنود العائدين من الحرب العالمية الأولى وعوائلهم، أنشأت شبكة من النوادي المرخصة في جميع أنحاء أستراليا، وتدعم وتنظم البرامج والأنشطة المحلية. (المترجمة)

في حين أن الاسم والشعار قد يوحيان بروح المغامرة، فقد ولَّت أيام العرق وحبيبات الرمل. جُدد القطار بأعلى وسائل الراحة والفخامة مع مراعاة مرضى التهاب المفاصل، وأضحى الآن وجهة سياحية في العالم الحديث وفندقًا فخمًا يسير على قضبان. كان مقدرًا أن نسافر من داروين إلى أديلايد في ظرف أربعة أيام وثلاث ليالٍ، بما فيها جولات السياحة خارج القطار في الطبيعة البريَّة البكر لوادي نتميلوك الوطني وبلدة كوبر بيدي تحت الأرض ومركز أستراليا الأحمر، أليس سبرنجز. كان اختيارًا مميزًا وباذخًا لمهرجان أدبي، ونصف السبب الذي وافقت من أجله على المجيء أنني لن أقدر أبدًا على تحمل نفقات الرحلة بمفردي؛ لم يصل ثمن التذاكر إلى آلاف الدولارات فحسب، بل عدا عدوًا نحوها.

لو أن ذلك نصف السبب، فإن ربعًا آخر تمثل في أملي في أن قضاء أربعة أيام منغمسًا في المحادثات الأدبية قد يحيي شيئًا في داخلي. أن الإلهام قد يتسرَّب إليَّ بينما أقرع الكؤوس بصحبة هنري ماكتافش شخصيًّا، الذي لم يعد يشارك في أي مناسبات عامة، فتنفتح لي روايتي الجديدة على مصراعيها. أنني سأطرح الفكرة على هنري، إذ إن أحدنا سينادي الآخر باسمه الأول حينها، وسيرفع كأسه، ويقول: «آااي، أتمنى لو أنني فكرت في هذه الفكرة أيها الفتى».

تمنحني كتابة آمالي المستحيلة عن الرحلة هنا الشعور بالخجل ذاته الذي أشعر به عند رؤية صوري القديمة على وسائل التواصل الاجتماعي -هل نشرت ذلك حقًّا؟- ليس فقط بسبب اللهجة الاسكتلندية المبتذلة التي تخيلتها على ماكتافش من قبل حتى أن أقابله. أعتقد أنه من الجلي أنني وماكتافش لن نصل إلى مناداة بعضنا باسمنا الأول. رغم أنني ما زلت أعتقد أن الإلهام قد يأتيني من تناول مشروب معه، بطريقة ما، لذا ربما أكون مستبصرًا بعض الشيء.

وأيضًا، أدرك أن دوافعي تتلخص في ثلاثة أرباع –نصفٌ مادي، وربع إبداعي– كما قالت محررتي ذات النظرة الثاقبة بوضوح. كما أشارت إلى أن عدد الكُتَّاب الذي ذكرتُه لا يتماشى مع عددهم في القطار. قلتُ إنهم سبعة، ولكن ذلك، مثل شيء في المجمل. إن جولييت كاتبة أيضًا، تذكَّر هذا. أقسم إنني يمكنني أن أضيف على ذلك. لطالما وجدت بعض الصعوبة في الكسور، ولكن ثق بي، سوف نصل إلى الربع الآخر.

تابعت سيمون بحثها عن عميلها الجديد بين الحشد. من بين مئات الأشخاص المحتشدين على الرصيف، لم أستطع أن أحدد هوية الكُتَّاب، أو حتى أن أبيِّن الفرق بين متطفلي المهرجان والسيَّاح العاديين. بدأ الموظفون، الذين ارتدوا جميعًا قمصانًا مخططة باللونين الأبيض والأحمر وسترات صوفية مزخرفة بالجِمال، بتوزيع الناس في مجموعات مختلفة إلى مناطق مختلفة من الرصيف. أخذت امرأة شابة تلهث وتمرر راحتيها على جبهتها كما لو كانت مكواة بخار، بدت كما لو كانت تعتذر لرجل افترضتُ أنه مديرها من الطريقة التي نظر بها في ساعته، كانت خجولة لدرجة ألَّا تنظر إلى عينيه. لم أتمكن من سماع الاعتذار، لكن التذلل له لغة إشارة لا تخفى على أحد.

اقتربت منَّا مضيفة تحمل قائمة.

قلتُ، بينما تمرر قلمها على قائمة الأسماء: «كانينجهام».

أعطتها سيمون اسمها من فوق كتفي، ولكنها أضافت: «ربما تجدينه ضمن الغرف الخاصة بدار جيميناي».

قالت لي فتاة القائمة: «مقصورة O3. سهل تذكرها، إنها كالأكسجين!».

عارضتها قائلًا، علمًا بأن رمز الأكسجين هو O2: «بل الأوزون».

قالت فتاة القائمة مازحة: «هذا صحيح، أنت في مقصورة الأوزون!».

من خلفي، أخفت جولييت ضحكتها في صورة عطسة. إما أن فتاة القائمة لم تلاحظ وإما أنها لم تكترث، إذ أشارت بقلمها نحو سيمون وقالت: «P1. لكن ادخلي عبر المقصورة O . ولكن دعيني أنبهك، إنها مسافة كبيرة قليلًا». قبل أن تمضي إلى المجموعة التالية.

ودعتنا سيمون قائلة، بينما لا تزال مديرة رأسها: «أراكما لاحقًا».

قلت بينما مشيتُ وجولييت نحو أقرب مقصورة: «أظن أن التحذير بشأن المسافة كان من أجل الزبائن الأكبر سنًّا». إذ كنَّا من بين الأصغر سنًّا هناك ببضعة عقود. «يمكننا تحمل السير على طول القطار».

شعرت بالتواضع. حملتْ المقصورة التي أمامنا علامة A. إلى يميننا، عربات المحركات الحمراء الشهيرة، قاطرتان هائلتان. إلى شمالنا، انحنى القطار لدرجة أنني لم أستطع رؤية آخره. أخطأتُ في وصفه بالانحناء بسبب المسافة، إذ اكتشفت أن القطار يمتد إلى مسافة كيلومتر تقريبًا. لذا، كانت مسيرتنا أشبه بزحف بطيء بائس بينما نمر بسبع عربات أخرى، بما فيها عربات الأمتعة وطاقم العمل والمطعم والحانات، ولم نكن قطعنا حرفًا واحدًا حتى.

ببلوغ المقصورة G، رنَّت صرخة غليظة في الهواء، ولثانية، دفعنا الخوف من أن القطار سيتحرك إلى الجري. ثم رأيت سيارة جاجوار خضراء تتقدم عبر موقف السيارات وإلى الرصيف، لتقف بمحاذاة القطار مباشرة، تحفر في العشب فجوات عميقة. توقعت في خضم انغماسي أن يترجَّل هنري ماكتافش من السيارة، ولكن بدلًا من ذلك ظهر رجل نحيف وطويل. كان شعره ثائرًا وأصلعَ في الوقت ذاته على نحو بدا مستحيلًا، كخيط رفيع في مهب إعصار، وأضفت هيئته الطويلة الهزيلة مظهرًا أخرق وأحمق على حركاته كما لو كان ينتمي إلى أحد أفلام الصلصال القديمة تلك. بدا لي أنه من ذلك النوع الذي يمتلك محطة

وقود ويخبر رواد العطلات من الشباب البالغين بأن ثمة طريقًا مختصرًا عبر الصحراء، اللعنة على آكلي لحوم البشر وغيرهم من أنواع القتل البغيضة الأخرى، وقد قلت ذلك كله لجولييت.

قالت: «في الواقع، هذا فولفجانج. وأعتقد أنه يليق بعبقري غريب الأطوار أكثر من كونه عفريتًا داعرًا».

بدا هذا مألوفًا بعض الشيء. فولفجانج –الفريد من نوعه، مثل مادونا والأمير وحتى إلمو– كان الكاتب المبجَّل في المجموعة، الذي اختير ضمن القائمة القصيرة لجائزة كُتَّاب الكومنولث. بعيدًا عن أصله ونسبه، فقد فاجئني ظهوره في المهرجان، إذ إن كتبه لا تُعد ضمن فئة أدب الجريمة. افترضتُ أن روايته الشعرية ذات القافية التي تحاكي رواية «بدم بارد» لترومان كابوت هي التي أهلته.

أضافت جولييت رافعة حاجبها بينما تتراجع الجاجوار إلى الطريق: «يبدو أن كتبه تربح جيدًا. أفضل من كتبنا على أي حال».

وافقتها؛ كان مستوى عوائدي المادية لا يتعدى سيارة هاتشباك، مستعملة.

تملصنا من المصورين وراوغناهم عند بلوغنا المقصورة L، كان الناس يلتقطون الصور الذاتية بالقرب من شعار الجمل الأحمر، أو لقطات بانورامية لطول القطار، وتعجَّبنا من كثرة المسافرين الذين يحملون عدسات تليسكوبية يكاد وزنها يفقدهم توازنهم، بدت تلك العصيان الضخمة بينما يرفعونها إلى مستوى نظرهم مثل أنوف بينوكيو مزيفة. بالحديث عن المبالغة، فقد كان تليسكوب هابل شيئًا تافهًا مقارنة بمقصورة أمتعة الرحالة الأستراليين.

عند بلوغنا المقصورة N كنا قد بدأنا نتعرق. تشقق ضوء الشمس أخيرًا مثل صفار بيضة فوق القطار، وامتدت ظلالنا وانعكست على

الرصيف. ضربتنا هبَّة من الهواء من خلفنا، وتجاوزتنا عربة جولف، ظهرت سيمون من أحد جوانبها، يرفرف شالها الأزرق مع الرياح، بدا مثل فتى من جمعية أخوية ما يحطم صناديق الرسائل من نافذة سيارة رفيقه. توقفت العربة أمامنا مقابل باب المقصورة O ثم قفزتْ منها، بدا أنها لاحظتْ دهشتي لكنها هزتْ كتفيها في غير اهتمام قائلة: «ماذا؟ هذه وظيفتها. يجب عليك أن تعتاد مزايا سفر الدرجة الأولى يا إرن».

أتى عامل آخر يحمل قائمة أسماء بسلَّم صغير وراح يساعد الناس في الصعود إلى المقصورة، إذ كان رصيف المحطة في نفس مستوى القضبان. إلى جانب باب كل مقصورة كانت هناك بضع درجات تؤدي إلى السقف. يسعدني أن أخبرك أنني سأنهي الكتاب من دون أن أصعد تلك الدرجات، ولكن كلينا نعرف أن بندقية تشيكوف تنطبق على رفوف المواقد والسلالم على حد سواء.

انضممنا إلى الصف. سبقنا فولفجانج، نظرًا إلى طريقه المختصر، وتساءلتُ لو أنه من كانت تنتظره سيمون.

لا بد أنها أحسَّت أنني كنت أفكر بها، إذ التفتت، وقالت: «فقط اسأل وخلِّص نفسك، أيًّا كان ما توشك أن تسأل عنه».

قلت مترددًا: «لم أكن... كيف..». لقد كنت أفكر في سؤالها شيئًا منذ فاجأتني على رصيف المحطة، ولكني لم أوشك حتى على فعل ذلك.

قالت: «لقد أخذتَ ثلاثة أنفاس قصيرة وكأنك توشك على الكلام ثم تراجعت. إنك تبدو كمراهق يحاول أن يطلب الخروج في موعد مع أحدهم. لذا توقف عن الصفير في أذني مثل غلاية الماء واسأل وخلِّص نفسك».

تنحنحت، وقلت بشيء من الانزعاج، إذ إن من المفترض أن أقوم بالاستنباطات الشيرلوكية في هذه الكتب، إنها كتبي أنا في النهاية: «حسنًا، أردت أن أطلب منك خدمة».

قالت: «تعرف أنك تدفع لي، صحيح؟ الخدمات للأصدقاء».

قلت: «إنه عمل، ولكنني مصدوم لأنك لا تعتقدين أننا أصدقاء».

- أفضل صديقين إلى الأبد. فقط لا تطلب مني أن أنتقل للعيش في منزلك. هذا مستحيل.

أتت جولييت، كعادتها، لتنقذني بصراحتها، قالت: «إنه يأمل لو أمكنك تقديمه إلى هنري ماكتافش. كنتِ تعملين معه، صحيح؟».

قالت سيمون: «لقد بحثتِ جيدًا». بدت مدهوشة ومنزعجة قليلًا لمعرفة جولييت، ولكشف الغموض عن جزء بسيط مثل سيرتها الذاتية. «كنت محررته، منذ زمن. تمكن بطريقة ما من نشر كتابه الأول في عام قضاه في المملكة المتحدة مع جيميناي كنوع من برامج تبادل الناشرين. ألحقني للعمل لديه مباشرة. كانت فترة مقرفة حقًّا». ضحكت والتفتت إليَّ مجددًا، وقالت: «أنت من معجبين هذا الاسكتلندي، أليس كذلك؟».

بدت، أو ربما بدا لي، أنها محبطة قليلًا. ما زلت أتعلم المزيد عن مجال النشر وعن مكاني فيه، ولكن حتى أنا عرفت حينها أن اسم ماكتافش كان يمثل أكثر كلمة لاذعة في مجال النشر، شهير. إنها إشكالية أن تكون مؤلفًا، في الغالب لو أنك مؤلف جيد بما يكفي لتصبح مشهورًا، فإنك مشهور جدًّا لدرجة لا تجعلك مؤلفًا جيدًا.

قلت كاذبًا: «قليلًا». كان ماكتافش كاتبي المعاصر المفضل. محققه الخيالي، المحقق موربند، هو أقرب مثال إلى هولمز وبوارو العصر الحديث. إنه شخصية من النوع الذي يحل القضية في الفصل الثاني

ويظل متشبثًا بها حتى النهاية، فقط يظل يسحبها حتى يكشف أكاذيب الجميع. كان ليحل هذه القضية أيضًا، حتى لو لم تحدث بعد.

قالت سيمون: «لا حاجة لي في هذا الشأن. إنكما على متن القطار نفسه معًا. ستتقابلان».

- كنت آمل لو أمكنك أن تساعديني، من أجل الحصول على تقريظ.

وقعت كلمة «تقريظ» من شفتيَّ مثل القنبلة. التقريظ هي كلمة يمكن للناشر أن يستخدمها بغرض الدعاية، أو حتى لوضعها على غلاف. كلما زادت شهرة الشخص الذي يوضع اسمه على الغلاف، كان ذلك أفضل للتسويق (وبصراحة، للغرور). إنني ممتن لوجود اسم كاتبة الجريمة الرائعة جين هاربر على كتابي الأول، وكنت آمل في أن يوضع اسم ماكتافش على الكتاب الثاني. حتى لو لم أكتبه بعد.

ضحكت سيمون ضحكة ساخرة، وقالت: «هنري لا يعطي تقريظات».

- فكرتُ فقط أن...

«تقريظ. لا. اذهب». وضعت يدها على كتفي، وقالت بلين مفاجئ: «وركز على شيء أكثر إنتاجية. لا تحتاج إلى تصيُّد تقريظات لكتاب أنت لم تكتبه بعد. لديك أربعة أيام فارغة، استغلها. اكتب بضع كلمات».

جعدت جولييت أنفها على نحو مضحك، وقالت: «إذن، لو لم يزل بإمكاننا تقديم خدمات، هل الوقت مناسب الآن لكي أطلب منك أن تساعديني في تحريك هذه الأريكة؟».

امتننتُ لجولييت لأنها تعرف تمامًا ما تطلبه الموقف، وجنَّبنا المزاح الحرج الذي كان محتومًا. اتجهت يدي لا إراديًّا إلى جيبي ووجدت بعض الراحة في الإمساك بصندوق صغير كنت قد وضعته هناك.

هاك الربع المفقود. الآن قد اكتملت دوافعي لهذه الرحلة الإبداعية الفاخرة والتي آمل أن تكون رومانسية أيضًا.

انضم المزيد من الناس إلى الصف من خلفنا. اختفت الشمس حديثة الظهور خلف سحابة، وبرد العرق الذي جهدنا من أجله في أثناء مشينا على رقبتينا. ارتعشت جولييت. لاحظتها سيمون، فمدت إليها شالها، وقالت: «تفضلي يا عزيزتي».

أخذته جولييت وراحت تلفه حول عنقها، متفوهة بعبارة شكر سريعة في اللحظة التي وصلتْ فيها سيمون إلى مقدمة الصف.

أعلى السلم، التفتت وكأنما راودتها فكرة للتو، وقالت: «جرِّب أن تكتب خمسة آلاف كلمة إلى نهاية الرحلة. هذا يعني ألف كلمة وبعض الفكة في اليوم».

تذمرت بضعف: «الأمر أكثر من مجرد كلمات. إنها الحبكة كلها. أنا لا أختلق تلك الأشياء ببساطة هكذا. ثمة أشخاص يجب أن تموت بطريقة ما».

قالت جولييت، من خلفي: «سأحرص على مساعدته في إنجاز ذلك».

قالت سيمون: «الأزرق يليق بكِ». مبدية إعجابها بجولييت وهي ترتدي شالها، ثم قالت لي: «أظنني سأشبك أصابعي وآمل في وقوع جريمة، ما رأيك؟».

ثم اختفت وابتلعها القطار.

الفصل الثالث

يجب أن أعرِّفك بجولييت هندرسون.

لم تكن بداية تعارفنا الأكثر رومانسية، بعيدًا عن الجثث. كنت سائقًا قادمًا من المدينة محاولًا الوصول إلى منتجع تزلج، أواجه البلوى المترتبة على انعدام استعدادي، وهي، توقفت بالسيارة لتساعدني في خضم الثلوج والوحل. لأكتشف لاحقًا أنها تمتلك ذلك المنتجع عينه، وعلى الرغم من أنني أخشى أن لي يدًا في تدميره، فقد تمكننا من التعامل مع نوبة الهياج الإعلامي التي تلت الأحداث. لا بد أن معظم من قرأوا كتابي الأول تفاجؤوا من أننا نتواعد. يقولون: «لقد كنت متأكدًا من أنها القاتلة!» أعتقد أنها فخورة جدًّا بذلك.

تفوقني جولييت طولًا، بساقين معتادتين التزلج، وركبتين دفعتا ثمن ذلك (في الواحد والأربعين من عمرها فقط، وتطقطق مثل عجلة الحظ)، وخدَّيها المنمَّشين المحروقين بفعل الشمس كدلالة على حياتها التي قضتها في الاستمتاع بالخارج. انتهى بها الحال ببيع أرض المنتجع مقابل مبلغ ضخم من المال، وراحت تستغل ما فاض من وقتها في كتابة كتابها عن الأحداث التي وقعت هناك. إنها مرتاحة بما يكفي لئلا تعمل مجددًا أبدًا، ولكنها تصرُّ بأنها لم تتقاعد عن العمل، بل تنتظر

مغامراتها التالية فحسب. هذا ما تقوله عندما أسألها عمَّا إذا كانت تفتقد الجبل، على أي حال.

يصعب القول إذا كانت النجاة من جولة الترويج لكتاب أم قاتل متسلسل هي المهمة الأكثر شقاءً، ولكن بما أننا مررنا بالأمرين معًا على مدار الأشهر الخمسة عشر الأخيرة، فقد زاد ذلك من شدة تعلق أحدنا بالآخر. منذ اللحظة التي ساعدتني فيها لربط سلاسل الإطار في عجلاتي الزلقة، جعلتني مفتونًا بها. يا لها من نتيجة ممتازة، إذ إننا لم نتبادل أسماءنا إلا بعد الجريمة الأولى.

وأجل، أنا فخور بتلك السطور، على الرغم من كونها مبتذلة قليلًا. كنت قد كتبتها سلفًا، ليس لكتاب بعينه، ولكن لأتمكن من حفظها إلى حين استخدامها مع ذلك الصندوق الصغير في جيبي.

بداخل المقصورة O، حُشرنا في صف واحد عبر ممر كان أضيق مما توقعت. كان السير في اتجاهين أمرًا مستحيلًا، وأدركت أنه لو حاول أحد أن يأتي من الاتجاه المعاكس، فمن الأفضل له أن يحشر نفسه جانبًا في المطبخ الصغير (الذي لم يكن يحوي الشاي والقهوة وغلاية الماء فقط، بل أيضًا فأسًا بداخل حافظة طوارئ زجاجية ومقبض كُتب أسفله: أنزل المقبض إلى الأسفل لتوقف القطار) وينتظرهم ليمروا. كان الممر مفروشًا بسجادة زمردية اللون تعلوها حوائط مكسوة بألواح خشبية زائفة. كانت أبواب المقصورات، وقد حوت عربتنا خمسة أبواب، مصطفة على جانب واحد بينما على الجانب الآخر كانت نوافذ واسعة تصل إلى مستوى الخصر. سأكتشف لاحقًا أن اتجاه الغرف يتبدل من عربة إلى أخرى، وأذكر ذلك هنا لأنه أمر مهم بعض الشيء. كانت مقصورات منطقة «الأوزون»، حيث يقيم معظم الكتاب، تقع في الناحية الغربية من القطار.

كانت المقصورة نفسها ضيقة، ولكن مريحة، شغل مقعد مخملي كبير نصف الغرفة، لونه أخضر ليموني وبحجم أريكة تسع ثلاثة أشخاص تقريبًا. يتحول ذلك المقعد إلى سرير في الوقت المناسب، وأمكنني أن أرى المقابض على الحائط خلف المقعد من حيث يُفتح السرير العلوي حسبما افترضت. كانت الأسرة مفردة ومتقاربة لدرجة أنك لو جلست بسرعة أو تحركت بقليل من المرح ستصدم رأسك في مقابلها. لم تكن ثمة مساحة للرومانسية.

قالت جولييت وهي تحرك المقبض: «لا أقفال على أي من الأبواب». ربما تفكر فيما فكرت فيه. «على الأرجح من أجل الأمان».

بفضل إدراكي المتأخر، يمكنني إخبارك أنه لم يكن ثمة أقفال على جُلِّ الأبواب في القطار كله، باستثناء الحمامات (كان هناك حمام واحد عام في قسمنا) وعربة الرئيس، وافتراضًا، في مقصورة السائق. لو كنت تأمل في لغز غرفة مغلقة، فليس هذا ما تبحث عنه. كان باب كل غرفة مفتوحًا لأي أحد للدخول والخروج كما شاء.

حوت مقصورتنا كذلك خزانة صغيرة، بداخلها خزنة صغيرة ومرآة، بالإضافة إلى ركن صغير بمستوى الأرض لحقائبنا، إذ سُمح لنا بحقائب اليد داخل المقصورات. حتى مع أقل حد من الأمتعة، تطلب التحرك فيما تبقى من مساحة القليل من رقصة التانجو لفردين. ذكَّرني الحمام بحمامات الطائرات، كل شيء محسوب بدقة لدرجة أن غطاء قاعدة المرحاض ارتفع مسافة ملليمتر واحد عن الحوض، وكان الباب يحتك بكليهما عند فتحه. وبعكس الطائرة، لم تكن ثمة حاجة إلى شاشة أو تلفاز في المقصورة الأساسية؛ تمثلت متعتنا في نافذة واسعة تعرض البلد الذي نمر به.

تناولت كتيبًا من على المقعد. عرض الكتيب برنامج المهرجان، ضم أحد جوانبه قائمة بكل الضيوف، وجدول الأنشطة على الجانب الآخر. صُعقت لمَّا أدركت أن الرحلات الاستكشافية المعتادة خارج القطار -المياه الكريستالية لوادي كاثرين والتنزه على التربة الحمراء لأليس سبرينجز- قد استُبدلت بـ «محادثات» على متن القطار. على الرغم من أنه بدا أننا ما زلنا سنحظى باستكشاف مدينة كوبر بيدي تحت الأرضية حيث يُستخرج العقيق، وهو أمر مطمئن.

مررت على الأسماء وحاولت حفظها. لقد قابلت فولفجانج بالفعل، الذي كانت سيرته الذاتية ذات أصل أدبي رفيع بحيث لا تتضمن عبارة: «يعيش في الجبال الزرقاء مع زوجته وكلبيه» وحوت قائمة من الجوائز التي من كثرها اضطروا إلى تقليص حجم الخط فقط لكي تسعها كلها. كنت أعرف أعمال هنري ماكتافش. كان الثلاثة الآخرون هم ليزا فولتون، كاتبة روايات التشويق القانونية، وآلان رويس، كاتب روايات الجريمة التي تتناول الطب الشرعي، وإس إف ماجورز، التي تكتب روايات التشويق النفسي وتعيش في الجبال الزرقاء مع زوجها وكلبيها.

قالت جولييت: «يمكنك أن تستمتع بالمنظر». أخذت تحسس أسفل النافذة حتى وجدت مزلاجًا ورفعت طاولة صغيرة كانت مطوية إلى الحائط. أشارت إليها كساحر مزهو: «تا دا! تلك الألف كلمة لا تملك أي فرصة».

حتى روحها المرحة لم تتمكن من تخفيف كآبتي، ولكنني قدرت محاولتها بما جعلني أتظاهر بإخراج حاسوبي المحمول ودفتر ملاحظاتي ووضعهما إلى جوار النافذة. جلست جولييت بجوار الباب وراحت تقلِّب في نسخة أولية لرواية الإثارة النفسية الجديدة لإس إف

ماجورز، والتي طُلب منها أن تكتب تقريظًا لها. بدت محاولة متعمدة لمنعي من الحديث، لذا فهمت الإشارة وهممت بفتح دفتر ملاحظاتي.

لأخبرك الحقيقة، كانت ملاحظاتي شحيحة للغاية. على الرغم من دراستي لقواعد روايات الغموض الناجحة كلها، لم يكن لدي أي ملامح عن الحبكة أو الشخصية لأطبق تلك القواعد عليها. في المرة السابقة، كتبت ما حدث فقط. الآن عليَّ أن أبدع كل شيء من دماغي، يا إلهي! كان الشيء الوحيد الذي دونته في دفتري هو قائمة من الملاحظات البنائية: ما سوف يحدث في كل قسم من الكتاب، وفي أي مرحلة من عدد الكلمات ينبغي أن تقع هذه الأحداث. كانت قائمتي كالآتي:

10,000 كلمة: تقديم الشخصيات والضحايا والمشتبه فيهم.

20,000 كلمة: اكتشاف الدوافع (ملحوظة: 90% من دلائل حل الجريمة معروضة بالفعل).

30,000 كلمة: الجريمة.

40,000 كلمة: اكتشاف المشتبه فيهم، التحقيق معهم ومقابلتهم.

50,000 كلمة: مضللات للأحداث، تطور الشخصيات (رومانسية؟).

60,000 كلمة: جريمة ثانية.

70,000 كلمة: مشهد حركة (لا بد أن يتضمن لحظة من: كل شيء مفقود).

80,000 كلمة: حل اللغز.

لقد قسَّمتُ العمل على هذا النحو أملًا في ألا يبدو مخيفًا جدًّا في الأجزاء الأصغر. في المرة الأخيرة التي اتصلت فيها سيمون للتحقق من سير العمل، كنت في الحقيقة واثقًا كفاية لأرسله لها في بريد إلكتروني، أجابتني حينها قائلة إنها فكرة رائعة وعودة إلى الأساسيات، وهو ما بدا وقتذاك تأييدًا أكثر منه استهانة كما كان مرجحًا. أما الآن، فلم تذكِّرني قائمتي إلا بحجم الكلمات التي تنتظرني. ثمانون ألفًا من تلك الأشياء المزعجة. سأضطر إلى اللحاق بمئة قطار.

أخذت نفسًا عميقًا، قلبت صفحة جديدة وكتبت: المكان: قطار.

ثم أسفلها، كتبت: حدث من قبل، هذا بديهي.

إذا كنت تتساءل، فقد تجاوزنا الستة آلاف كلمة بقليل حتى الآن، مما يترك لي ثلاثة آلاف ونصف كلمة لأتأكد من أنك قابلت جميع من تحتاج إلى مقابلتهم: الضحايا والقتلة والمشتبه فيهم. ولكنني بدلًا من ذلك أضيع الوقت في الكتابة عن كيفية تحديقي إلى صفحة فارغة، قلقًا بشأن تضييعي للوقت. لا حل لهذا إلا البدء. بلا تشتيت.

رن هاتفي.

سريعًا فقط: إذا كنت تتوقع أن يكون هذا الجزء حافلًا بالشخصيات العائدة، فأنت تقرأ الكتاب الخطأ. أتفهم الأمر، من اللطيف والمريح أن تعود كل الشخصيات المفضلة في الجزء الثاني، لكن هذه هي الحياة الواقعية. سيكون ضربًا من اللامعقولية أن يجد الناجون من عائلتي أنفسهم في قلب لغز جريمة قتل أخرى؟ يا لسوء الحظ لو أن ذلك حدث لي مرتين –سيكون لحسن الحظ بالنسبة إلى دفتر شيكات سيمون– ناهيك بالبقية. إن علاقتي بزوجتي السابقة جيدة، اسمها إيرين، لكننا في تلك الآونة بتنا معارف أكثر من كوننا ثنائيًّا لحل الجرائم. لن تتحمس

أمي أودري، وزوج أمي مارسيلو، وابنته صوفيا، لفكرة الجلوس في قطار لمدة أسبوع. في الواقع هم يحضرون حفل زفاف في إسبانيا. بصراحة، لو أنهم لا يمانعون تقديم معروف لي والعثور على جريمة قتل ما هناك، يمكنني أن أستغل الرحلة والإعفاء الضريبي في كتاب آخر.

مقصدي هو أن الحياة الواقعية ليس فيها ضيوف شرف.

أجبت الهاتف، كان عمي آندي.

تحتاج إلى معرفة بضعة أشياء عن آندي. أولًا، إنه خبير بستنة، مما يعني أن وظيفته هي زراعة العشب في ملاعب كرة القدم. ربما على النقيض من وتيرة وظيفته البطيئة، فهو مولع بتكوين صداقات سريعة، ويميل إلى عكس شخصية من يتحدث إليه بدلًا من أن يكون نفسه، على أمل أن ينال إعجاب الآخرين. مع الأسف، غالبًا ما ينجح ذلك فقط في جعله صاحب أعلى صوت وأقل قدر من الثقة. إنه رجل، بما يتناسب مع مهنته، كثيرًا ما يُداس عليه.

إنه أيضًا رجل يعتقد أن الشباب سمكة يمكن إعادة صيدها. لقد ظننا مؤخرًا أنه ربما يكون قد تصالح مع عمره (منتصف الخمسينات) إذ حلق لحية التيس الرهيبة تلك أخيرًا، ولكن هذا الأمل لم يلبث وأن تلاشى عندما ظهر بشعره الأشقر البلاتيني المصبوغ. لقد عض جميعنا شفاههم، باستثناء صوفيا، التي لم تخلُ جعبتها من السخرية قط، إذ سألته عما أخافه كثيرًا هكذا.

أجبت على مكالمة الفيديو لأرى تشريحًا طبيًّا لفتحات أنف آندي. بدلت عيني نحو جولييت فيما راح يعبث بالكاميرا. أخذت الصورة تدور بشكل ضبابي، وغطت أصوات هذا النزاع على جدال هادئ يحدث بالقرب من الميكروفون، لا شك أن الطعنات اللفظية تأتي من عمتي كاثرين.

كاثرين هي أخت أبي الصغرى. استحال شبابها المتمرد إلى بلوغ متشدد بعد حادث مأساوي. متشددة وصارمة، ربما يكون برجها الفلكي

هو برج مدير المدرسة. إنها من النوع الذي يهتف للحكام ويقول بوجه خالٍ من التعبيرات تمامًا: «كيف لك أن تنسى؟ إنه مكتوب في التقويم».

تكون كاثرين في أوج سعادتها عندما تجد شيئًا لتصلحه، إذن فإن آندي، المبتلى بارتكاب معظم الأشياء على نحو خاطئ، هو هدفها الأمثل.

شيء آخر تحتاج إلى معرفته بشأن آندي هو أنه لم يُسر كثيرًا بمظهره في الكتاب الأول. يُصر بعناد على أنني جعلته يبدو أحمق شارد الذهن في حين أن له دورًا في تجميع ألغاز الجريمة أكبر مما أوضحت في الكتاب. اتهمني بتخنيثه، ظل يردد تلك الكلمة حتى كدت أتأكد من أنها جديدة عليه وأن كاثرين قد علمته معناها. وقد استهدف بشكل خاص فقرة وصفته فيها بأنه رجل ممل إلى حد رهيب. فأخبرته أنني عمليًّا قد وصفته بأنه رهيب، ولكنه لم يقتنع. لذا سأحاول أن أصلح الأمر قليلًا هذه المرة.

قال آندي برجولة: «إرنست! كيف حالك يا رجل؟».

قلت: «لقد ركبنا قطار الغان للتو». أدرت الكاميرا ليتمكن من رؤية المقصورة. «في انتظار أن نتحرك».

راح آندي يصفر، وقال: «يا لك من محظوظ أيها الوغد، أتمنى أن أذهب يومًا ما. لا أعرف لو كنت تعرف هذا..». أخفض صوته، كما لو كان سرًّا. «لكنني أعتبر نفسي خبير كهروحديدي هاويًا».

من النادر أن تحيِّرني مفردات آندي، لكن تلك الكلمة اضطررت للبحث عنها لاحقًا. إنها طريقة بليدة حقًّا لقول أحدهم إنه مهتم بـ «الخيول الحديدية»، المشهورة باسم القطارات. ما كان يجب أن أتفاجأ بأن آندي، الشغوف بالعشب وطوله، كان أيضًا من هواة القطارات.

- ما فئة القطارات التي يسحبها؟ أعتقد قرابة 1.5 طن؟

- لأصدقك القول يا آندي، لم أفهم كلمة واحدة مما قلته. ربما تكون قد اعترفت بأنك عالم حشرات برية.

راح ينطق الكلمة: «عالم حشـ...». إلا أن صحب ذلك بعض الثرثرة في الخلفية بما معناه، ادخل في الموضوع، فتنحنح.

صحتُ لكي تسمع صوتي من الهاتف: «أهلًا يا كاثرين».

قال آندي: «إنني أكلمك بصفة مهنية». أثار ما قاله قلقي على الفور؛ ليس بيننا أنا وآندي أي علاقة عمل من أي نوع. أضاف: «ثمة عميل أعرفه، وكنت آمل في أن تقدم إليه استشارة».

- لا أعرف الكثير عن ملاعب كرة القدم.

- لا، إنه عميل من نوع آخر. إنه لغز. أنت تجيد هذه الأمور.

عميل. لغز. هاتان الكلمتان كانتا أكثر إرباكًا من عالم حشرات برية. اتضح ما كان يحاول إخباري به شيئًا فشيئًا.

قلت: «آندي، أرجوك أخبرني أنك لم...».

- أنا أستسلم! لقد سئمت من الـ...

همست لجوليبت: «العشب». فضحكت ضحكة مكتومة.

أكمل آندي: «... البيروقراطية كلها. الأمر أن لدي خيارات أخرى الآن، بالنظر إلى أنني حللت كل جرائم القتل تلك في جبل الثلج».

- **أنا** من حللت تلك الجرائم يا آندي.

عبس مستجديًا موافقتي، وقال: «حسنًا، حللناها معًا. على الرغم مما قلته في كتابك، صحيح؟».

بقيت ثابتًا.

- كما أن الناس كانوا متحمسين لتكملة قصتي. ربما يمكنني أن أساعدهم.

- أرجوك لا تقل لي إنك أسست...

ابتسم قائلًا: «وكالتي الخاصة! إنها تدعى *آندي يحلها*! لطالما أردت أن أكون محققًا».

- الأمر ليس هكذا.

- حسنًا، محقق خاص.

- ألا تحتاج إلى رخصة أو شيء من هذا القبيل؟

- هل أحتاج إلى هذا؟

لم أدرِ. لم يسبق أن بحثت في الأمر. مدت جولييت، التي كانت تستمع إلى حديثنا، هاتفها. لقد وجدت الموقع الإلكتروني الخاص بوكالة *آندي يحلها!* انتشرت الكلمات بخط كبير من الفقاعات كما لو كان متجر ألعاب. من تحتها صورة لآندي معتمرًا قبعة فيدورا، وسيجار غير مشعل بين شفتيه. تصفحت الوصف سريعًا حيث كُتب: المشهور عالميًّا بحل جرائم عائلة كانينجهام، دع آندي يحل مشكلاتك اليوم! نحن نحل ما لا يُحل!

- وهكذا حصلت على ذلك العميل، وإنني عالق ببعض الشيء. وقالت كاثرين...

هززت رأسي، وقلت: «آندي، هذه فكرة سيئة».

ابتعد عن الشاشة، وقال: «عرفتُ أنك ستقول ذلك. عرفتُ أنك ستقول ذلك». مصمص شفتيه، ثم التفت إليَّ مجددًا. «إنني حتى لا أعرف لماذا تظن أنني بحاجة لمساعدتك. لقد حللت قضية اختطاف بالفعل».

فشلت فشلًا ذريعًا في إخفاء دهشتي، وقلت: «حقًّا؟».

- حسنًا، لقد كان كلبًا. لكنني لاحقت الأمر. كان انتقامًا من حبيب مهجور.

قلت أنا وجولييت معًا: «دائمًا ما يفعلها حبيب مهجور».

سألته: «من الذي كتب هذه النبذة الذاتية على موقعك؟» مررت عليها مرة أخرى. «إنها بشعة».

- الآليون يا رجل. يمكنهم فعل أي شيء.

سألته: «أنا لا أحاول إحباطك، ولكن هل فكرت في هذا جيدًا؟».

احتقن وجه آندي غضبًا، وقال: «هل يفترض بك أن تكون الشخص الوحيد الذي يسمح له بكسب المال من وراء كل تلك الجرائم؟ لعلمك، لقد كنت هناك أيضًا. لكن يفترض بي الذهاب إلى العلاج النفسي والتأقلم مع صدمتي في صمت. بينما يُسمح لك بكتابة تلك الكتب الكبيرة وصرف الشيكات والظهور على التليفزيون وركوب القطارات..».

بدت شكواه الأخيرة صغيرة مقارنة بالأخريات، ولم أكن في الحقيقة «أصرف الشيكات» بقدر ما كنت أحصي العملات المعدنية، ولكن اضطررت أن أقر بأنه كان محقًّا. لقد عالجتُ حزني وصدمتي علنًا، وحتى على الرغم من أن السبب الحقيقي وراء كتابتي كل ذلك كان لكي أتذكره، وأتذكرهم، بطريقة لا يستطيعها إلا الحبر والورق، فقد حققت بالفعل مبلغًا صغيرًا من ذلك. لو أن آندي أراد الاستفادة من بعض الشهرة، موهومًا كان أو لم يكن، فسأكون منافقًا إذا اختلفت معه.

قلت راضخًا: «حسنًا، هذا العميل..».

أخذ الفيديو يهتز كما لو ضربه زلزال، فأدركت أن آندي كان يلوح بقبضته في الهواء، راح يقول: «عرفتُ أنك لن تخذلني! إذن، ثمة سيدة مسنة، حسنًا؟ بائعة زهور أو شيء من هذا القبيل. شخص ما دخل إلى متجرها، أحتاج إلى معرفة الفاعل».

- حسنًا.

ابتسم آندي بترقب، وقال: «عظيم. إذنننن..».

- حسنًا هنا تعني أنني سأفكر، ليس أنني أعرف من الفاعل.

قال آندي: «حسنًا».

أود أن أوضح شيئًا هنا، بينما أكتب هذا، وهو أن آندي يجعل من الأمر في غاية الصعوبة أن أصوره بشكل أفضل عما في الكتاب الأول.

- انظر يا آندي، لا يمكنني أن أخبرك من ارتكب الجريمة هكذا ببساطة من دون أي شيء أستند إليه. تحتاج أولًا إلى قائمة بالمشتبه فيهم».

وجه آندي نظره إلى الأسفل، خارج الكاميرا، استطعت أن أفهم أنه كان يكتب شيئًا، تمتم قائلًا: «فكرة جيدة».

- ليس لديك أي مشتبه فيه؟

- أعني، ثمة الكثير من الاحتمالات...

- عدد سكان سيدني العاصمة لا تعد قائمة بالمشتبه فيهم يا أندرو.

قال آندي بفخر: «إنها تقع بين ولايتين. لطالما أردت الذهاب إلى تسمانيا. كما أنها تتحمل النفقات!».

قلت: «أنت تستغل هذه المرأة». سمعته يمصمص شفتيه، فقررت أنني قد أهنته بما يكفي، وأضفت على عجل: «ماذا عن الأدلة؟».

سمعتُ صوت خربشة بينما يكتب شيئًا آخر. تخيلت دفتر ملاحظات قانونيًّا ضخمًا أصفر اللون، مكتوب أعلى الصفحة «حل الجريمة» ثم قائمة المهام، وكتب تحتها: «المتشبه فيهم» و«الأدلة». تمنيت لو أن السيدة المسنة لم تكن قد دفعت عربونًا.

قال آندي أخيرًا: «أعني، لقد قابلتها، كانت مفزوعة قليلًا بالطبع، ولكن زوجها كان أكثر عونًا منها». توقف، وقال: «انتظر، ربما كان أخاها».

- ثمة فرق كبير بين الزوج والأخ يا آندي. عليك أن تكون محددًا. الكلمة مهمة.

سيخبرك أي كاتب جريمة أن اختيار الكلمات أمر بالغ الأهمية. تتغير القصة تغيرًا كبيرًا إذا استبدلت كلمة «الزوج» بكلمة «الأخ»، وفي حين

أن ذلك ربما يُضفي على حدث السرقة المنزلية ذاك إثارة أكبر، فمن الأفضل أن ينقل الأحداث بالشكل الصحيح. بما أننا نتحدث عن اختيار الكلمات، كانت عميلة آندي عالمة نبات، وليست بائعة زهور. في حين أنني قد أبدو مفرطًا في الدقة بالإشارة إلى ذلك، فإن ثمة فرقًا كبيرًا بين بائعة زهور في علاقة محرمة وعالمة نبات مسنة، وكنت قد وعدتك بالدقة.

قلت: «فلنبدأ بشيء أسهل، ما اسمها؟».

زم آندي شفتيه بينما راح يبحث عن ملاحظة في مكان ما، وقال أخيرًا: «أاا... بوبي». وهذا في حقيقة الأمر، ليس اسمها. التفاصيل!

- حسنًا، إذن بوبي...

- لحظة، هل كان ذلك اسمها أم أنها تبيع زهور الخشخاش؟

- آندي...

- أو ربما كان...

- ربما اسمها بوبي وتبيع الخشخاش.

- أجل، هذا ما قلته...

إن إجراء محادثة مع آندي يكون أحيانًا أشبه بمشاهدة عدَّاء الحواجز وهو يخترق جميع الحواجز من دون أن يقفز بينما يجر الألواح الخشبية معه: مهما كانت العقبات، فهو يمضي قدمًا.

تابع: «ولكن الغريب في الأمر، عليك أن ترى احتياطات الأمن في هذا المكان. كاميرات أمنية ولوحات مفاتيح، إنها قلعة يا رجل. لبائعة زهور!» تذكير: عالمة نبات. «هذا غريب، صحيح؟».

- أتظن أن الاحتياطات الأمنية هناك لهدف آخر؟ وأن السارق كان يلاحق هذا الأمر؟

- تلك هي النظرية التي أعتمدها حاليًّا.

بدا في غاية الفخر بنفسه، أو على الأقل هكذا أوحت فتحتا منخاره. عليَّ أن أتفق، لم يكن هذا تحليلًا سيئًا، أو جمعًا للأدلة. لقد قفز فوق أحد الحواجز بنجاح.

أضاف: «الأمر أنه... أو أشبه بهوس بالزهور. مثل هوس جنسي».

أسحب كلامي: ما زالت الحواجز تصطدم بكاحليه.

قلت بخشونة: «لقد حللتُها إذن».

قال مبتهجًا: «حقًّا؟».

- كلا يا آندي. المشتبه فيهم والأدلة. اسأل بعض الأسئلة. اتصل بي مجددًا عندما تعرف، كبداية، الاسم الحقيقي للمشتبه فيه. سأحاول مساعدتك حينها.

ما إن أنهيت المكالمة، ارتج الكرسي من تحتي ودوت صرخة طويلة وبطيئة عبر الأرضية، بينما دبَّت الحياة في العجلات لبضع بوصات. أتى صوت متقطع عبر جهاز اتصال داخلي، والذي أدركت أنه كان مدمجًا في السقف. رفعت جولييت عينيها عن كتابها إلى الأعلى.

«أيها السيدات والسادة، مرحبًا بكم على متن الغان. سنغادر بريما في غضون خمس عشرة دقيقة. يرجى الانضمام إلينا في الصالة للترحيب بكم ومقابلة مضيفيكم، تناول الشاي والقهوة كيفما ترغبون. ويسرنا أن نرحب ترحيبًا خاصًّا بمهرجان كُتَّاب الجريمة الأستراليين، الذي يُعقد على متن القطار معنا للاحتفال بالذكرى الخمسين له. فلنحرص على إتيان الحد الأدنى من جرائم القتل من فضلكم».

قلت، مدركًا أنني لم أستحق ذلك: «بالحديث عن الحد الأدنى. لقد كتبت بضع كلمات. هل آخذ استراحة؟».

كانت جولييت فطنة كفاية كيلا تسألني عن مدى أمانتي في تعريفي لكلمة «بضع». أومأت موافقة فنهضتُ واقفًا، ولكنها وقفت أمام الباب ومنعتني من الخروج. وضعت يديها على كتفيَّ، ومالت نحوي وطبعت قبلة على خدي.

قالت: «أعلم أنك متوتر. قبل كل شيء، أظن أنك تحتاج إلى أن تتوقف عن القلق بشأن ماكتافش. دعك من القلق بشأن توصية خرقاء. فكر في أن ذلك سيكون بعد أن تنهي الكتاب. بالحديث عن ذلك، صدقني، ذلك سوف يحدث».

فوجئت بوجهي يسخن، وعنقي يحمرَّ. يمكن للتحديق إلى صفحة فارغة أن يشعرك بالوحدة. لم أتخيل مدى تأثير أن أمتلك شخصًا يخبرني أنني لست وحيدًا. أومأتُ.

هزتني بلطف، وقالت: «حتى لو لم يحدث، لا بأس بذلك أيضًا. يمكنك أن تقضي تلك الأيام الأربعة محدقًا إلى النافذة لو أردت. أو يمكنك أن تقضيها في الكتابة. لكننا سنقضيها معًا. لذا لا تغتم، ها؟».

أومأت، بالكاد تمكن الكلام من الخروج من فمي: «شكرًا على الحديث الحماسي».

ابتسمت قائلة: «هذا كله لمصلحتي. إذا كنت تنوي أن تقضي الرحلة كلها مكتئبًا، فيا لها من أيام أربعة طويلة. ما إن تتحرك هذه الكتلة المعدنية، سنعلق معًا على متنها».

الفصل الرابع

انضممنا إلى حشد من الناس يتحركون ببطء عبر الممر الضيق، والذي بدا مثل طابور مكتب بريد أكثر من كونه بداية عطلة. في العربة التي تلينا، طبطب رجل واقف أمامنا على جيوبه ونظر بيأس إلى باب مقصورته من خلفه، على بعد أمتار قليلة فقط، قبل أن يدرك أن التيار ضده وأن الأوان قد فات. لاحظت أنها النظرة نفسها التي تنظر بها جولييت إليَّ في كل مرة نرجع بالسيارة خروجًا من المنزل. هذا ليس تمييزًا جنسيًّا بالمناسبة، أرفض أن أكون البطل الذكر الذي يطلق ملاحظات ساخرة عن ضعف ذاكرة حبيبته. ذكرت الأمر فقط لأنه في سياق الحبكة.

بعد مقصورتين أخريين، أفضى الممر إلى البار. كانت أوسع مقصورة حتى الآن. مقصورات باللون البني والأحمر الداكن تطوِّق الحوائط وبها طاولات بارتفاع الخصر، جنبًا إلى جنب مع أزواج مختارة من المقاعد الدوارة، ومقاعد بار في نهاية المقصورة، كلها مثبتة في أماكنها لتناسب حركة القطار. بدا البار نفسه مثل الذي تجده في حانة غير قانونية، ذا واجهة مغطاة بألواح خشبية، خلفها رفوف من المشروبات الكحولية وفوقها كؤوس معلقة. حصلت لنا جولييت على كرسيين بالقرب من

النافذة المواجهة للناحية الشرقية، شعاع من ضوء الشمس وطاولة ضئيلة في حجم كتاب تقريبًا بيننا. كان كل شيء بحجم ثلاثة أرباع بما يتماشى مع تصميم القطار الذي يعتمد على توفير المساحات، انحنى الكرسي عند أسفل فخذي بدلًا من ركبتيَّ، وهو ما لا تقول عنه إنه ليس مريحًا، ولكنه أمر جعلني أشعر أنني في زيارة إلى بيت الأقزام.

بينما أخذت المقصورة تمتلئ، ازداد امتناني لمقاعدنا. اختنق الهواء بالأصوات: الهمهمة المريحة للمحادثات العامة ممزوجة بنبرة أعلى قليلًا للتحيات المتحمسة لمن يتعرفون إلى بعضهم قائلين: «سررت كثيرًا بلقائك!» يعلوها جميعًا صوت ماكينة قهوة خلف البار، التي أخذت تئن بإرهاق كسيح وكأنما لم تكن تتوقع أن تخدم مقصورة تعج بالمؤلفين لمدة نصف أسبوع. لمحت على رف الخمور زجاجة فودكا منتهية حتى ثلاثة أرباعها، والتي لم تكن مستعدة بالقدر نفسه.

نظرت إلى بقية الزبائن من حولي. لقد تخيلت أن مقصورتنا O هي الثانية من ثلاثة بين البار وذيل القطار (حيث إن P كانت أبعد من خلفنا وكنا قد مشينا عبر المقصورة N). كانوا قرابة ثلاثين شخصًا تقريبًا، كما لاحظت أشخاصًا يدخلون المقصورة عبر نهاية البار، مما أوحى بوجود مقصورات بالقرب من المحركات، وربما تضاعف الحضور. فباستثناء كُتَّاب المهرجان الستة وضيوفه، لم يكن هناك الكثير من الحضور. ربما كانت الذكرى الخمسون للمهرجان عذرًا لزيادة العدد، إذ كان من الواضح أنه ليس حدثًا تقليديًّا يعتمد على مبيعات التذاكر. ربما هكذا تقرر إقامة المهرجان في مثل هذا المكان باهظ الثمن أيضًا، إذ وُعد الحضور بتجربة غير معهودة في أحداث مماثلة. وجبات ومشروبات وفرصة للقاء الكُتَّاب والتواصل معهم وأن يتصرف الجميع بحريتهم في صحبة بعضهم بعضًا. من شأن هذا أن يكون الجميع على حقيقته –لو

اعتبرنا أن تقتُل وأن تُقتَل نوعًا من أنواع التصرف بحريتك -فيستحق الجميع ما حصلوا عليه من مال على الأقل.

حاولت تقييم الحضور لكي أجد أفضل طريقة قد أقضي بها بقية إجازتي الطويلة، أو، لأكن محددًا أكثر، أي شخصية من شخصياتي من الأفضل تجنبها -مدفوعًا بمرارة سنوات من الرفض من دور النشر، بينما أتشبث بمخطوطة كُتبت بخط اليد ملطخة بالقهوة وعلى استعداد لكي أقصها على أي شخص في أي وقت- تمتعت المقصورة بأجواء احتفالية، تلك الإثارة التي تسبق العطلة، والتي تصاحب عبارة «إنها الساعة الخامسة في مكان ما» وكأسًا من الشمبانيا التي لا تريدها في الواقع، ولكنك تشربها على أي حال لأنها تبدو طريقة مناسبة لتؤكد استعدادك لقضاء وقت ممتع. كان الوقت لم يزل قبل الفطور، ولكن معظم الناس لم يكترثوا. فالعطلات في النهاية غالبًا ما تكون مسرحيات متكلفة لتبرير الإدمان. احتلت مجموعة من ثلاث نساء إحدى الطاولات وأخذن يضربن كؤوسهن وسط الهتافات والضحك وكأنما ليثبتن نظريتي.

وفقًا لاستراتيجيتي الهيكلية، لكي أكون أمينًا، فإن الكلمات تنفد مني لتقديم الضحية/ الضحايا والقاتل/ القتلة والمشتبه فيهم، وأخشى أنني ما زلت أفتقر إلى فئتين منهم على الأقل. لذا فسأستغل الفرصة لأخذك في جولة في المقصورة الآن.

بما أني لم أتعرف على كل الكُتَّاب بعد، فإن الصفة المشتركة الوحيدة التي أمكنني إيجادها هي اختيار الناس لمشروباتهم: الكافيين أو الشمبانيا. لذا سأبدأ من هنا.

الشمبانيا:

- جلس رجل، أكبر سنًّا، ولكنه ليس كبيرًا في السن، في مقعد مزدوج قبالتي، يرتدي نظارة ذات حواف ذهبية وله لحية مرقطة باللونين البرتقالي والرمادي بالتساوي، في يده كأس من الفقاعات، وكأس أخرى ملآنة أمام المقعد الشاغر المقابل له.
- إس إف ماجورز، التي عرفتها من صورتها في نسخة جولييت المسبقة، ارتدت بدلة ببنطال باللون الرمادي الفاتح، وشعرها الأسود مرفوع ومربوط بإحكام في ذيل حصان، بدت مهندمة بما يناسب الذهاب للمحكمة أكثر منه للعطلة، وأكثر جدية من مشروب الفقاعات الذي لم يُمس في يدها.
- امرأة ذات شعر قصير بني اللون، ترتدي بلوزة مزينة بأزهار بسيطة وتلعب على هاتفها. جلست محشورة على المقعد الأخير في مقصورة السيدات الكبيرات البذيئات، تفعل ما في وسعها لتجاهلهن. تصورت مما بذلته من جهد للحفاظ على نفسها، أنها كاتبة، ليزا فولتون، بواسطة عملية الاستبعاد.

القهوة:

- رجل نحيل الأطراف، ذو عينين متلهفتين، في أربعيناته تقريبًا. انحنت كتفاه بما يناسب العاملين في مجال تكنولوجيا المعلومات، ذلك الانحناء الذي يسببه الجلوس أمام الحاسوب، مهددًا بابتلاع رأسه مثل درقة السلحفاة. راح يستطلع الغرفة ويشير إلى كل كاتب لامرأة. ربطت المرأة

شعرها المجعد في شكل كعكة فوضوية، تتدلى خصلتان بجانب خديها مثل إطار صورة، وافترضتُ أنها زوجته وفي مثل عمره من إيماءتها المطيعة غير المهتمة، كما لو كان يشرح لها القصص وراء شخصيات حرب النجوم. كان إضافة سهلة إلى فئة المعجبين.

- امرأة بدت صغيرة كثيرًا لتستمتع برحلة كهذه أو تتحمل تكلفتها، راحت تقلب ملعقة في كوب الكابوتشينو بفتور بينما تقرأ رواية «بؤس» لستيفن كينج. افترضت في البداية أنها طالبة جامعية بلا شك، ولكني لم أغفل احتمال أن تكون ذات وجه مفعم بالشباب، وانتهيت بالتفكير في أنها ناشرة حديثة التخرج، لأنها اختارت مشروبًا غير كحولي مناسبًا لبيئة العمل وارتدت تي شيرت كُتب عليه: *إيماءة بكفاءة غمزة لحصان أعمى* مما ربطها مباشرة بروايات المحقق موربند لماكتافش.
- رجل قصير ممتلئ الجسم، يرتدي حمالات ملونة، مؤكد أنه كاتب بناءً على ملابسه الغريبة وحدها، ولكن أيضًا لأنه أخذ يخط شيئًا في دفتر ملاحظات، وكان على الأرجح آلان رويس.

ثم فولفجانج الذي لم ينتمِ إلى أي من الفئتين، والذي وقف بمفرده في زاوية صغيرة بجوار البار، حاملًا كأسًا من النبيذ الأحمر وأخذ يستنشقه في استياء.

رأيت جولييت تحمل كوبين من القهوة برفق إلى طاولتنا محدثة قعقعة. من بين الحضور المتوقعين، لم تكلف سيمون نفسها بالحضور؛

لم تكن تفضل التجمعات الاجتماعية، مما جعل إحضار جولييت لشالها بلا معنى. حتى أنا لم أحظ برؤية هنري ماكتافش. كنت واثقًا من تسميتي لكل من آلان رويس وليزا فولتون بأنهما ممن يفضلان الانعزال في مجموعات من شخص واحد أو شخصين، واللذان كان لديهما، مثلي، نظرة على وجهيهما نصفها يقيِّم باقي الغرفة ونصفها الآخر يحاول أن يقرر ما إذا كان لا يزال هناك وقت لمغادرة القطار.

أخشى أنني سأخرق قواعدي هنا. كتب الغموض مثل هذه تكون عادلة فقط إذا كانت جميع الأوراق مكشوفة على الطاولة كما يقولون، ولم أتمكن من تقديم كل شخص كما يجب بفعل القيود التي فرضتها على نفسي لأول عشرة آلاف كلمة، وهي ها هنا. لقد أخطأ شخص مهم للتو.

شعرت بيد على كتفي.

قال رجل في ستيناته: «حقق كتابك نجاحًا جيدًا». ليس ضخمًا، ولكنه طويل بما يكفي ليبدو كأنه يطل عليَّ من مقعدي الضئيل، هو الرجل نفسه الذي كان يربت على جيبه عندما غادر مقصورته. بدا مهندمًا في جاكيت مسائي وحذاء جلدي، مفتوحة ياقته، وربطة عنقه الحريرية كحلية اللون مفكوكة بحريَّة. كانت لهجته أجنبية –إنجليزية– وتحدث باقتناع بأن قوة الصوت تؤكد على المعنى. والذي، بالنسبة إلى رجل بدا مقتنعًا أن كل شيء مهم عليه أن يقوله، لا بد أن يقال بصوت عال.

وجدت أن الناس أحيانًا يحدثونك عن مدى نجاح كتابك لو لم يريدوا تقديم مجاملة صريحة لك. يبدو ذلك كمجاملة، ولكنها مجرد ملاحظة. ثمة فرق بين تبدو *أنيقًا اليوم*، وسمعت أنك عارض أزياء، على سبيل المثال. لم تعجبني الطريقة التي قالها بها، بدت خبيثة وساخرة تقريبًا.

اخترت الرد بتواضع عن مجاراة استفزازه، وقلت: «سعيد جدًّا لأنه وجد جمهورًا. أنا آسف...». -مددت يدي- «لا أظن أننا تقابلنا قبلًا؟».

- أنت فتى سيمون، أليس كذلك؟

قلت، رافضًا أن أكون ملكية سيمون: «إرنست».

قال، كما لو كان يصدِّق على أن ذلك هو اسمي: «أجل، إرنست». قلَّب نظره بالمقصورة بينما يتمتم شيئًا. تدفقت عباراته بعضها فوق بعض، كما لو كان الفرن بين الفكرة والكلام لا يطهو كل شيء بشكل كاف، وكأنما يتحدث في مسودات أولية: «أرقام جيدة. نشر جيد. هي ليست هنا؟».

أدركت أنه كان ينظر إلى شالها الأزرق الملقى على المقعد الفارغ. عرف أنه شالها، وقال: «أوه، لا، سنعيد ذلك إليها. حسنًا. حسنًا، بما أني هنا..». توقف ثم مال نحوي وأخفض صوته. «اسمع، أود أن أستغل الفرصة لكي أعتذر عن هذا التصرف الـ... متهور».

هززت رأسي في ارتباك، وقلت: «لا أظن أننا التقينا قبلًا. لا داعي للاعتذار».

- أعني، ليس من التهذيب. لكنه ليس شيئًا يمكننا السيطرة عليه، ألا توافقني؟ وأعتقد أننا جميعًا بالغون، أليس كذلك؟ وفي الحقيقة، إن كتابك ليس للجميع. ومن الناحية الإيجابية، لطالما أخبرته أن يزيد من تفاعله عبر الإنترنت. لذا فأظن أنها البداية.

ما زلت لا أعرف سبب الاعتذار، ولكن مؤكد أن هذا كان من أدنى مستويات الاعتذارات التي قبلتها.

عطس، ثم مسح أنفه بظهر يده. قال معتذرًا: «الحساسية». وكان هذا اعتذارًا أفضل من محاولته السابقة.

أشرت إلى صدري، وقلت: «أنا آسف حقًّا، لكن، أنا إرنست كانينجهام، وقائمة شكاواي صغيرة للغاية. لذا فلو أنك لست الرجل الذي اصطدم بسيارتي من الخلف منذ أسبوعين، وقررت أن تتبعني إلى هنا لهذا السبب، فإن ذلك يبدو اعتذارًا مبالغًا فيه، أعتقد أن هذا منصف». لاحظت أن جولييت قد انشغلت في محادثة مع ماجورز، وتمنيت أن تسرع وتأتي لإنقاذي.

عدَّل ربطة عنقه، واستنشق مرة أخرى، وقال: «بالطبع، يجب أن أعرفك بنفسي». كانت عيناه محمرتين قليلًا. لو تحدثت بأمانة، فقد بدا كأنه يهبط من برج ما، ليس غرورًا أو استعلاء فقط. أخيرًا أمسك بيدي وصافحني، وقال: «وايت لويد. صاحب دار جيميناي للنشر. أنشر..».

أتت ضجة من البار فجأة. صاح رجل بلهجة اسكتلندية غامضة: «إنها رحلة شاملة كل شيء، أليس كذلك؟ إذا أردت الزجاجة، فقط أعطني الزجاجة».

استطعت فقط أن أرى ظهر السترة الكثيفة ذات الأكتاف الصوفية للمتكلم، ولكن اللهجة الآمرة، لهجة شخص معتاد جدًّا سؤال الناس عما إذا كانوا يعرفون من هو، أعطتني فكرة: أكبر عامل جذب للمهرجان هنا، هنري ماكتافش.

تابع وايت: «أنشر ذلك». التفت نحو الجلبة، وأضاف رافعًا حاجبيه: «هل أجد معك أي مضادات هيستامين؟» راح يفتش عن علبة بيضاء صغيرة في جيبه. «أعطاني جاسبر هذه، ولكنها لا نفع منها».

نظرت لاسم الدواء، وقلت: «في الواقع، هذا لأن تلك الحبوب لدوار البحر، لا حمى القش».

عطس مجددًا، ثم أدار رأسه نحو الشجار عند البار، وقال: «اللعنة. يجب أن أذهب وأحل الأمر. يسعدني أننا تمكننا من تسوية هذا الأمر. وإذا رأيت سيمون...» -أخذ رأسه يدور- «قل لها إنني أبحث عنها».

ما زلت لا أملك أي فكرة عمَّا تمكنَّا من تسويته، اكتفيت بابتسامة رزينة، بينما شعرت، بصراحة، بأنني جعدت وجهي فقط. شعرت باغتراب أكثر من أي وقت مضى، إذ لو أنني أنتمي إلى هنا حقًّا، لعرفت -كما توقعت سيمون- من هو وايت. كنت أعرف بالفعل أن جيميناي دار نشر ذائعة الصيت، مقرها في المملكة المتحدة، ولكن بهيئة أسترالية. لقد أسسوا عملهم بفضل أعمال ماكتافش تقريبًا. وجاء بقية مؤلفيهم تباعًا -رويس، على سبيل المثال- ووصلوا إلى القمة بفضل ارتباطهم باسمها.

وأنا الآن أعلم أن وايت، الذي اكتشف ماكتافش، قد أصبح المالك المشارك للشركة من وراء ذلك. لقد أخذ من وقته لكي يأتي ويتحدث إلي، وأجبته أنا برمي النكات؟ بتجاهله؟ أعدت المحادثة في عقلي، فشعرت أنني أفسدت الأمر بطريقة ما (وهو أمر غير منطقي، لأنني أملك ناشرًا بالفعل). كنت لا أزال أستكشف كيفية التعامل مع سياسات الجانب الاجتماعي لكوني مؤلفًا.

سار وايت باتجاه الجعجعة، حيث ألقى ماكتافش للتو بيد رجل يرتدي سترة مطرزة بالجِمال كان قد وضعها بهدوء على كتفه. بقيت وحدي في مقصورة تعج بالكُتَّاب وكانت القائمة قد اكتملت الآن. المشتبه فيهم: اكتملت. الضحايا: اكتملت. القاتل/ القتلة: اكتملت.

الفصل الخامس

انزلقت جولييت على مقعدها وأخذت تحتسي قهوتها بارتياح وعطش مسافرٍ قطع الصحراء لتوه. قالت: «يا إلهي، لقد كذبت على إس إف ماجورز للتو. قلت إنني شارفت على الانتهاء من قراءة كتابها». نظرت خلفها للتأكد أن أحدًا ليس قريبًا بما يكفي ليسمعها، وأضافت: «وإنني مستمتعة بقراءته».

- ألا تستمتعين بقراءته؟

- لا أملك أي فكرة. لقد قرأت ثلاث صفحات تقريبًا. أظن أن كتابتها جيدة. ولكن لدي شعورًا دفينًا بأنها واحدة من الحبكات حيث يكون الراوي المتكلم ميتًا منذ البداية.

نظرت إليها مذهولًا. تعارض ذلك مع إحدى القواعد الأكثر وضوحًا للعب النزيه في أدب الغموض، ألا وهي «لا أشباح».

قالت: «أعلم، صحيح؟ لا أشباح لعينة. هذه الأيام لا يجب أن تتبع روايات الإثارة النفسية أي قواعد. ما كان يجب أن أقول أي شيء على الإطلاق، ولكني حاولت أن أملأ الصمت. الآن سأضطر أن أكتب لها توصية لعينة». ابتلعت نصف قهوتها جرعة واحدة، وأغلقت عينيها

لثانية: «هذا المكان يعج بالفوضى. يود ماكتافش حقنة وريدية تضخ له الويسكي، ويبدو أن تلك الفتاة المسكينة هناك تستخدم ماكينة القهوة لأول مرة، ولا تسعدها معاملته لها كخادمته الخاصة. آسفة لتأخري، ماذا حدث هنا؟».

قلت: «قابلت وايت لويد». أومأت باتجاهه، في حال لم تعرف جولييت من هو، ولكنها بدت متفهمة من دون الحاجة إلى أن تنظر. «ناشر ماكتافش».

قالت: «أجل، تساءلت عن ذلك عندما أتت سيمون بذكره قبلًا. أربعة أيام في مهرجان، لا تليق بقطب من أقطاب الوسط الثقافي: يأتي المؤلفون إليه، لا يذهب هو إلى المؤلفين». هزت كتفيها. «ربما لديه عمل مع ماكتافش، عمَّ تحدثتما؟».

قلت مبتسمًا: «كان الأمر في غاية الغرابة. لقد *اعتذر*».

«أوه». توقفت جولييت، مثل شخص لم يفهم نكتة قيلت للتو، تجهم وجهها أكثر مما ينبغي. ثم قرأت وجهي وهدأت، قالت: «تتعامل مع الأمر جيدًا، هذا نُبل منك. أمر مطمئن».

- أتعامل جيدًا مع ماذا؟

أوقفت جولييت كوبها عند فمها، وقالت: «ألم تقل للتو إنه اعتذر؟».

قلت: «أجل، هذا هو المضحك في الأمر. الأمر عبثي». شعرت وكأنني ممثل كوميدي يحاول يائسًا الحفاظ على جمهوره، خياره الوحيد هو الرهان على النكتة ومحاولة جعلها مضحكة بقوة الإرادة. كان هذا مضحكًا، أليس كذلك؟ أضفت: «لا بد أنه ظنني شخصًا آخر. لا أملك أدنى فكرة عمَّا اعتذر عنه».

حكَّت جولييت جبهتها وسحبت الهواء عبر أسنانها، وسألت: «لم تر الأمر، أليس كذلك؟».

- أرى ماذا؟

- آسفة يا إرن، ظننت فقط أنك لست في مزاج جيد...

- مزاج جيد لماذا؟

قاطعنا صوت تصفيق عالٍ. راح الموظف الذي كان يهدئ ماكتافش يطالب بانتباه الحضور. استقرت قبعة ستوكمان الأسترالية على رأسه، يتدلى الشعر تحتها مثل كرم العنب. طُويت أكمام قميصه لتكشف عن سواعد قوية مفتولة العضلات، من النوع الذي يستطيع تثبيت خروف لجز صوفه أو اسكتلندي مدمن كحول غاضب. انتظر الغرفة حتى هدأت -استغرقت طاولة العجائز المتمردات وقتًا أطول- ثم بسط ذراعيه باتساعهما.

راح يقول: «السادة الضيوف...» تعرفت على صوته من جهاز الاتصال الداخلي. «بالنيابة عني وعن فريقي، أود أن أرحب بكم في بداية رحلتنا التاريخية على متن الغان. أدعوكم للتعرف على الأصحاب الأصليين للأراضي الكثيرة التي سنسافر عبرها خلال رحلتنا، من ضمنها شعبي، شعب أريرنتة، الذين تعرفون أرضهم باسم أليس سبرنجز، وشعب لاراكيا، الذين نبدأ رحلتنا الاستكشافية على أرضهم اليوم». توقف بفضل جولة تصفيق. «اسمي آرون، وأنا مدير رحلتكم. آمل أن يتسنى لنا معرفة بعضنا بعضًا أكثر في الأيام الأربعة القادمة. أنا هنا إذا احتجتم إلى أي شيء، وكذلك سينثيا» -أشار إلى وراء البار- «التي ستهتم بتقديم قهوتكم وخمركم. لذا من بيننا نحن الاثنين، هي من عليكم الوقوف في صفها».

قوبل ذلك بنصف ضحكة تتماشى مع الوقفة المنتظرة والابتسامة الأساسية لأي حديث رسمي.

تابع: «والآن مع الجزء المشوِّق. تحظى نهاية قطارنا بشرف استضافة مهرجان كُتَّاب أدب الغموض الأستراليين في ذكراه الخمسين» -تصفيق- «في رحلة مليئة بالرؤى اللامعة التي تتمتع بها عقول مجموعة من أفضل كُتَّاب بلدنا». تصفيق. «سنغادر في غضون لحظات، وستعقد الجلسة الأولى، وهي جلسة لقاء وتعارف مع ضيوفنا الكتَّاب، في وقت الظهيرة». توقف مجددًا، ولكن حدة التصفيق قد خفتت، ولم يلق ذلك حفاوة إلا بتصفيق متثاقل لبعض الأيدي. «ولكن قبل أن تبدأ المتعة، سنقوم بتقديم الفطور». أعاد ذلك الحماس إلى التصفيق، ربما كانت الاستجابة الأكثر حماسة حتى الآن.

«يشغل هذا المهرجان الأدبي ثماني مقصورات، من ضمنها هذا البار ومطعم الملكة إليزابيث ومقصورة الرئيس، التي استعرناها خصيصًا من أجل هذه الرحلة من أصدقائنا من القطار الهندي الهادئ. يحوي الغان اليوم قاطرتين تسحبان خمسة وثلاثين مقصورة، بطول سبعمائة وثمانين مترًا وبوزن إجمالي ألف وأربعمئة وخمسة عشر طنًّا».

توقعت أن يشعر الناس بخيبة الأمل من استبدال الفطور بالإحصائيات، ففوجئت بسماع همهمات بين الحشد ما بين الاهتمام والموافقة، وكأن الكثير من الناس يحكون أذقانهم ويتمتمون قائلين: نعم، كنت *أفكر أن هذا وزن يليق بالرحلة*، مما علمني درسًا عن الهواة كان يجب أن أعرفه بالفعل: الجميع خبراء.

تابع آرون سرد قائمة الأرقام، وأدركت بسرعة، من إسناد الضيوف لظهورهم وميلهم إلى الأمام في تركيز، أن زملاء آندي من المتخصصين في السكك الحديدية قد وجدوا هذا التدفق الممل من البيانات مثيرًا

للغاية. «خلال رحلتنا التي تبلغ ألفين وتسعمئة وتسعًا وسبعين كيلومترًا، من المتوقع أن نستهلك خمسة وسبعين كيلوجرامًا من سمك البرمون واثنين وستين كيلوجرامًا من الجبن، وقرابة ألف زجاجة نبيذ». -حظِي ذلك بقليل من حفاوة المتقاعدين المشاغبين- «وأربعة آلاف لترٍ من الوقود تقريبًا». علت الهمهمات مرة أخرى إثر ذلك، بالتأكيد كانت لآراء المثقفين بشأن الوقود اللازم للرحلة، وهذه المرة كانت للمعارضة (من السهل معرفتها، فهي همهمة ذات نبرة أخفض قليلًا) مثل: أرى أن بإمكانهم تقليل الكمية إلى تسعة وثلاثين إذا عملوا على تحسين المحركات.

مالت جولييت نحوي، وهمست: «أتمنى أن يكون لديهم كوبونات شوبا دوكيت».

ضحكت، مما لفت انتباه آرون، ومن ثم بقية الغرفة، إلينا.

سأل، وكان يعنيها بصدق: «هل لدينا سؤال؟» ولكن كان من المستحيل ألا نشعر بأن الأنظار مسلطة علينا.

اشتعل وجه جولييت خجلًا، وقالت: «المعذرة، إنها مزحة فقط». عندما استمر آرون في الابتسام إلينا بلطف، أضافت جولييت: «فكرت فقط أن ربما تحتاجون إلى كوبون... من أجل الوقود... أربع سنتات للتر الواحد على أربعة آلاف لتر، إنه تخفيض ممتاز».

لا شيء يقتل قوة المزحة مثل الإفراط في الشرح. بالفعل حصلت جولييت على بعض الضحكات، ولكني لمحت أحد الركاب ينظر إلينا مبهوتًا، كما لو كان مفزوعًا من جرأتنا على المزاح حول شيء في أهمية كميات الوقود.

اهتزت المقصورة منقذةً جولييت من أي إهانة أخرى، كانت هزة عنيفة بما يكفي لكي يهتز أولئك الواقفون ويتشبثوا بمساند الكراسي

الأقرب إليهم. صاحب ذلك أنين ألف وأربعمئة طن من المعدن قد استيقظوا للتو. أخذ المنظر يتدحرج أفقيًّا عبر النوافذ.

تابع: «أظن أن تلك إشارتي لأنهي الأمر. تحذير واحد فقط -من المحتمل أن تروا القليل من الدخان من وقت لآخر. ربما يكون على مسافة بعيدة، ولكنه قد يكون أقرب مما تودون. لا داعي للذعر. هذه الحرائق البرية طبيعية، على الرغم من أنها، إحقاقًا للحق، أشعلت عمدًا». تصاعدت بعض الشهقات في إثر ذلك، وهو ما كان يأمل فيه بوضوح، ابتسم وقال: «صدقوا أو لا تصدقوا، فإن مسبب تلك الحرائق هو طائر صغير. الحدأة على وجه الدقة. إنها تطارد حرائق الغابات وتلتقط العصي المشتعلة التي تطير فوقها ثم تلقيها فوق بقع العشب الجافة. ما إن تشتعل المنطقة، تصطاد القوارض الهاربة. لذا إذا رأيتم نارًا، ما دامت ليست داخل القطار، فلا داعي للقلق!» أشار آرون باتجاه مقصورة المطعم: «الفطور جاهز، متى تفضلون».

نهض الجائعون مسرعين، لكنني استمتعت بالجلوس لدقيقة. فبعد أن انطلقنا، استحوذ سحر الرحلة عليَّ قليلًا. رحت أشاهد أسلاك سيج محطة بريما بينما نتركها من خلفنا لتحل محلها سماء زرقاء صافية ومساحات خضراء مزدهرة وسط الرياح الموسمية، مصحوبة بصوت نقر العجلات التي تدور فوق القضبان من تحتنا والقهوة الساخنة في يدي. عليَّ أن أعترف بأنني شعرت بالسحر، وبالفخامة.

في الحقيقة، كنت مسحورًا، استغرقني الأمر خمس عشرة دقيقة أخرى على الأقل لكي أتذكر أن أسأل جولييت عما تخفيه عني بشأن وايت لويد بالضبط.

الفصل السادس

- نجمة واحدة؟!

كدت ألقي بالهاتف في الهواء عبر الطاولة، كما لو كان جمرة ساخنة اتقدت بفعل متصفح الإنترنت المجرم الذي فتحته للتو. على الشاشة كانت صفحة كتابي على الجودريدز، *كل شخص في عائلتي قتل أحدًا ما*، إذ نُشرت مراجعة جديدة للكتاب. بنجمة واحدة حمراء وصغيرة. فقط واحدة.

- نجمة واحدة لعينة؟! أين هو بحق الجحيم؟

قالت جولييت بلطف: «إرن، أظن أنك ربما تبالغ في رد فعلك».

نظرت حولي. التفتت بعض الرؤوس عن فطورهم عند انفجاري. تألفت مقصورة المطعم من دزينة تقريبًا من الطاولات ذات الأربع كراسي قابلة للطي. أخذت أدوات المائدة الفضية المصقولة تلمع في أشعة الشمس المتسللة عبر النوافذ فوق مفارش ناصعة البياض، وخطوط من الأضواء باللون الأخضر اليشمي تحيط بالسقف. تلصصت على هنري ماكتافش بينما يتناول العشاء في ركن بعيد مع وايت و -مما

أغاظني أكثر- سيمون. مالوا جميعًا إلى الأمام، منحنية أكتافهم مثل أجنحة النسر. تلك وضعية مخصصة حصريًّا للتآمر.

هممت بالنهوض، ولكن جولييت وضعت يدًا على ذراعي وسعلت باتجاه شيء ما. تبعت نظرتها وفوجئت عند رؤيتي يدي اليسرى وقد أحاطت بسكين. لقد كان مجرد رد فعل لا إرادي، أي إنني أمسكت بشيء قريب مني عندما هممت بالنهوض، ولكني فوجئت أكثر عندما ألقيتها محدثة قعقعة.

قلت بما استطعت من مرح: «لا يزال يجري فيَّ قليل من دم عائلة كانينجهام القديمة». وضعت الهاتف جانبًا، فقلبته جولييت على وجهه حتى لا تحدق النجمة الحمراء إلى وجهي. لم يكن ذلك ضروريًّا؛ فقد طُبعت كالحرق خلف جفنيَّ.

بتاريخ اليوم، نجمة حمراء واحدة. أسفلها كلمة واحدة: أرعن. كاتب المراجعة: هنري ماكتافش.

على الفور خطر اعتذار وايت إلى عقلي: «*أعني، ليس من التهذيب. لكنه ليس شيئًا يمكننا السيطرة عليه، ألا توافقني؟*».

اقترحت جولييت: «ربما انزلق إصبعه».

- أرعن كلمة من أربعة أحرف.

- أعني تقييم النجمة الواحدة.

قلت: «أي إنه استطاع أن يدخل إلى صفحته، ويبحث عن كتابي، ويفتح الصفحة، ويضغط على زر المراجعة، ويكتب رأيه ثم عجز عن ضغط زر الخمس نجوم؟». رحت أحدق إلى طاولة ماكتافش. عم يتحدثون بحق الجحيم؟ كيف لوكيلتي أن تتعامل معهما بعد هذا؟

هذه المرة طقطقت جولييت أصابعها أمام أنفي، وقالت: «إرن؟».

سمعت سينثيا الطقطقة وفسرتها على أننا نستدعيها، مما جعلنا نشعر بالترف والأسف معًا بينما نطلب الفطائر والبيض المخفوق.

قلت عندما أصبحنا بمفردنا مجددًا: «آسف، أنا فقط... أستوعب الأمر. هل حدث ذلك منذ وقت طويل؟».

هزت رأسها، وقالت: «لا أظن ذلك. رأيتها فقط في مقصورتنا، قبل أن نغادر للفطور. لم أرد أن أخيفك. لم أخفها عمدًا». زمت شفتيها مستجدية أن أتفهمها. تذكرت عندما أخبرتني أن أدعني من طلب المراجعة من ماكتافش.

قلت: «آسف، ما كان يجب أن أصرخ عليك».

قالت: «لا عليك. رغم أنني...» -نظرت إلى مكونات الطاولة- «بالتفكير في الأمر، ربما كان يجب أن أخبرك عندما لم يكن هناك سكاكين في متناول اليد. فقط تذكر، الناس الوحيدون الذين يقرأون المراجعات هم المؤلفون أنفسهم، وكُتَّاب آخرون».

قلت: «هذا ما يقلقني». ثم اعترفت: «كنت آمل أن أندمج أفضل من هذا». بدا ذلك طفوليًّا، ولكني كنت قلقًا بشأنه منذ تلقي الدعوة. جميع المدعوين لديهم عدة كتب منشورة أو عدة جوائز؛ كانوا كُتَّابًا حقًّا. أما أنا، فببساطة قد كنت في مكان حيث قتل مجموعة من الناس مجموعة أخرى وحدث أنني من دوَّن الأحداث كلها. لقد شعرت حقًّا بأنني دخيل، بالذات بعد أن عرفت أن أحد الكُتَّاب المعاصرين يراني هكذا. أدركت أن الباقين لن يتأخروا في الانضمام إلى الجوقة.

- إنك حتى لم تقابل الجميع بعد...

- لا أعلم، لا أعلم إن كنت أستحق أن أكون هنا.

بالطبع لم يقتصر الأمر على ذلك، لكن تلك كانت أفضل طريقة للتعبير عن كل مخاوفي في الجملة نفسها. ذلك أقصى ما استطعت الاعتراف به في تلك اللحظة.

- مهلًا! إن كتابك جيد مثل أي واحد من كتبهم. ثم إننا سنفقد إشارة الهاتف بعد بضع ساعات. لن يراه أحد أصلًا...

«على ما يبدو أنك تلقيت صفعة من الاسكتلندي العجوز». كان هذا الرجل ذو الحمالات الملونة الذي شككت في أنه آلان رويس، وأثبت أنني على حق. أضاف: «آلان رويس، هل تمانع؟».

لم ينتظر إجابة ولا مصافحة، بل زحف إلى المقعد المقابل لجولييت بتنهيدة. بنيته الضخمة لم تتناسب بشكل مريح مع المساحة الصغيرة للمائدة. احتوت أذناه البارزتان على شعر أكثر من رأسه، كهوائيات طويلة لدرجة أنني قررت أنه من المستحيل أن يكون غير مدرك لها، وربما كانت تخدم وظيفة مشابهة لشوارب القطط، بالنظر إلى أن رؤيته الجانبية كانت محدودة بعينيه الصغيرتين اللتين تشبهان دمية دب. عندما استقر في مكانه، ألقى نظرة حوله، أو ربما اهتز شعر أذنيه، ثم طقطق أصابعه مستدعيًا سينثيا. شعرت بموجة من الإحراج تجتاحني؛ بالتأكيد ستظن الآن أننا طاولة من مطقطقي الأصابع.

بينما يطلب طعامه، لاحظت أنه وضع الدفتر الصغير الذي كان يحمله مفتوحًا على الطاولة. كان الدفتر فوضى عارمة من الملاحظات، ولكنني لاحظت أنه كتب بخط كبير: «أقل عدد ممكن من الجرائم» وبجانبه كلمة «عنوان». أسفل ذلك كانت قائمة من الأسماء، من ضمنها اسمي واسم جولييت، كل اسم متبوع بنقاط وصفية. كتب إلى جانب اسمي: وجه ملائكي، عينان واسعتان، غالبًا ما يبدو مرتبكًا، غير أكاديمي. إلى جانب اسم جولييت، كتب: لا تليق به. ربما لهذا السبب قد ركزت كثيرًا في

وصفي أنا له على شعر أذنيه. الكُتَّاب حفنة من التافهين. كان لديه أيضًا قائمة من الملاحظات عن القطار، التي قد رأيتها بالفعل في وصفي للقطار. ثمة طرق كثيرة فقط لوصف المقصورة: سجادة زمردية اللون. في حالة الطوارئ، اسحب هنا، فأس، سمكة باراموندي= 75 كيلوجرامًا. حتى إنه سرق نكتة جولييت، إذ كتب: «كوبون الوقود».

أمسك بي وأنا أقرأ، فقلب الدفتر على وجهه. الكُتَّاب حفنة من المتحفظين كذلك.

حاولت جولييت تغيير الموضوع بعيدًا عن تقييمي، قالت: «أنت تكتب روايات التشويق الجنائي، أليس كذلك؟».

- بطلة رواياتي طبيبة شرعية، إن كان هذا ما تعنيه. الدكتورة جين بلاك: إحدى عشرة رواية وثلاث روايات قصيرة.

قلت: «أحببت مسلسل CSI».

أدار آلان عينيه، وقال: «أفضل أن أصنف نفسي كاتبَ روايات تتناول المجتمع والانحطاط والإنسانية، والجريمة في حد ذاتها ليست سوى المحرك لحوار..». -توقف لوهلة بتصنع واضح- «مستنير أكثر حول بعض القضايا الواقعية. إنني أجد كل تلك الأشياء المتعلقة بمسلسل CSI» -تجعدت شفتاه في ابتسامة ساخرة بينما اختار كلمته التالية بتمعن- «رعناء».

كان هذا الكلام ثقيلًا بعض الشيء، خصوصًا من شخص، اكتشفت لاحقًا من خلال بحثي، قد كتب رواية قصيرة تدور حول رحلة الدكتورة جين بلاك عبر الزمن لإجراء تحقيق جنائي في جريمة قتل ديناصور. لكن الردود الذكية تأتي عادةً إما بعد فوات الأوان وإما بمساعدة «جوجل»، وبما أنني كنت أفتقد كليهما في تلك اللحظة، لم أستطع إلا أن أرد بنظرة غير أكاديمية.

واصل آلان حديثه غير منتبه لانزعاجي، قال: «أتعرف، ما تريده هو واحدة، أو خمسة بالطبع. لأنك تستطيع استخدامها في الدعاية. أما اثنتان، هذا سيئ. لكن واحدة، هذه كارثة تُسجَّل في التاريخ. سيشعر الناس بالحاجة ليروا مدى سوء الأمر».

- قد يدهشك هذا يا آلان، ولكنك لا تجعلني أشعر بتحسن.

- تعلم أن وايت لويد رفض أول نص لي أربع مرات قبل أن يوافق على نشره؟ هذا كله جزء من اللعبة.

رفع ذلك من معنوياتي قليلًا بالفعل. انضم صوت نسائي إلينا، قال بينما انزلقت صاحبته إلى المقعد بجانب آلان: «هل أصابك ماكتافش بضربته؟» كانت تنظر إلي وهي تتحدث، مما يعني أنها رأت التقييم أيضًا. «إرنست، أليس كذلك؟».

أومأت.

قالت: «أنا ليزا». (لن أتباهى، ولكني أصبت الهدف) «أنتما الكاتبان الآخران، صحيح؟ أفضل ألا أجلس مع الضيوف».

تصافحت الأيدي بينما قالت جولييت: «سعدت بمقابلتك. جولييت».

قالت ليزا: «تشرفنا. آلان..». انتظر رويس طويلًا بعض الشيء آملًا في أن تتعرف عليه، وقال: «رويس».

- آه، الرجل الذي يكتب عن التشريح الدموي. أمي تقرأ كتبك.

ذلك نوع آخر من مجاملات النشر، أنا لا أقرأ كتبك، لكن شخصًا أعرفه يقرأها.

- أفضل أن أصنف نفسي ككاتب روايات تتناول المجتم...

صحت قائلًا: «ضربة ماكتافش؟ يا إلهي كم هذا سيئ. هل هناك أحد لم يرها؟».

قالت ليزا: «لا تقلق، الناس الوحيدون الذين يقرأون المراجعات هم..».

- كل من في هذا القطار.

قال آلان كما لو كانت منافسة: «لست الوحيد الذي حصل على مراجعة يا رجل، لقد كتب لنا جميعًا».

قلت: «حقًّا؟». بدا الأمل الذي اكتسى به صوتي مثيرًا للشفقة، أنني أعزي نفسي بمشاركة الآخرين في مصيبتي.

رفع إصبعه مصححًا، وقال: «حسنًا، لم يعطنا جميعًا تقييمًا بنجمة واحدة، ولكنه كتب لنا مراجعة. لكل كُتَّاب البرنامج. منحني أربع نجمات، ولكنها أقرب إلى الخمسة».

قالت جولييت بهدوء: «ربما انزلق إصبعه».

لم أستطع المقاومة: «ماذا قال؟».

- كلمة واحدة، مثلك تمامًا: بديع.

تدخلت ليزا، بدت عيناها وكأنهما تعتذران لي: «ربما اكتفى إرنست من الحديث عن التقييمات».

- بحقك، وكأنك لا ترغبين في الحديث عن تقييمك.

نظرت إلى الطاولة: «حقًّا لا أرغب».

رفع آلان خمسة أصابع قصيرة في وجه جولييت، وقال: «خمس نجوم! كتب لكِ «حصيف»، أليس كذلك؟».

- شيء مثل ذلك.

«هذا غريب». التقطت جولييت هاتفي وتصفحت بضع صفحات. قدمته لي لألقي نظرة، وقالت: «إن حسابه ليس نشيطًا بالمرة. لم يضف

مراجعة لأحد قط حتى هذا الصباح، ثم كتب مراجعة للكتب الخمسة الخاصة بكم دفعة واحدة».

رأيت في حساب ماكتافش أنه بالفعل لم يكتب سوى خمس مراجعات في حياته، وكلها صباح هذا اليوم. كتاب ليزا فولتون الوحيد، «توازن العدالة»، دراما قانونية نُشرت منذ واحد وعشرين عامًا عن لص سيارات تعرض لاعتداء جنسي من القاضي الذي ترأس قضيته، وقد حصل على خمس نجوم مرفقة بكلمة «حصيف». رواية آلان رويس، «جلد بارد: دكتور جين بلاك 11#»، حصلت على أربع نجوم مع كلمة «بديع» حتى الآن، كل شيء دقيق. أما كتاب إس إف ماجورز القادم، «الغريب الغامض»، وهو رواية إثارة نفسية كانت جولييت تقرؤها حاليًّا، فقد حصل على ثلاث نجوم وكلمة واحدة بدوره «شنيع».

قلت، من قبل حتى أن أتحقق من تقييم فولفجانج: «لقد صنفنا». وكما توقعت، كانت اثنتين.

قرأت جولييت بجانبي: «لامع».

قلت: «تبدو وكأنها خمس نجوم». إن استخدام كلمة مدح مثل «لامع» أمر غريب بالنسبة إلى تقييم من نجمتين. إلا إذا يُقصد منها: أفضل الموت على هذا.

قالت ليزا: «أشك في أن فولفجانج قد رآه. لا يكثر الكُتَّاب الأدبيون من الانشغال بالإنترنت مثلنا. لو كنتُ مكانك لما أخبرته».

أومأتُ وجولييت موافقين. لا يحتاج المرء إلى موافقة الغرباء عندما تكلل أعماله بالجوائز. وكان فولفجانج يكتب كتبًا لا تعتذر للقراء ولا تتودد لهم، وكأنها تقول: لو كانت أعماله صعبة عليك (وقد كانت كذلك بالنسبة إليَّ)، فتلك مشكلتك.

قال آلان بزهو: «ليس تصنيفًا عادلًا بالضبط، أليس كذلك؟» ثم التفت إلى ليزا: «خمس نجوم؟ بحقك؟» أدرك أنه كان الوحيد الذي يضحك، فأعاد ضحكته إلى داخل فمه، وقال: «ماذا؟ لطالما كنت المفضلة لديه».

بدت ليزا وكأنها توشك أن تضربه، قبل أن تتدخل جولييت لتخفف التوتر، قالت: «الأمر ليس منافسة، ولا حتى رأيًا نقديًّا. هو مجرد رجل يجلس أمام لوحة مفاتيح ويحاول العبث معكم، والكل يقع في الفخ بالمناسبة. الأمر بلا معنى».

لمعلوماتك فقط، الأمر ليس بلا معنى بالضبط. أنا أكتب هذا لأن ذلك ما ظننته حينذاك، وحتى الآن، أكتب كل شيء مرة أخرى، على الرغم من أن الأسباب مختلفة، وما زلت متمسكًا برأيي.

قال آلان موافقًا أخيرًا: «إن الأمر لا يزعجني. يمكنه أن يمنحني نجمة واحدة، لا يهمني. إن التوصية أهم بكثير من مراجعة على الإنترنت».

قلت مندهشًا، وبنبرة غير موفقة جعلت آلان يتردد: «هل سيمنحك توصية؟».

- ماذا تقصد بالضبط بذلك؟

تراجعت بسرعة: «ظننت فقط أن ماكتافش لا يكتب توصيات، هذا كل ما في الأمر».

قال آلان وقد اكتسى وجهه بنظرة خبيثة لطفل يحمل سرًّا: «لا يفعل. إلا إذا أسديت له معروفًا».

منعه وصول الطعام من الاسترسال في الشرح، فامتنع عن لعبة المقارنة. أكلت بسرعة. على عكس القطار نفسه، فلم يكن لدي أربعون ألف لتر من الوقود الاجتماعي، وخشيت أنني استهلكت الكثير منه مبكرًا في التعامل مع ثرثرة وايت لويد وغرور آلان رويس. أردت العودة إلى

مقصورتي والجلوس في هدوء مع نفسي مجددًا، رغم أن ليزا بدت لي شخصًا يستحق أن أعرفه أكثر قليلًا.

قالت ليزا حين هممنا للمغادرة: «أعجبني كتابك حقًّا. عمل جدير بالاحترام. ما هو عملك القادم؟».

لو بدت لك كلمة «جدير بالاحترام» لا تستخدم عادة لتصفني، فستكون محقًّا. فقد كانت تتحدث إلى جولييت. شعرت بدفعة من الخجل. لقد عكفت على القلق بشأن اندماجي هنا لدرجة أنستني التفكير فيما قد تشعر به جولييت بسبب عدم وجودها ضمن البرنامج، أو كيف أنها تستحق أن تعامل ككاتبة في نورها الخاص، وليس في ظلي، كما فعلت ليزا للتو. قلت إنهم سبعة كُتَّاب، أتتذكر؟

قالت جولييت: «أوه، إنني أتنقل بين بعض الأفكار..».

ربتُّ على يدها، وقلت: «تنتظر مغامرتها التالية».

قالت: «شيء من هذا القبيل». يمكنني أن أقول لك بفضل الإدراك المتأخر للأمر إن جولييت قد تكلفت ابتسامتها، رغم أنني لم ألحظ ذلك في حينها. ومع ذلك، فقد كانت جولييت وقد أثلجت مجاملة ليزا صدرها، مبتهجة في طريق عودتنا إلى مقصورتنا. استغرقت في التأمل، محاولًا استيعاب ما حدث في الصباح. ليس فقط بسبب ماكتافش والمراجعة والملخص والصداقة الحميمة بين سيمون ووايت وبينه والشعور العام بالإحباط من أن أربعة كُتَّاب على طاولة لا يستطيعون مقاومة التنافس، ولكن لأن دفتر آلان رويس أزعجني.

بدا لي غريبًا أنه كان يحمل قائمة بأسماء كل شخص في الرحلة. لماذا كتب أسماءنا جميعًا، وكيف نبدو؟ بالطبع، بعض الكتاب يسجلون كل شيء كمبدأ أساسي، لكن ذلك بدا مبالغًا فيه، ومحددًا. لماذا يدون هذا النوع من الملاحظات؟

هل كان يكتب كتابًا عن الرحلة؟ أعلم أن هناك شيئًا من النفاق في أنني أكتب حاليًّا عن الرحلة، لكنني على الأقل انتظرت حتى يموت أحدهم لأبدأ. لم أتمكن من التخلص من الشعور بأن الأمر كان أكثر من مجرد تدوين ملاحظات عادية.

كان الأمر أشبه بأنه كان يعرف أن شيئًا ما على وشك الحدوث.

قنبلة

الفصل السابع

تابع قطار الغان سيره. أخذت المنطقة الشمالية تمر بسرعة عبر نوافذنا حتى اختفت.

مرت أطلال صخرية تتخللها أشجار كثيفة وعوجاء، ليست أطول من آلان رويس، منحنية ظهورها وكأنما تحمي نفسها من الشمس الساطعة، لتحل محلها رمال برتقالية تغطيها نباتات شوكية، وازداد تألق المشهد بفضل زرقة السماء الصافية التي لا تشوبها شائبة. سكن الأفق البعيد المسطح، وبدأ اتساع الصحراء الأسترالية الشاسعة، التي لم نبلغ حافتها بعد، يدب في نفسي رهبة. كنا مثل نملة تشق طريقها عبر صندوق رمال.

توقفنا بعد ثلاث ساعات للمرة الأولى منذ انطلاقنا في حديقة نتميلوك الوطنية في منطقة كاثرين. نزلت بتثاقل على درجات السلم المحمول إلى الأرض الخشنة. لم يكن هناك محطة، فقد توقف القطار في وسط السكة الحديدية، وزادت هيبته عندما بدا خارجًا عن المألوف، حيث هيكله الفولاذي اللامع لا يحيط به سوى الأشجار والسماء وأصوات الطيور. أحسست بعمق خطواتي التي تترك أثرًا في التراب، في هذا المكان الذي لا أنتمي إليه، ولا تنتمي إليه هذه الأفعى المعدنية العملاقة.

بعيدًا، على مقربة من رأس القطار، انتظرت صفوف من الحافلات، على بُعد كيلومتر تقريبًا. كانت ستأخذ السياح غير المشاركين في المهرجان في جولتهم عبر وادي كاثرين البديع: جدران صخرية عالية تحد نهرًا صافيًا يعج بالتماسيح. كان ثمة قرابة أربعين كرسيًّا قابلًا للطي أمام مقصوراتنا، منصوبة في التراب الأحمر ليجلس عليها أعضاء المهرجان. كان ثمة ستة كراسي أخرى في مواجهة المجموعة، وميكروفون لا سلكي على كل واحد منها وسماعات صغيرة على كلا الجانبين. من خلفها كان هناك حامل لوحات فوقه لوحة مستطيلة مغطاة بغطاء أسود.

قبَّلت جولييت وجنتي، وقد ظننتها لوهلة قبلة حظ، لكنني سريعًا ما أدركت أنها تسير في الاتجاه المعاكس وأنها كانت قبلة وداع.

- ألن تبقي؟

تجعدت قسماتها بينما اعترفت قائلة: «قال آرون إنه سيصحبني خلسة إلى جولة الوادي». إنه شعور مرح بالذنب، بالطبع لا مجال للاختيار بين إحدى عجائب الطبيعة الأسترالية وستة كُتَّاب يستعرضون غرورهم. لم أتمكن من إخفاء خيبة أملي جيدًا، فبالغت في حماستها قائلة: «ستكون رائعًا!... إلا إذا كنت تريدني أن..». كان العرض باردًا، وجسدها مائل بالفعل نحو الحافلات السياحية كعدَّاء ينتظر إشارة البداية. تجمع الناس من خلفنا ببطء فيما انشغل الكُتَّاب باختيار مقاعدهم. تجولت إس إف ماجورز حاملة ملف من الورق والملاحظات، أما هنري ماكتافش فكان يتهادى بخطى بطيئة موليًا لنا ظهره، ممسكًا بعصا مزينة بالفضة راح يغرزها في التراب مع كل خطوة حتى كادت تتشظَّى. أما آلان رويس، فكان يتبعه مثل الجرو ويأكل أذنه بثرثرته. اختار هنري أبعد كرسي من الستة، بجانب ليزا فولتون التي كانت جالسة بالفعل، ربما أملًا في

التخلص من رويس. تجمد رويس لثانية وأخذ يبحث حوله، ليجد أن فولفجانج قد احتل بالفعل الكرسي المركزي الأهم، ليلتقط آخر كرسي من دون خجل ويضعه إلى جانب ماكتافش الفارغ.

لم أستطع سماعه من مكاني، لكن فمه لم يتوقف عن الحركة، وكأنه لم يخطر في باله لحظة واحدة أن ماكتافش لا يريد الجلوس بجانبه. وما إن جلس رويس، وقفت ليزا وتحركت إلى الطرف الآخر، سواء كان ذلك للتأكيد على فشل مسعى آلان البهلواني أو بسبب عدم اهتمامها بالجلوس بجانب ماكتافش، لم أكن متأكدًا.

قلت لجولييت بابتسامة مصطنعة على وجهي: «لا تكوني سخيفة، التقطي الكثير من الصور، وحاولا ألَّا تؤكلي».

نظرت جولييت نظرة أخيرة نحو المنصة ونحو جمع الكُتَّاب، وقالت: «وأنت أيضًا».

- مرحبًا بكم في جلستنا الأولى المثيرة!

اتضح أن إف إس ماجورز هي من تولت مسؤولية تقديم الجلسة. علمت أنها ترأست مجلس المهرجان، لأنها هي من دعتني، وأذكر هذا هنا لأن في روايات الجريمة والغموض مثل هذه، من المهم دائمًا معرفة من الذي دعا الضحايا المحتملة إلى المكان المحدد الذي يُحبسون فيه. إنك تعرف المشهد: تظهر شخصية ما تحمل دعوة، وتقول لشخصية أخرى: «أنت من دعوتني إلى هنا». فتحمل الشخصية الأخرى الدعوة نفسها، وتقول بينما ينعكس ضوء البرق على وجهها: «كلا، لم أدعُك، **أنت** من دعوتني إلى هنا». هنا تبدأ الأحداث. الآن لديك الإجابة: هي من جمعتنا جميعًا هنا.

قد لا يكون سبب دعوتي ذا أهمية للقصة. ولكن لا بد من أنه مهم بالنسبة إلى شخص ما. أنا فقط لا أعرف من هو بعد.

قدمت ماجورز الحضور مصحوبًا بتصفيق خافت، والذي بدا أكثر بؤسًا في الفضاء الفسيح عما قد يكون في الداخل.

لمحت بعض الرقاب الملتوية بحسرة وهي تطالع آخر الحافلات السياحية المغادرة.

انتهى بي الأمر جالسًا بجانب ليزا فولتون في الطرف المقابل لرويس وماكتافش. إلى جانبي فولفجانج، وجلست ماجورز بينه وبين ماكتافش. اضطررنا جميعًا إلى تحريك مقاعدنا قليلًا للتعويض عن تبديل رويس لمقعده.

تجاهلت المقدمات التعريفية وأخذت نظرة متفحصة لأول مرة على ماكتافش. الشيء الأساسي الذي لفت انتباهي هو أنه لم يبدُ كما توقعته. بالطبع يمكن للكُتَّاب أن يشبهوا أي أحد، ليس الأمر جسديًّا فحسب، فقامته كانت في نقطة ما بين كتلة رويس البدينة ونحافة فولفجانج، أما شعره الخفيف، فكان فوضويًّا يوحي بعدم العناية به، ولكن ليس لدرجة أن يبدو غريبًا، وهذا كله من معايير المؤلفين المعتادة، ولكن الكُتَّاب لديهم مظهرهم الخاص بالفعل. ثمة بعض الاختلافات، جدية إس إف ماجورز على سبيل المثال، فهي تعكس شخصية كاتب يرى ويحلل كل شيء على أنه فرصة، وحرص رويس على الثناء هو غرور يخفي نقصًا جسيمًا في ثقته بنفسه. لكن ذلك كله يتجلى في العينين: نافذة كل شيء. إن عين الكاتب واسعة وفضولية، تستقبل العالم وتقلِّبه، تستجوبه وتفسره، سواء كان ذلك بدافع الغرور أو الإبداع. رأيت ذلك تحت وجه فولفجانج العبوس، وتحت خجل ليزا، حتى في دفتر رويس الخبيث. لكن ماكتافش لم يكن لديه أي من ذلك، عكست عيناه التذمر والترقب كما لو كان طالبًا ينتظر انتهاء فترة العقوبة. صدمتني رؤية كاتبي المفضل بهذه الصورة. أعلم أن موافقته على حضور هذا المهرجان هي

انتصار كبير، ولكن الآن أدركت لماذا يتجنب مثل هذه الفعاليات، لا بد أنه يشعر وكأنه ينفذ عقوبة.

بدا جليًّا أن جانبه الأيسر الذي اتكأ عليه في أثناء سيره بالعصا متهالكًا، لم أجد كلمة أفضل من هذه. بدت سترته الصوفية وكأنها معلقة ومرتخية على كتف أشبه بشماعة ملابس، وبدا بنطاله مهلهلًا حول ركبته الهزيلة، بينما كان ملءُ ملابسه في الجانب الأيمن أكثر. لم يكن مشوهًا، لكنه غير متوازن، بدا كالرغيف الذي وُضعت عليه بالخطأ بقية البقالة. كأن سائقًا سكران قد صدمه في إحدى الليالي، ثم انطلق بسرعة تاركًا إياه ملتويًا ومكسورًا بداخل بالوعة. وقد حرص بالطبع على تضمين ذلك في دعاية عمله: قيل له إنه لن يمشي مجددًا، ولن يكتب مجددًا. وانظر إليه الآن. عاد من حافة الهاوية.

استندت عصاه إلى المقعد المجاور له، ورأيت الآن أن الزخرفة البارزة أعلاها كانت صقرًا فضيًّا براقًا. ارتشف من قارورة براقة مماثلة أخرجها من جيب سترته الصوفية، وظل يكرر ذلك لدرجة جعلتني أتساءل لماذا يزعج نفسه بإحكام الغطاء في كل مرة.

استهلَّت ماجورز الحوار قائلة: «فلنبدأ بك يا ليزا. روايتك الأولى، توازن العدالة، التي صدرت منذ واحد وعشرين عامًا، لقد كانت ظاهرة عالمية أعادت الحياة إلى دراما قاعات المحاكم، وبصوت نسائي جديد كذلك. لا تزال تُطبع إلى اليوم! يتطلع الكثير من الناس، وأنا من ضمنهم، إلى كتابك التالي بفارغ الصبر. وإننا متشوقون لصدوره بحلول عيد الميلاد أخيرًا. اسمحي لي بصراحتي، ما الذي استغرقك كل هذا الوقت؟».

أجابت ليزا أمام الحشد بنبرة مشوبة بالتكلف: «في الحقيقة، كان من الصعب كتابة عمل جديد بعد توازن العدالة. أرى أن بعض أجزاء تلك

الرواية سابقة لأوانها. وأعتقد أن العالم قد انضم أخيرًا إلى الحديث الذي رغبت في إثارته حول النساء وحقوقنا».

قالت ماجورز وقد بدت كأنها تستعد للسؤال التالي: «هذا مذهل. إذن لم يكن الضغط الذي سببته الرواية الثانية هو السبب في الفجوة الزمنية؟».

قالت ليزا بشيء من التوتر: «إنني كأي شخص آخر أصاب بعجز الكتابة. استغرقت وقتًا في البحث عن الفكرة المناسبة... ولكن لا يمكنني القول إن ذلك هو السبب الحقيقي. أردت أن أكون في الحالة النفسية المناسبة لنشر رواية أخرى؛ إن كتابة كتاب أمر يُثقل الروح كما تعلمون. كما أنني أظن أن الكتاب الجيد يظل كتابًا جيدًا بغض النظر عن المدة التي استغرقتها كتابته».

- ألم يعرقلك أطفالك؟ على حد فهمي أنك أصبحت أمًّا عزباء بعد روايتك الأولى مباشرة؟ أصبح لديك طفلان في العام نفسه، طفل كتاب وطفل حقيقي. لا بد أن ذلك أمر شاق.

قالت ليزا من دون حتى أن تتكلف ابتسامة: «لا أظن أنك قد تسألين هذا السؤال لأب أعزب. كنت سأسأل النساء الأخريات هنا، ولكن يبدو أنني الضيفة النسائية الوحيدة في هذه الجلسة. هذا مؤسف، عندما يجب أن ندعم بعضنا بعضًا».

أدركت ماجورز ما تلمح إليه، وقالت: «هذه فرصة جيدة للانتقال إلى ضيفنا التالي. إرنست كانينجهام، أظنك مختلفًا عن ليزا بطريقة ما، إذ إني لا أظن أن أحدًا ينتظر كتابك التالي».

أصابتني هذه الإهانة من حيث لا أتوقع، وأخذت ثانية لأتمالك نفسي، وقلت: «أمم... في الحقيقة... أعتقد أن الناس أحبوا كتابي الأول. آمل أن يرغبوا في قراءة آخر».

أطلقت ماجورز ضحكة ساخرة مصطنعة، وقالت: «بالطبع، بالطبع. لقد عنيت فقط أننا جميعًا نأمل ألا تضطر لكتابة كتاب آخر. بالنظر إلى ما حدث لك، وبخاصة لمن حولك، في المرة الأخيرة».

تمتمت: «آه، آسف». سمعت سعالًا عاليًا، ورأيت سحابة من دخان برائحة التوت الأزرق تقريبًا ترتفع من بين الحشد. من تحتها كانت سيمون مسندة يدها إلى ذقنها وراحت ترسم خطًّا بسبَّابة يدها الأخرى على خدها. كانت تخبرني أن أرفع عيني للأعلى وأرفع صوتي وأبتسم أكثر. ربما بدت للرائي وكأنها تمرر إصبعها على رقبتها. استجمعت بعض الطاقة، وقلت: «بالتأكيد، لا أتمنى أن أمر بهذه التجربة مرة أخرى. بالأخص بالأرباح نفسها!» حتى سيمون ابتسمت إثر ذلك. شعرت بالارتياح واندمجت أكثر في الحديث: «ولكنني أكتب. إنني أعمل على رواية».

قال فولفجانج، بطريقة ليست هادئة بما يكفي مما جعل دهشته من أنني قد سمعته مصطنعة بالكليَّة: «حظ موفق».

قلت موافقًا: «أخبرني المزيد. لم يقل لي أحد إن كتابة الأدب بهذه الصعوبة».

قال فولفجانج: «إنها صعبة بالنسبة إلى البعض». أدركت أن تعليقه الأول لم يكن هدفه التحالف المتواضع الذي اعتقدته.

- المعذرة؟

لوى أصابعه كما لو يصف فيلمًا مرعبًا، وقال: «كتابك. حيث تقطعت بكم السبل على جبل، حيث القاتل المتسلسل. كلها أمور مثيرة للغاية، ذلك النوع من الهراء الرخيص الذي يزيد من مبيعات الكتب، أنا متأكد».

قلت: «لم أكن أفكر في مبيعات الكتاب في هذا الوقت، إذ كنت مشغولًا قليلًا في محاولة البقاء على قيد الحياة». مما أثار بعض الضحكات من الجمهور.

- إنك ماهر في صد الهجوم. يبدو أن دروس مهارات التواصل الإعلامي قد أثمرت.

- المعذرة، هل تتهمني بشيء ما؟

تدخلت مضيفتنا: «لا بأس من بعض المحادثات المشاكسة في المهرجانات، ولكن فلنحافظ على رقي الحوار».

قال فولفجانج: «لا أقصد أي إساءة». لم يوجه الحديث إليَّ حتى، بل راح يغازل الجمهور كما لو كان الراوي وأنا المهرج المسكين في مسرحية هزلية، تنضح كلماته بالتعالي كلما نطق: «من الواضح أن هناك إقبال على هذا النوع من الكتابة، هكذا يمكن لكاتب مثلك تحقيق مثل هذه المبيعات».

قلت ساخرًا: «ماذا تعني بالضبط بكاتب *مثلي*؟».

قال ضاحكًا: «مثل أولئك الخبراء في فن كتابة الروايات الشعبية. أقول هذا من باب الثناء بالطبع، لكل مقام مقال».

راحت ماجورز تعبث بورقة في ملفها بيدين ترتعشان تحت وطأة التوتر. حاولت عاجزة استعادة انتباهنا، قالت: «حسنًا، أظن أننا ربما..».

التفتُ إلى فولفجانج، وقلت: «كلا، آسف، عندي فضول لمعرفة ماذا بالضبط الذي يجعل كتابتي شعبية وكتابتك أدبية؟ لا يمكنك أن تحضر مهرجانًا عن أدب الجريمة وتزدري فئة أدبية بأكملها بينما كل ما فعلته أنت هو تقليد كابوتي».

ارتبك فولفجانج قليلًا. تابعت: «كلها كلمات على ورق. أنا أضع من روحي فيما أكتبه بقدر ما يفعل أي كاتب هنا».

وضع ساقًا على الأخرى واستند بظهره، كما ليوحي أن رده لا يقبل الجدل وأنه لن يسترسل في هذا الحديث: «إذا كنت لا تعرف الفرق بين الأدب الشعبي والأدب الأصيل، فهذا يفسر سبب المشكلة».

كما هو متوقع، تدخل آلان رويس قائلًا: «لا شيء يدعو للخجل، كلنا بدأنا من نقطة ما».

قلت: «يبدو لي أن الفارق الوحيد هو وجود لقب أو عدمه يا فولفجانج». ضحك الحشد مرة أخرى في إثر ذلك، الأمر الذي أثار غضب فولفجانج لينتصب في جلسته مجددًا.

- أنت تكتب عن الدماء والأحشاء على سبيل التسلية، كنوع من الترفيه. هذا مبتذل جدًّا. بعد خمسين عامًا، ستلفظ الآلات أمثال تلك الكتب. كما أن نثرك رديء بكل تأكيد. لست الوحيد هنا الذي يعتقد ذلك.

وجه نظره نحو ماكتافش، الذي رفع عينيه عن زجاجته بعض الشيء، وحينها أدركت أننا أخطأنا بشأن كون فولفجانج متغطرسًا بما يكفي لئلا يقرأ المراجعات على الإنترنت. يبدو أن ليس بمقدور أي قدر من الاستحسان أن يضمد جرحًا تسبب به غريب على الإنترنت. كنت قد حضرت ندوات من قبل، عند صدور الكتاب لأول مرة، واعتدت هذا النوع من الأسئلة اللاذعة من حين لآخر بالطبع. لكن معظم الكتَّاب يتسمون بالسخاء والود. أما هذه المناظرة الأدبية فقد بدت لي شديدة العدائية. والآن فهمت السبب؛ كان فولفجانج غاضبًا لأن ماكتافش قد أعطاه مرتبة أقل مني، وكان يحاول أن يثبت تفوقه علينا. المسألة كلها تدور حول غروره.

- هل تريد أن تعرف الفرق بين الأدب الشعبي والأدب الرفيع؟ بين الكاتب الحقيقي والكاتب الهاوي؟ سأخبرك: إنها الظروف.

- الظروف؟

قال ساخرًا: «إنك تستخدم الكثير من الظروف».

بدا لي قوله إن الكتّاب الحقيقيين لا يستخدمون مجموعة كاملة من الكلمات المشروعة في اللغة الإنجليزية نوعًا فجًّا من التعالي، ولكنني أعترف أنني من الارتباك ما جعلني عاجزًا عن التعبير. بقيت صامتًا، مشدوهًا ومحرجًا وغاضبًا في آن معًا.

قال ماكتافش: «دع الفتى وشأنه». أدهشني دفاعه عني مثلما أدهشني أنه كان منتبهًا بالفعل. استخدم الميكروفون كما يستخدمه والد العروس، بغير خبرة، راح يبعده عن فمه بحيث تخرج الكلمات متقطعة، ويقربه بشدة منه بحيث يرتد الصوت بحدة. أضاف: «لا بأس ببعض الدماء والأحشاء، أظن أنه جيد».

عدنا إلى الإيقاع المعتاد للندوة كما تحترق شظية من الماغنيسيوم المشتعل ببريق قصير الأمد، ولكن لم تخل من همسات الإثارة بين الحضور ممن لم يعودوا يشعرون بالندم على تفويت جولة الوادي. جاءت المجموعة التالية من الأسئلة موجهة إلى فولفجانج، وبدأت بنقاش حول اقتباسه لرواية «بدم بارد»، ثم انتقلت إلى مشروعاته المستقبلية. تبيّن أنه لا يعمل على أي كتاب جديد في الوقت الحالي، بل يركز على ما أسماه «تركيبة فنية تفاعلية» بعنوان «موت الأدب». بدأ معظم جُمله بعبارات مثل «حسنًا، كما ترى» و«كما تعلم»، بينما تحدث عن تأثيرات تكاد تكون مكونة بالكامل من فلاسفة غامضين. وجدت ذلك مزعجًا، لكنني التزمت الصمت.

همست ليزا في أذني: «ها نحن نبدأ بوصلة من التفاخر الأدبي. لا تدعه يؤثر عليك».

- ما هو الظرف؟

استغرقها الأمر لحظة لكي تدرك أنني لم أكن أمزح. راودني شعور مؤرق بأن التحالف الوحيد الذي أملكه على وشك أن ينهار. وما لبثت الابتسامة التي ارتسمت على وجهها أن تلاشت تدريجيًّا حتى اختفت.

أخيرًا انتهى فولفجانج من خطبته، وانتقلت الأسئلة إلى ماكتافش. ظهر الاهتمام واضحًا على الحضور، حيث انتصب الجميع في مقاعدهم، بدا واضحًا أن ماكتافش، في واحدة من إطلالاته النادرة على الساحة الدولية، هو الشخص الذي جاء الناس لرؤيته. ولدهشتي، بمجرد أن تسلطت الأضواء عليه، بدا كأن أحدهم قد ضغط زرًّا ما. لم يعد متكئًا على كرسيه بينما يحدق إلى زجاجته. أصبح مفعمًا بالحيوية، وراح يسلي الحضور بحكايات عن الأراضي الاسكتلندية الممطرة، وعن نشأته الفقيرة، وكيف كان عليه أن يقاتل بشدة ليس فقط لنشر كتبه، بل ليُؤخذ على محمل الجد ككاتب (وربما كان هذا السبب الذي جعله يدافع عني، رغم أنني ما زلت أعاني من أجل نسيان تلك النجمة الحمراء الصغيرة). وروى كيف -فترة تعافيه في المستشفى بعد حادثه- خشي أنه لن يكتب مجددًا أبدًا. وأنهى حديثه متمنيًا أن يستمتع الناس بأحدث رواياته عن المحقق موربند: «مجيء الليل».

ارتفعت يد في إثر ذلك. كانت السيدة الشابة التي رأيتها ممسكة بنسخة من كتاب «بؤس».

قالت ماجورز: «سيتاح وقت للأسئلة في النهاية».

أخذت الفتاة تتمايل وكأنها تريد الذهاب إلى الحمام، قالت: «الأمر فقط... كنت آمل أن تتحدث أكثر عن «بزوغ الفجر» بما أنها أحدث أعمالك. بالمناسبة يا هنري، لقد أحببت الطريقة التي..»».

قالت ماجورز مرة أخرى بلهجة حازمة أشبه بلهجة المعلمين: «شكرًا لك، سيكون هناك وقت للأسئلة في النهاية». ثم التفتت إلى الجمهور.

تدخل ماكتافش: «إن الشابة محقة. رغم أنني أعتبر كلا الكتابين يكمل أحدهما الآخر. بالطبع لن يكون لرواية «بزوغ الفجر» أي معنى من دون قراءة «مجيء الليل» أولًا، والتي صدرت هذا الأسبوع بغلاف جديد. ثمة العديد من تواريخ الإصدار والصيغ والدول التي يجب متابعتها، من السهل أن تختلط الأمور. ما أحاول قوله هو: اشتر الاثنين فقط». نظر ماكتافش إلى الحشد بمرح فاستجابوا له بالضحك.

عادت ماجورز إلى صلب الموضوع، قالت: «لا يسعني أن أتخيل كم الصعوبة والتعقيد في اختيار نهاية تجمع سلسلة من ستة عشر كتابًا معًا. كيف كان شعورك في وداع مثل هذه الشخصية المحبوبة؟».

تعثر ماكتافش في كلماته، وقد ظهر تلعثم خفيف في حديثه تحت تأثير الكحول، واختفى ذلك البريق الذي ملأ حديثه السابق. كان من الواضح أنه سكير ذو قدرة على إلقاء العبارات المحضرة مسبقًا ولا يجيد الارتجال. راح يمسح الحشد بعينيه، ولاحظت أنه استقر على وايت، لم يكن ذلك بحثًا عن الطمأنينة، كما سبق وفعلت مع سيمون. بل اتقدت عيناه بالانزعاج. تقلص وايت في كرسيه، لا يهم من هو صاحب الشركة، فقد بدا واضحًا من هو المتحكم بزمام الأمور. أجاب ماكتافش موجهًا الإجابة له: «الوداع كلمة قوية جدًّا. لا أريد أن أفسدها على من لم ينهوا السلسلة بعد، لكن ليس ثمة باب يظل مغلقًا للأبد».

أجابت ماجورز بلباقة، مدركة تحفظ ماكتافش المتعمَّد: «أشعر أننا سنحصل على سبق صحفي منك بهذا القدر فقط. إذن لدي سؤال أخير من أجل أصحاب المهنة من الجمهور. هل صحيح أنك تكتب كتبك كلها على الآلة الكاتبة؟ سمعت أنك تفعل ذلك لحماية العمل من التسريبات، لتكون هناك نسخة واحدة مطبوعة لكل نص. يبدو هذا حلًّا مبالغًا فيه كثيرًا».

- ليست مبالغة كبيرة لو فكرت في الأمر. كانت مخطوطات ج. ك رولينج تُقيَّد بأصفاد إلى معصم ناشرها، مثل رموز الأسلحة النووية لرئيس الولايات المتحدة. أما ناشرو دان براون فقد ألزموا مترجميه بالعمل من قبو في ميلانو لشهر كامل بلا إنترنت، ويذهبون إلى الحمام تحت حراسة أمنية. لا يمكنك الاستخفاف بالأمر. يجب أن ترَيْ بعضًا مما هددني به الناس للحصول على مخطوطة. ومع توفر كل شيء على صفحات الإنترنت هذه الأيام، فإنني لا أثق بالحاسوب. إلى جانب أنني أحب ملمس الأزرار.

لم أستطع مقاومة السؤال: «ماذا لو احترق منزلك؟» وبصراحة، شجعتني حقيقة أنه أخذ صفي قبل قليل.

كانت هذه أول مرة أتحدث فيها مباشرة إلى ماكتافش، وقد نظر إلي مستنكرًا كما لو يحاول أن يقرر سيشعر بالإهانة أم لا. تساءلت حينها إن كان قد دافع عني حقًّا، أم أنه رغب في مخالفة فولفجانج فقط. قال أخيرًا: «أظنني سأعتبر ذلك إشارة من الكون أنني بحاجة إلى مسودة أخرى». ثم فتح غطاء زجاجته مرة أخرى وأخذ رشفة طويلة، في إشارة واضحة إلى رغبته في الانتقال إلى موضوع آخر.

بدا رويس مثل كلب مستعد للخروج من المنزل من فرط حماسه لأنه أخيرًا سيسأل سؤالًا بنفسه.

- وأخيرًا...

اندفع قائلًا: «وليس آخرًا!».

قالت ماجورز: «أجل، بالطبع». أدركت في تلك اللحظة أنها تستخدم بالطبع كطريقة مؤدبة لقول: «اصمت». في الواقع تفعل ذلك في كل مرة يقاطعها أحدهم. رأيت أنها امرأة تقيم وزنًا كبيرًا لكلماتها ولا تحب أن يشتت أحد انتباهها عما تقوله أو يتحدث بلسانها. قالت: «آلان رويس،

مؤلف سلسلة دكتور جين بلاك، التي تدور أحداثها على طاولات حديدية وفي المشارح. قراءة باعثة على القشعريرة!».

قال رويس: «أفضل أن أعتبر أنني أكتب روايات عن المجتمع والانحطاط والإنسانية، والجريمة في حد ذاتها مجرد محرك لنقاش أكثر..». توقف رويس في النقطة المتعمدة ذاتها كما فعل على الإفطار، وأدركت أنه رجل يأخذ نفسه على محمل الجد إلى حد كبير ويريد أن يبرز المجهود الذي يبذله في كل شيء. كان من النوع الذي يحمل حقيبة ذات عجلات لمجرد أن يتذمر من ثقلها. تابع: «...لنقاش أكثر استنارة حول بعض القضايا الواقعية».

- بالطبع.

- أظن أن تلك مهمتنا حقًّا. أن نفسر المجتمع. وهو ما أظن فولفجانج كان يقصده، فيما يتعلق بالحركة الفرنسية الحديثة..

كانت ماجورز تستمتع بتقليص رويس إلى أكثر سماته إثارة، راحت تقول: «بالإضافة إلى خبرتك المباشرة مع كل هذه الدماء والفظائع، أليس كذلك؟ لقد كنت طبيبًا شرعيًّا من قبل، صحيح؟» ولإنصافها، كان الجمهور يفضل سماع قصص المشارح بدلًا من حديث فولفجانج المتشعب عن الحداثة الفرنسية.

«أجل، هذا ما ألهمني لكتابة الروايات». بالغ رويس في نطق الكلمة الأخيرة، مطيلًا في حرف المد ورمى الكلمة كما يفعل المنجنيق. بدا كأنه يوجه هذه الكلمة إلي لسبب ما، وهو ما لم يكن منطقيًّا، بالنظر إلى كوني الشخص الوحيد الذي لم ينشر أي روايات.

قالت ماجورز: «رائع. دعونا ننتقل إلى أسئلة الجمهور». انكمش رويس قليلًا بسبب انتهاء وقته، لكن ماجورز إما لم تلاحظ ذلك وإما

لم تكترث، إذ أشارت إلى الحامل المغطى بقطعة قماش سوداء خلفها، وأضافت: «وبعد ذلك، لدينا مفاجأة خاصة لكم. إذن، الأسئلة؟».

كانت الفتاة قارئة بؤس أول من رفعت يدها. تظاهرت ماجورز بتمرير نظرها بين الحضور الساكنين، قبل أن تختارها بفتور واضح. سلم أحد الموظفين ميكروفونًا لا سلكيًّا للجمهور، ونهضت الشابة واقفة.

قالت: «سؤالي موجه إلى هنري». أخذت تقفز بخفة على أصابع قدميها فيما راحت تقول: «أنا بروك، قد تعرفني كرئيسة جيش موربند!».

جيش موربند هم معجبو ماكتافش المخلصون. لم يبد ماكتافش وكأنه تعرف على نادي معجبيه الخاص، كما لم يلاحظ العبارة التي على قميصها (إيماءة بكفاءة غمزة لحصان أعمى) وهي تعبير اسكتلندي عن الصراحة، وهي تقريبًا الجملة الشهيرة التي يستخدمها موربند، حيث كان يرددها غالبًا خلال حواراته الذاتية لحل القضايا. راودني شك في أن بروك كانت وكيلة دعايته عند رؤيتي للقميص لأول مرة، ولكن الآن بعد أن عرفت أنها رئيسة المعجبين، بات منطقيًّا أنها في القطار للتباهي بهنري خصيصًا. لا تزال تكلفة الرحلة باهظة الثمن لواحدة في عمرها (ما زلت أظنها في أوائل العشرينات، ليس لاعتقادي أن الحماس لتنظيم أي شيء، ناهيك بأن تترأس ناديًا عالميًّا للمعجبين، يذوب كالسكر في الماء بعد بلوغ الخامسة والعشرين) ولكنني افترضت أنها من عائلة غنية. إما ذلك وإما أن إعجابها كان شديدًا لدرجة لم يهمها كم ستكدح وتتعب، من عدد نوبات العمل في البار أو مسح أرضيات المطعم في سبيل الوصول إلى معبودها. راحت كلمات هنري تتردد في ذهني: تهديدات الناس للحصول على مخطوطة. وتساءلت لو كان هناك المزيد من معجبي ماكتافش في القطار، وإذا كان هوسهم سببًا آخر لتجنبه حضور مثل هذه المناسبات.

راحت تقول بينما تنظر حولها بتعبير مفعم بالذنب: «أردت أن أسأل، من دون حرق أي أحداث... إن موربند لن، حسنًا... هل فعلًا؟ أعني، تحدث له أشياء معينة في بزوغ *الفجر* وأردت فقط أن أسأل إذا كان حقًّا..».

أتت أنَّة متذمرة من الصف الخلفي، أنَّة يعرفها أي شخص لديه صديق يكره حرق الأحداث. (بالنسبة إليَّ، إنه آندي، الذي لامني ذات مرة على حرق نهاية تيتانيك دونًا عن أي شيء آخر). يجب أن أعترف أن بروك قد استفزتني قليلًا أيضًا، لأنه برغم معرفتي عن طريق الدعاية أن بزوغ الفجر يفترض أنه آخر أعمال موربند (كان ذلك مكتوبًا بخط بارز على الغلاف، إلى جانب اقتباس نيويورك تايمز: «عمل استثنائي لا يمكنك أن تضعه من يدك. إن ماكتافش لا يضاهى». مما يعني أن ماكتافش لن يحتاج أبدًا إلى استجداء التوصيات) لم أفكر أن ماكتافش قد يقتل شخصيته المفضلة، إذ كانت كتبه تروى بصيغة المتكلم، وإنك تعلم بالفعل أن ذلك يعد خطيئة في عالم روايات الغموض من حيث اللعب النزيه. كيف يُكتب كتاب إذا كان البطل ميتًا؟

خذني كمثال. إنك تعلم أنني لست في الصحراء حاليًّا، تتقاذفني أيدي الكُتَّاب تحت الشمس المحرقة. لا، بل إنني في غرفة مستشفى في أديلايد وقد ابتعدت أخيرًا عن القطار، مستلقيًا على سرير مغطى بالبلاستيك، ولكن لم يسمح لي بالخروج بعد، إذ لا تزال الشرطة تجمع إفادات الجميع وأجزاء الجثث. أكتب هذه الكلمات بين طلبات متكررة للمزيد من مسكنات الألم وفي أثناء حك طبقة رقيقة من الجلد المتقشر عن رقبتي.

تنحنح ماكتافش، وقال: «شكرًا لك يا بروك. سأحتفظ بالسر احترامًا لبقية الحضور هنا، لكنني أعتقد أن الأمر متروك لتفسيرك الخاص».

كان مجرد تذكُّره لاسمها الذي ذكرته قبل خمس عشرة ثانية فقط كفيلًا بأن يجعلها تطير من الفرح.

كان جوابًا مثل عدمه تجعد له أنف بروك. مدَّ عضو طاقم غان يده لأخذ الميكروفون، لكن بروك تمسكت به كطفل صغير يخشى فقدان لعبته. بدا أنها نسيت أن لديها أربعة أيام أخرى لملاحقة ماكتافش، ورغبت في استغلال هذه اللحظة، في محاولة لكسبه.

قالت: «حسنًا، الأمر هو أن صاحب النزل في الكتاب، اسمه أرشيبالد بنش، آرشي بنش». حدقت بروك بعينين متحيرتين ونطقت اسم صاحب النزل في مقاطع منفصلة، بالطريقة التي تتحدث بها عن حبيب جديد لحبيبك السابق (لن تصدق من تواعد! آر-شي-بالد بنش) وكأنها وماكتافش يتشاركان سرًّا ما.

تحرقت شوقًا لأن تصل إلى صلب الموضوع. شعرت باحمرار في مؤخرة رقبتي، تمنيت لو أنني وضعت كريم الوقاية من الشمس، تأكدت من أن رقبتي ستلتهب وتتقشر لاحقًا.

- هل أنا محقة؟

ألقى ماكتافش نظرة سريعة على وايت، الذي أجابه بتعبير مرتبك يوحي بأنه لا يعرف. كنت مرتبكًا بدوري. لقد قرأت جميع كتب موربند باستثناء الأخير وأنا في العادة أجيد جمع التفاصيل، لكن اسم أرشيبالد بنش لم يعنِ أي شيء بالنسبة إليَّ سوى أنه حرى بالمحرر أن يقترح تغيير اللقب إلى شيء أكثر واقعية. ولكن مرة أخرى، كما قلت لآندي وكما أخبرتك من قبل، كل شيء في روايات الغموض مقصود، وماكتافش واحد من أفضل من يتقنون الخداع والألغاز واللعب بالكلمات، وهكذا فكرت أن استخدام آرشي بنش بدلًا من آرشي محطة الأوتوبيس أو آرشي مقعد الكنيسة لا بد أن له مغزى ما.

قال ماكتافش أخيرًا: «أعتقد أنك تفوقت عليَّ هنا يا فتاة». كانت جملة عادية جدًّا، لكنها، كما يبدو، ما أرادت بروك سماعه بالضبط، إذ إنها قفزت من فرحتها تقريبًا، ومن دون تردد سلمت الميكروفون للموظف، راضية كل الرضا عن هذه اللحظة التي دأبت على التدرب عليها، وقد سارت كما تمنت.

سريعًا: أقسم أنني لم أختلق أن الكتاب الذي كانت تقرأه في الحانة في وقت سابق كان بؤس، حيث يحتجز معجب مهووس كاتبًا ويجبره على إحياء شخصية ميتة (آسف يا آندي على حرق النهاية). هذا هو ما كانت تقرأه بالفعل. حتى غُطِّي بالقيء، على الأقل. أفترض أنها تخلصت منه بعد ذلك، ولكن مرة أخرى، بما أن القيء كان من ماكتافش، لا أستبعد أنها قد احتفظت به كتذكار.

أتاحت ماجورز فرصة لمزيد من الأسئلة. بدا أن بروك كانت تتدرب على رفع الأثقال لعدد المرات التي رفعت فيها يدها، وحاولت ماجورز بجهد اختيار أشخاص آخرين غيرها، لكنها كانت تعاني مع الحشد البطيء. توجهت معظم الأسئلة إلى هنري، وهذا لم يزعجني إطلاقًا، لكنه أمر جعل رويس يتلوّى في كرسيه، متلهفًا على أن يستهدفه أحدهم بسؤال. بدا كأنه على وشك الانفجار عندما أخذ الرجل ذو اللحية المنقطة – تذكرت الكأس الثانية من الشمبانيا المتروكة أمامه – على الميكروفون وقال: «سؤالي موجه إلى إرنست».

قربت الميكروفون من شفاهي وابتسمت للسؤال.

قال الرجل، وقد لاحظت أنه وحده هنا، مثلما كان على الفطور، يجلس في نهاية الصف وإلى جواره مقعد فارغ: «سؤال بسيط. هل قتلته؟».

وكأنما تنتظر الإشارة، هبَّت عاصفة من الغبار الأحمر فجأة وراح يوخز أعيننا جميعًا. سارعت بمسح الغبار ومحاولة جمع أفكاري في الوقت نفسه، وكل ما استطعت قوله هو: «أرجو المعذرة؟».

- هل قتلته؟

أعتذر عن مقاطعتك للحوار هنا، لكن محرري قد حظر نشر إجابتي، إذ كانت تتعلق مباشرة بالجرائم التي وقعت على الجبل في العام الماضي. يمكنني إخبارك أنني أجبت ببساطة بتكرار ما كتبته في الكتاب الأخير، الصياغة المشروعة قانونيًّا من أجل الحفاظ على سلامتي. بدا أن الإجابة قد لاقت استحسانًا. اتقدت عينا رويس كالحمم بينما يحدق إليَّ طوال الوقت.

ارتفعت يد جديدة قائلة: «لدي سؤال لهنري». كانت المرأة ذات الشعر المجعد، زوجة الرجل الذي افترضت أن كليهما من المعجبين، أو من المهووسين. كانت لديها لكنة أيرلندية خفيفة، ترتفع وتنخفض كما لو تسير في منطقة جبلية. جلس زوجها إلى جوارها، وحاول أن يمسك بمرفقها بلطف لينزل يدها، لكنها أبعدته عنها، وسألت: «من أين تأتي بأفكارك؟».

حاول زوجها أن يهدئها وقد احتقن خداه خجلًا قائلًا: «هارييت». بالنسبة إلى معجب، فقد بدا على النقيض من بروك، حيث أثار التفات ماكتافش نحوهما هلعه. قالت هارييت بحزم: «يحق لي أن أطرح سؤالًا يا جاسبر».

تجنب ماكتافش هذا الجدال العاطفي بأن تقدم إلى الأمام وبسط ذراعيه، وقال قبل أن يشرع في إجابة معدة مسبقًا: «يا له من سؤال رائع!».

إذا كنت تتساءل، فإن الكُتَّاب ينقسمون إلى فئتين: المخططون، الذين يرسمون مخططًا لأي عمل قبل الكتابة، والمرتجلون، الذين يجلسون إلى مكاتبهم كل يوم دونما فكرة عن إلى أين ستأخذهم الكتابة فيحلِّقون بلا خريطة أو دليل سوى موهبتهم. أظن أنني مزيج من الاثنين، عندما أعيش أحداث كتبي أكون لا أملك أدنى فكرة عما سيحدث، ولكن حين أبدأ الكتابة، يكون القاتل قد تكرَّم بتخطيط معظم الأحداث من أجلي، رغم أنني لا أصف القتلة الذين التقيت بهم بأنهم شركاء في الكتابة). اتضح من ماكتافش أنه من المرتجلين، مصرحًا أنه يبدأ بصورة أو شعور أو حتى لون، ثم يدع ذلك يلهمه أين سينتهي موربند في كل مغامرة.

كانت إجابة عادية لسؤال عادي، وأعتذر لأنك مضطر لتحمل مناقشات تلك الندوة كلها كما لو كنت حاضرًا بطولها وأحاديثها المبتذلة، لكنني أعتقد أنك تستحق أن تشعر بأجواء المؤتمر الأدبي كما هي. وبالمناسبة، هناك الكثير من الأدلة في هذا الفصل لا ينبغي تجاوزها، حتى الحوار الذي يبدو غير ذي أهمية. مثل ما سيحدث قريبًا.

تبين أن «آرتشي بنش» له أهمية بالغة أيضًا.

قالت ماجورز: «إن *الخروج عن المسار* هي مفضلتي من أعمالك، لمن لا يمتلك معرفة موسوعية بأعمال ماكتافش، هذا هو الجزء الثالث من سلسلة روايات موربند».

هزت بروك رأسها موافقة. تذكرتُ لمحات عن الكتاب، حيث دبَّر زوجان حادث سيارة وقطار ركاب لإخفاء جريمة قتل ابنهما. ثمة مشهد قذر بشكل خاص يتعلق بتجهيز الاصطدام، حيث استبدل الوالدان جثتين نبشاهما حديثًا بجثتيهما في المقاعد الأمامية، بهدف أن تسحقا إلى حد لا يمكن معه التعرف عليهما، لكن بخلاف ذلك لم أتذكر سوى القليل من الحبكة العامة.

أضافت ماجورز: «أذكر قصة إخبارية مشابهة تقريبًا في الواقع. لذا، إلى جانب الألوان والإرهاصات، لا بد أنك تجد الإلهام من..». سرقت حيلة رويس في التظاهر بصعوبة اختيار الكلمات. «من أماكن أخرى».

هز ماكتافش رأسه، وقال وقد أصبحت لهجته بارزة أكثر الآن، إذ أنهك لسانه وتعثر في نطقه للحروف: «لا. أنا لا أتابع الأخبار كثيرًا. بالطبع يتسرب العالم من حولي إلى ذهني من حين لآخر، وعلي أن أواكب أمور الأمن والتكنولوجيا، لكن إن أوليت الأخبار اهتمامًا كبيرًا، فلن أتمكن أبدًا من أن أجد فكرة أصيلة لكتاب. كما يقولون: الحقيقة أغرب من الخيال».

قالت ماجورز: «ثمة قصة مشابهة رغم ذلك. وقعت في مدينتي تحديدًا. في طفولتي».

تنحنح شخص ما بصوت عال في الجمهور. نظرت ورأيت وايت يسعل بداخل يده. ثبت تركيزه على ماجورز بتعبير واضح على وجهه مفاده: انتبهي! رأيت جاسبر يرفع حاجبيه باتجاه هارييت، وكأن التوتر السائد هو خطؤها لأنها طرحت سؤالًا.

سأل ماكتافش باهتمام: «حقًّا؟».

- ألا تذكر؟ لا بد أنك تعرفين القصة يا ليزا. لقد وقعت منذ اثنين وثلاثين عامًا. عام 1991».

انكمشت ليزا بداخل كتفيها، وقالت: «لا أظن أنني أريد أن..».

قاطعها ماكتافش قائلًا: «كان ذلك منذ وقت طويل يا عزيزتي. أين كانت نشأتك؟».

قالت ماجورز: «بالقرب من هنا. في الواقع سنمر بها. أقصد في خط سير القطار. إنها تبعد قرابة مئة كيلومتر عن أليس سبرينجز».

قال ماكتافش: «نعم. واحتمالية أنني صادفت مقالًا من منطقة إقليمية في أستراليا وأنا في اسكتلندا، حسنًا، ضعيفة للغاية في ظني. أعتذر لو كان الكتاب قد أثار جرحًا، إذا كنت تعرفين شخصًا مات أو تأذى بطريقة مشابهة لما تخيلته في كتابي، أتصور كم ستكون قراءته مؤلمة. لكن كل شخص منا هنا..». رفع عصاه وأشار بها نحونا كلنا. «قد قتل عددًا لا نهائيًّا من الناس بطرق لا حصر لها. وإنها حتمًا تحاكي قصصًا واقعية في مكان ما».

أصرت ماجورز: «ألا تظن..».

قال ماكتافش ضاحكًا: «حمدًا للرب أننا نخترع*ها* فقط! لو مات أحدنا الآن، فسيكون لدينا خمسة مشتبه فيهم ممن يعرفون كيف يفلتون من جريمة قتل».

شحب وجه ماجورز، وتحركت عيناها نحو ليزا، لكنها لم تجد أي تجاوب، إذ انشغلت ليزا برسم دوائر في التراب بأصابع قدميها.

قلت محاولًا إنقاذ المحادثة: «إذا كان لكل واحد من كتبك لون محدد، فما هو لون بزوغ *الفجر*؟».

أجاب بتلذذ: «أحمر. بلون الدم».

تلقى ذلك تصفيقًا حارًّا من بروك، حيث كانت بوضوح إشارة إلى مصير المحقق موربند. حتى وايت ابتسم ابتسامة خفيفة. فكرت وأنا أنظر إلى فولفجانج: كيف بشأن ذلك بخصوص التدريب الإعلامي. ربما كان الأمر مجرد قلة ممارسة، لم يكن عليَّ أن أشك في أن ماكتافش محترف بحق.

تدخلت ماجورز مجددًا: «ماذا عن *الخروج عن المسار* يا هنري؟».

لو كان للكلمات أن تدق المسامير، فإن ماكتافش قد غرز قضيب سكة حديدية بجوابه الحاد: «أخضر».

تفحصت ماجورز ساعتها بطريقة استعراضية مبهرة، ثم نهضت واقفة، مما أثار حركة في الحشد توحي بحماسة أقل وبتوقع أكثر لاستراحة ذهاب إلى الحمام. المثانة عكس غرور الكاتب، لها حدود، وقد اختُبر الكثير منها خلال مناقشتنا. كذلك لم تكن الشمبانيا الصباحية مفيدة. بإعادة التفكير، ربما كان الكحول ما أجج تلك النزعة الجدلية فينا ككُتَّاب، فعادة لا تكون المحادثات الأدبية عدوانية بهذا القدر.

توجهت ماجورز نحو اللوحة المعروضة، وقالت: «لقد كانت ساعة حافلة. لدينا مفاجأة لكم جميعًا في نهاية برنامجنا الصباحي. لقد حصلنا على إذن خاص من دار بنجوين للنشر للكشف لكم اليوم، وحصريًّا..». أمسكت بطرف القماشة السوداء التي تغطي اللوحة. «عن غلاف رواية ليزا فولتون الجديدة، سقوط العدالة، التي استغرقت أكثر من عامين في إخراجها». وسحبت القماشة بحركة سريعة مثل ساحر، كاشفة عن صورة كبيرة للغلاف من الورق المقوى.

كشف الغلاف عن مبنى مهيب، محكمة على الأرجح، مضاء بأشعة شمس الغروب ذات اللون الأحمر الدامي، ومن خلفه تظهر ظلال المدينة. كُتب اسم ليزا بحروف ذهبية لامعة، نحيفة وممدودة، أكبر من العنوان نفسه. لكن الأبرز من بين كل شيء، كانت أربع كلمات بيضاء ناصعة تبرز بوضوح على خلفية سماء تشبه ورشة حداد.

أبدى الجميع رد فعل مختلف على هذه الكلمات الأربع. وضعت ليزا يدها على فمها، أمكنني رؤية فكها يرتجف وعينيها تلمعان بالدموع. ربما وافقتْ على تصميم الغلاف، لكنها لم تر النسخة النهائية من قبل، كانت في أوج انفعالها. انقبضت يدا رويس كما لو كانت مخالب تشد

على ركبتيه، وضم شفتيه بقوة حتى كاد يكسر سنًّا. لم يكلف فولفجانج نفسه حتى بالالتفات. أما ماجورز، فاتجهت عيناها نحو ليزا بتعبير لم أتمكن من تفسيره. ليس غيرة بالضبط، لكنه افتقر إلى حرارة السعادة من أجلها.

كان ماكتافش الأسهل في قراءته، فقد بدا عليه شعور بالارتياح والرضا وكأنه ممتلئ البطن بعد وجبة دسمة. بالطبع هكذا كان، فمن بين الكلمات الأربع، اثنتان كانتا له.

«قنبلة أدبية». – هنري ماكتافش

كان تقريظًا من الرجل الذي لم يُسبق له التوصية بكتاب قبلًا. بدا مؤكدًا من مكانها البارز على الغلاف وحجمها الواضح وسطوعها أنها ستساهم في بيع الكتاب. احتقنت وجنتي ليزا وكأنها توشك على البكاء، وبدا أنها خائفة من أن تفعل ذلك أمام الجميع، فنهضت واقفة وأسرعت عائدة إلى القطار.

راح الناس يتبعون خطى ليزا وشرعوا في الوقوف والتفرق. نهض وايت واقترب من ماكتافش ووضع يده على كتفه السليمة. لم أتمكن من سماع ما يقولانه، لكنني رأيت ماكتافش يضحك على شيء قاله وايت. توجهت بسرعة نحو القطار، إذ رأيت سيمون تهم بالنهوض. كنت أرغب في التحدث معها، لكنني لم أملك الطاقة لأغضب منها بما يكفي في تلك اللحظة، وأردت أن أفعل ذلك كما يجب.

عدت مسرعًا إلى البار وطلبت زجاجة من البيرة، في كأس طويل ومنتفخ وقد أزيلت الرغوة من أعلاه بحد السكين. جلست بجوار النافذة مستحوذًا على مقصورة صغيرة لنفسي، منتظرًا سحابة الغبار التي ستشير إلى عودة الحافلات. كنت أتطلع للشكوى إلى جولييت، وفي يدي المشروب المجاني والمقعد المخملي الوثير أسفلي، ونحن على متن

القطار الفاخر يُكمل رحلته الأشهر في العالم، عمَّا أشعر به من ظلم واقع علي.

اتضح أن موقعي كان ممتازًا، لأنه لولا ذلك لما رأيت آلان رويس، يسير متلكئًا خلف بقية النزلاء وينظر من حوله في خجل حتى تأكد من أنه وحيد. أقسم أنه نظر نحوي مباشرة، لكن وهج الشمس على النافذة جعله على الأرجح لا يراني. هذا يعني أنه لم يعلم أنني رأيته وهو يلتفت حوله للمرة الأخيرة قبل أن يسدد لكمة قوية لغلاف كتاب ليزا فولتون.

الفصل الثامن

لم تترك الكأس الأولى أي أثر، ولكن ساعدني تأثير الكحول على تهدئة ارتجاف يديَّ. إن الكتَّاب، عمومًا، أكثر تهذيبًا مما رأيته للتو. لكن شيئًا في هذا المهرجان بالذات جعلنا جميعًا متحفزين لخنق بعضنا بعضًا. هل الشعور بالعزلة والإحساس بالانغلاق على متن القطار -إذ ليس هناك بث مباشر أو صحفيون- ما أوحى لنا أننا وحدنا وأن أفعالنا لن تلاحقنا إلى العالم الواقعي في محاكاة غريبة لفيلم سيد الذباب؟ أم أن الأمر أبسط من ذلك؟ فقد بدا واضحًا أن إس إف ماجورز قد اختارت مجموعة من الكُتَّاب القابلين للاشتعال. كان لكل منهم روابطه ومشكلاته وخلافاته، ومع إضافة الغرور وطبخها تحت حرارة شمس الصحراء، فسيكون لدينا فطيرة كيش ناضجة من الاستياء والسخط. باستثنائي أنا. كانت هذه المرة الأولى التي ألتقي فيها بكل هؤلاء الكُتَّاب، لماذا أنا هنا إذن؟

أقنعت نفسي بأنني أفرط في التفكير في الأمر وقمت لأملأ كأسي مرة أخرى. لكنني عند عودتي وجدت جاسبر وزوجته هارييت قد استوليا على طاولتي بجوار النافذة. نظرت حولي وقد امتلأ البار بالناس. وجدت مقعدًا فارغًا لدى مجموعة من السيدات الأكبر سنًّا، لكنني لم أعتقد

أنني أستطيع تحمل صخبهن. جلس ماكتافش على كرسي بارتفاع البار، مرتكزًا بمرفقيه ليبقى مستقيمًا فيتسنى له الاستمرار في تجرع السوائل، ورغم وجود مقاعد فارغة بجواره، لم أعتقد أن ذلك كان خيارًا أفضل. لم يكن هناك أحد أعرفه في العربة، إذ إن الكثيرين انسحبوا إلى غرفهم. لا بد أنني بقيت مترددًا لوقت طويل بما يكفي حتى لاحظني جاسبر.

انزلق مفسحًا لي المجال لأجلس، قال: «آسف يا صاحبي. هل سرقنا مكانك؟ جاسبر مردوخ، سررت لمقابلتك».

كان شعره الأسود الداكن كالتوت البري في تناقض مع خضرة عينيه التي تشبه قناديل جاتسبي. ارتدى قميصًا مثبتًا بحزام داخل بنطلون جينز. صافحت يده وأحسست أطراف أصابعه الخشنة مثل رجل يعمل بحرفة ما، ثم التفت إلى زوجته، وقلت: «وأنت هارييت، صحيح؟» بدت متفاجئة، فأزاحت خصلة من شعرها خلف أذنها. «سمعتك تتحدثين في الجلسة. لست أتتبعك أو شيئًا من هذا القبيل. إرنست».

قالت هارييت: «فتى الظروف». كانت إهانة ودودة، أتى اتفاقها مع فكر فولفجانج شديد الوطأة.

قال جاسبر: «كان ذلك حافلًا، أليس كذلك؟».

«حافلًا بحق». ارتشفت البيرة بينما أنظر عبر النافذة نحو أحد الموظفين وهو يجمع الحامل المنهار من التراب، راح يحك رأسه متعجبًا من غياب الرياح التي قد تكون أطاحته. قلت ضاحكًا: «لا أظنني مدركًا لما أقحمت نفسي فيه. ولكنكم الضيوف. هل استحققت كل تلك النقود على الأقل؟».

قال جاسبر: «لا تعتبر الأمر شخصيًّا». أومأت هارييت موافقة.

- مثل كل النصائح الجيدة، يسهل قولها ويصعب اتباعها.

«فكر في الأمر على النحو التالي، بالنسبة إلى رويس وفولفجانج، وجود شخص جديد مثلك فكرة مرعبة في حد ذاتها، لأن هناك أعدادًا محدودة على الرف. وأنت تقف هناك، مستعدًّا للقفز في قبورهم إن جاز التعبير». هز جاسبر كتفيه، وأضاف: «هذا هو منظورهم في ظني».

كان ملخصًا ذكيًّا للغاية بالنسبة إلى مجرد ملاحظة عابرة. قلت محاولًا التخمين: «أي ناشر تعمل لديه؟ جيميناي؟».

قالت هارييت: «في الواقع إنه كاتب».

سألت: «هل جزء من المهرجان؟».

لوح جاسبر بيده رافضًا سؤالي، وقال: «لدي عمل مع وايت لويد. بدا ذلك مكانًا جيدًا كغيره لملاحقته لإنهائه. لا تحظى بفرصة للسفر عبر أستراليا كل يوم». وراح يرسم بإصبعه خطوطًا وهمية لأعلى ولأسفل في الهواء. تذكرت أن قطار الغان مضى في كلا الاتجاهين. همس بلهجة متآمرة بعض الشيء بينما يومئ لهارييت: «بالذات للآيرلنديين».

ضربت ذراعه بمرح ثم قالت لي: «لا تستمع إليه. إن والديَّ أيرلنديان، ولكنني ولدت في ملبورن». من شأن ذلك أن يفسر لهجتها الخفيفة.

- إذن فقد لحقتما بالقطار من أديلايد لتعودا به إلى ملبورن؟

قال جاسبر: «استأجرنا سيارة إلى أديلايد، ونعود بالقطار».

قلت: «رحلة طويلة». فكرت في حبوب دوار البحر التي أعطاها لوايت عن طريق الخطأ. بدت غير ضرورية لرحلة عبر الصحراء، لا بد أنه من النوع الذي يصاب بدوار السيارة.

قال جاسبر: «إن لم تجرب ذلك قط، أنصحك أن تفعل. إنها بلدة جميلة. لا شيء أفضل من الطرق المفتوحة والفنادق الصغيرة البائسة والهواء النقي من أجل إنهاء بعض المشروعات».

- حسنًا إذن، من كاتب إلى كاتب. هل أتصرف بضعف، أم أن الجميع كانوا يتعمدون مضايقتي؟

هز كتفيه وقال: «أظنك تسعى من أجل تصديقهم أكثر مما ينبغي. من يهتم! إنها القصص ما يهم، ليس أغلفتها أو المساحة التي تشغلها من الرف أو دعوات المهرجانات، هذا ما يبقى بعدنا». لامسني كلامه بشيء من الشجن، لكنه بدا لي كلامًا محفوظًا. بدا لي على وجه الخصوص أنه قد أقنع نفسه بأن دعوة المهرجان ليست مهمة، وذلك لأنه لم يحصل على واحدة قبلًا. وذكره للرف ولانعدام أهميتها تحديدًا جعلني أدرك الأمر على نحو أفضل.

خمنت قائلًا: «هل تنشر لنفسك؟» بدا منطقيًّا أنه حقق نجاحًا على منصات الإنترنت ويسعى من أجل قفزة النشر، كان ذلك سببًا كافيًا للحاق بوايت إلى الرحلة. لا بد من ضيف واحد يمسك بمخطوطة على الأقل في كل مهرجان للكتاب وينتظر أن يضعها بين يدي أحد الناشرين الموثوقين. أجاب: «اعتدت نشر الكتب الإلكترونية».

- آه..

قالت هارييت متفاخرة: «إنه بارع جدًّا، لقد باع الكثير من الكتب مثل ماكتافش».

بدا واضحًا أنه لم يرحب بحديثها نيابة عنه، وقال مثل طفل يتذمر من أمه المتفاخرة: «أشكرك يا هاري، هذا يكفي». التفت إلي، وقال: «يسير العمل جيدًا».

لم يكن ذلك من باب التواضع تمامًا. فقد أصبح فجأة أكثر خجلًا وانغلاقًا، وتساءلت لو أن ذلك كان لمحة من نفس شعور عدم الجدارة الذي شعرت به بدوري. بالطبع، قد تكون هارييت قد ضخمت غروره، لكن الحقيقة كانت بسيطة: حتى لو أن مبيعات جاسبر لأعماله التي

نشرها بنفسه رائعة، فإنه لا يزال مضطرًّا لملاحقة ناشر ما على متن هذا القطار.

التفت إلى هارييت لأغير الموضوع، قلت: «أظن أنك من معجبي ماكتافش، صحيح؟» ففي النهاية، هي التي قررت أن تسأله سؤالًا.

ابتسمت هارييت، وقالت: «تعجبني كتبه كثيرًا حقًّا».

قاطعنا جاسبر قائلًا: «ماذا عنك؟» بدا لي رجلًا لطيفًا، ولكن لديه عادة مزعجة بأن يقاطع زوجته بينما تتحدث، مثلما فعل في الندوة، وهو ما بدا لي تحكمًا بعض الشيء.

قلت وكدت أضحك: «أجل. لست واحدًا من المهووسين أو شيئًا من هذا القبيل، ولكنني أحد المعجبين. حسنًا، بصراحة إنني أفكر لو أنني ما زلت معجبًا».

قال جاسبر: «لو أن في ذلك بعض العزاء، فإنني سمعت تلك السيدة، إنها وكيلتك، أليس كذلك؟ سمعتها تتجادل مع وايت بشأن إزالة تلك المراجعات».

- هل رأيتموها أيضًا؟

- إن الكلام ينتشر. الجميع منا يحصل على مراجعة سيئة أحيانًا. لا تنزعج بشأن ذلك. هيا...» -رفع كأسه الفارغة- «ما رأيك أن نستريح قليلًا قبل العشاء يا هاري؟».

أومأت هارييت موافقة، وقالت: «سررت بمعرفتك يا إرنست».

نهضا للمغادرة، وكما لو كنت جالسًا على طاولة للتعارف السريع، جلس الرجل الذي سألني السؤال في الندوة، ذو نظارات بإطار ذهبي ولحية رمادية تتخللها شعيرات حمراء. وجهه خشن وتغزو جبهته تجاعيد تشبه منحدرات جبال الجليد، يعتمر قبعة أكوبرا كانت نظيفة

للغاية لدرجة أنه من غير الممكن أن يكون قد اشتراها سوى من متجر الهدايا في بريما. حمل في يديه زجاجتين من البيرة، وبينما أتساءل إذا ما كان صديقه الغامض سينضم إليه، ناولني إحداهما. كان هذا يفوق احتمال جسمي من المشروبات، إذ لم يزل ثلث كأس البيرة الثانية أمامي، لكنني أمسكت الكأس بإصبعي بدافع التهذيب وأومأت شاكرًا له.

مد يده بينما يقول: «دوجلاس بارسونز». صافحته بدوري، لم أشعر بالحاجة إلى تقديم اسمي، بالنظر إلى أنه قرأ كتابي وتحدث إلي في الندوة، لكنني شعرت بعدها بالحرج من أنني قد أبدو مغرورًا بافتراض أنه يعرف من أنا، فتلعثمت وقلت بعد فترة توقف طويلة: «إرنست».

تحدث بلكنة تكساسية خفيفة: «نعم. كنت من ضمن جمهور الندوة».

«آه». الآن وقد ألزمت نفسي بالتظاهر بأنني لا أعرفه، لم يكن لدي خيار سوى الاستمرار فيه. أضفت: «ضربت الشمس في عيني قليلًا. شكرًا لك على حضور الندوة».

- لقد سألتك سؤالًا خلال فقرة الأسئلة والأجوبة. آسف إذا كنت... حسنًا... مباشرًا بعض الشيء.

- لا عليك. هل تستمتع بالرحلة؟

قال: «إنها جيدة بما يكفي. إن وجودي هنا أمر غريب حقًّا. لقد فكرت في هذه الرحلة لمدة طويلة». خفت صوته وشرد بعينيه وكأنه مسحور بالمروج التي نمر عبرها، ثم استعاد تركيزه برشفة من البيرة. «خمر مجانية، لا مجال للشكوى».

سألته: «هل أنت هنا بصحبة أحد؟».

هز رأسه قليلًا، وقال: «أنا فقط».

شعرت أن السؤال عن كأسه الأخرى من الشمبانيا في الصباح سيعد فضولًا زائدًا، لذا تركت الحديث يخفت وجلسنا في صمت للحظة.

بدأ هو: «لكن سؤالي، هو فقط..».

لقد توقعت ذلك، فقاطعت كلامه وكأنني أسرق موقف سيارته، قلت: «آمل أنك ستتفهم أنني لا أستطيع التحدث عن ذلك. قانونيًّا».

- أعرف، أعرف. فقط... حسنًا، من المضحك أنك هنا. هذا كل شيء.

قلت عابسًا: «حقًّا؟».

- لأنني كنت أقرأ كتابك في رحلتي إلى هنا. إنها واحدة من الصدف التي لا يسمح بها في روايات الغموض عادة، صحيح؟

- هذا صحيح. إذن، اضطررت للطيران إلى أستراليا من أجل هذا، وأفترض أنك اشتريت كتابي من المطار. ليست صدفة غريبة جدًّا.

دفع نظارته أعلى أنفه، وقال: «هي كذلك بالنسبة إليَّ».

قلت مفترضًا: «يا لها من رحلة طويلة. من كاتبك المفضل؟ ماكتافش؟» بالنظر إلى ندرة جولاته، وأن ماكتافش لا يسافر كثيرًا. بدا مبالغًا فيه أن يطير أحدهم إلى أستراليا فقط لرؤية شخص واحد، ولكن، من ناحية أخرى، ارتبط ذلك بعطلة مشهورة عالميًّا. ربما كان ماكتافش الكرزة التي تزين الكعكة وليس الكعكة نفسها.

- إنها فرصة نادرة الحدوث.

هممت بالنهوض، انحنت ركبتي لكن لم أنهض تمامًا. وكان ذلك أقصى ما استطعت التعبير عنه بجسدي للاعتذار عن المحادثة. تجمع تكثيف كأس البيرة التي لم أشربها أسفلها على نحو يوحي باللوم.

- أعلم أنك لا تستطيع التحدث عن هذا.

لقد حوصرت، تحرقني فخذاي في وقفتي المترددة. قلت: «حقًّا لا أستطيع».

- افتراضًا.

- ولا حتى افترا...

- لقد أخذ هذا الشخص الكثير منك. أحبابك وأصحابك. لقد سبب لك الألم. لو كنت...

- لم أفعل.

- افتراضًا.

قررت أن أجاريه، قلت: «حسنًا».

- ترى كيف هو ذلك الشعور؟ الانتقام من هذا الشخص.

قلت: «لم يوجد انتقام. الأمر فقط كان البقاء على قيد الحياة». كان هذا صحيحًا، لكنني توقفت لثانية. ربما أنستني البيرة تحذيرات فريقي القانوني، وربما فقط كنت متعبًا من التظاهر الذي يحيط بي، أو ربما كانت لحية دوجلاس تهتز وكأن طائرًا قد انطلق للتو من قمة شجرة مُخفية شفته المرتعشة. مهما كان السبب، فقد أضفت المزيد من الحقيقة: «كان ذلك سيشعرني بالحزن».

- الحزن؟

- لأشعرني بالعجز وليس بالقوة. وهو ما قد تظن أنك ستشعر به قبل حدوث شيء مثل هذا. أن تحيط يداك برقبة أحدهم هذا يعني السيطرة، أليس كذلك؟ كلا. ليس هناك قوة أو سيطرة في الانتقام. فكِّر في كل الأشياء التي قادتك إلى تلك اللحظة، كل الأشياء التي كان يجب أن تسير على نحو صحيح، وكل الأشياء التي كان يجب

أن تسير على نحو خاطئ. أتخيل أنها ستشعرك بأنك ضحية مرة أخرى.

لاحظت الحافلات تتحرك بتثاقل على جانب الطريق، فنهضت تمامًا، وأضفت: «افتراضًا بالطبع».

بينما أغادر البار، نظرت من خلفي ورأيت دوجلاس يحدق متأملًا كأسَه. ثم قرعها بكأسي الملآنة في نخب فردي.

أحسست باضطراب مزعج في معدتي في طريق عودتي إلى غرفتي. لم يتعلق الأمر بطبيعة الأسئلة في حد ذاتها، فنحن نعيش في عالم حيث يستمع الناس إلى حلقات تسجيلية عن أكثر الجرائم بشاعة فيما يعدون العشاء، بل كان يتعلق بالنبرة. بدا الأمر بطريقة ما وكأنه يطلب إذنًا مني. تمنيت أن إجابتي قد حملت ما يكفي من الكآبة بحيث لا يمكن اعتبارها تأييدًا.

أعترف أن هذا تحليل دقيق لشخص لم أشاركه سوى ثلث كأس من البيرة. كنت لألوم نفسي مثل العادة على المبالغة في التفكير، لولا أنه كذب علي. بالتأكيد قد شرب كأسين من الشمبانيا في محطة بريما.

لماذا إذن قال إنه يسافر وحده؟

ومن كان يرافقه؟

الفصل التاسع

كانت جولييت على قدر من اللباقة ما جعلها تكذب بشأن مدى استمتاعها برحلة الوادي الاستكشافية. بدت مصطنعة بشكل واضح فيما راحت تصف الرسومات الصخرية التي يرجع تاريخها إلى أربعين ألف عام بأنها «لا بأس بها»، لكنني قدرت جهدها رغم ذلك.

بمرور الوقت ترجل ركاب الحافلة الأخيرة واستحممنا كلانا (بدأ الغان بالتحرك في أثناء استحمامي، مصدرًا ارتجاج كدت أنزلق في إثره وأكسر عنقي) وتجهزنا للعشاء في عربة الملكة إليزابيث، كان الليل قد تسلل، واستحال شريط الفيلم المتتابع خارج نافذتنا إلى اللون الكحلي الداكن، وباتت الأشجار مجرد ظلال تمر بجوارنا. لم يعرف أي منا مدى رسمية العشاء، ارتدت جولييت فستانًا منقوشًا باللون البرتقالي والبني، قالت إنه يعكس أجواء الصحراء، بينما أحضرت أنا سترة ليلية. لا يوجد داع للقلق، فقد وجدنا مزيجًا من البدلات والشورتات في المطعم. لدي نظرية أنه كلما قلَّ ثراء الشخص، زاد اهتمامه بارتداء ملابس أنيقة في المناسبات الراقية مثل العشاء والمسرح، حيث يعكس مجهودك الذي تبذله في هندامك مقدار إنفاقك. إذا أجرك عالٍ ووظيفتك مرموقة، فمن

الأفضل ارتداء ربطة عنق. أما أصحاب الوظائف البسيطة، فيذهبون إلى الأوبرا بزي السباحة، لا مشكلة.

تناولنا زلابية لحم التمساح كمقبلات، كان طعمه كالدجاج، ولحم الكنغر للطبق الرئيس، والذي كان مذاقه يشبه لحم البقر. تشاركنا الطاولة مع زوجين متقاعدين من محبي الكتب من منطقة ريفية في كوينزلاند، انطلقا في هذه الرحلة احتفالًا بذكرى زواجهما الخمسين، وكانا يدخران المال لهذه الرحلة منذ فترة طويلة، وهو أمر لم يخبرا به أحدًا، لكنها ارتدت فستانًا مزينًا بالورود الزاهية، أما هو، صدق أو لا تصدق، فقد ارتدى بدلة سهرة. لن أسترسل في وصف مظهرهما لأنهما غير مهمين في سياق الجرائم. هناك الكثير من الضيوف في القطار ممن هم مجرد ضيوف، وأخشى إذا استرسلت في التفاصيل الوصفية أن تبدأ في التفكير بأن لهم دورًا في الحبكة أكثر مما هو عليه. مثلما لم أذكر أسماء العديد من الموظفين، لكن لدي عددًا معينًا من الشخصيات يجب أن ألتزم به. فقط تخيل أجدادك، هكذا بدوا رفاقنا على العشاء.

قُدِّم العشاء على ثلاث جلسات، كنا في الجلسة الثانية. كانت ليزا فولتون هناك أيضًا، تناولت العشاء مع جاسبر وهارييت مردوخ. أما دوجلاس، القادم من تكساس، فجلس قبالة إس إف ماجورز وآلان رويس، برغم أنها بدت جلسة متعمدة، إذ أخذ دوجلاس وماجورز يتهامسان باندماج أحدهما للآخر من دون إشراك رويس في الحديث. جلس وايت وفولفجانج إلى طاولة أخرى، حيث راح فولفجانج يتحدث بينما يستمع إليه وايت بانتباه بالغ، واضعًا إصبعًا على كلا صدغيه. لم أرغب في إعطاء الأمر أهمية كبيرة، لكنه بدا كأنه يتلقى خبرًا سيئًا للغاية فعلًا. أما ماكتافش وسيمون فكانا غائبين، ولكني لمحت نادلًا

يعود مرتين من الغرف القريبة من المحرك حاملًا غطاءً فضيًّا، ما يعني أن أحدهم طلب خدمة الغرف.

قرر أجدادك التقاعد إلى غرفهم، بينما بقيت جولييت وأنا لتناول كأس من النبيذ الأحمر قبل النوم، وانضمت إلينا سيدتان تعملان أمينتي متحف، إحداهما في لندن والأخرى في تسمانيا، وقد فوتتا العشاء وجاءتا من أجل الحلوى. لقد اختفى اللون الكحلي الداكن بالخارج، وفي حين أنني توقعت مشهدًا صحراويًّا خلابًا عند الشفق، فقد اكتست السماء، لعدم وجود مدن قريبة أو أضواء خارج القطار، بظلمة تامة.

تدخلت جولييت: «إذن، لم تذكر الندوة مطلقًا».

هززت كتفي، وقلت: «ليس ثمة الكثير لأقوله. يؤمن فولفجانج بأنني كاتب سيئ. والشخص الوحيد الذي يبدو أنه يدعمني هو ماكتافش، ذو النجمة الواحدة».

أمسكتْ بيدي السليمة ودلكتها بإبهامها، وقالت: «لا عليك، إن الجميع في حالة متوترة، السفر بالأمس والبداية المبكرة لليوم، بالإضافة إلى الحرارة والخمر، من شأن هذا أن يثير أعصاب أي شخص».

تنهدتُ، وقلت: «أنت محقة. لم يكن الأمر متعلقًا بي فقط. حدثت مشادة بين ماجورز وماكتافش. أوه، لن تصدقي هذا، وجب أن تري وجه رويس عندما أعلنوا أن ماكتافش كتب توصية لكتاب ليزا الجديد، لأمكنه أن يغلي غلاية ماء».

عبست جولييت متفكرة، وقالت: «كتب ماكتافش توصية لليزا؟ هذا كرم شديد، يمكن أن يوسع من جمهورها حقًّا».

- لقد أعدوا مفاجأة، كانت مذهولة وأوشكت على البكاء.

قالت جولييت بينما تقلب النبيذ في حركة موحية بالشر: «أستطيع أن أتخيل. حسنٌ، وأيضًا ليس ثمة ضير من توجيه صفعة لرويس. أترى؟ إن الجميع على حافة التصادم».

التفتنا إثر صوت ارتطام وضجيج أدوات المائدة. كان وايت قد صفع الطاولة فارتدت الملاعق في إثر ذلك. كان نصف واقف من مقعده وراح يهمس بغضب عبر الطاولة لفولفجانج الذي احتضن كأس نبيذه الأحمر بابتسامة متعجرفة على شفتيه: «لا يمكنك فعل ذلك!» قال وايت: «سيُفسد ذلك..». ولكنه أدرك أن الجميع يشاهدون، فصاح بحماسة مفرطة محاولًا تحسين الموقف، بالطريقة التي يتحدث بها مختطف أمام لجنة تفتيش مع الشرطي وثمة جثة في صندوق سيارته: «آسف! أعتذر، لقد اندمجت قليلًا». أشار إلى فولفجانج. «كتاب جديد، ويبدو مذهلًا». ثم جلس مرة أخرى على كرسيه بينما يلوِّح بيده معتذرًا لبقية الركاب.

قالت جولييت عابسة: «لم أعرف أن جيميناي تنشر لفولفجانج». سحبت يدي من يدها وفركت عيني، وقلت: «لا أستطيع أن أمنع نفسي من الشعور بأنني لا..». تعثرت الكلمات في فمي وكأنما تصطدم بأسناني ترجوها أن تدعها تخرج. هذه المرة سمحت للكلمات بالخروج: «أنا لا أستحق أن أكون هنا».

- بل تستحق. لا أحد هنا ذو أفضلية أكثر منك. أنت كاتب ماهر. تستحق الوجود هنا مثل أي...
- لا يا جولز. ليس *هنا* فقط. ما أقوله هو إنني أشعر بأنني لا أستحق أي من هذا، في أي مكان.

رمشت في حيرة ومالت إلى الأمام. لم أملك خيارًا سوى متابعة الكلام، ولكنني لم أستطع النظر إليها، لذا حدقت خارجًا إلى الظلام الدامس.

- كل من ماتوا... لم يفعلوا أي شيء خاطئ. وأنا لم أفعل أي شيء مميز. لماذا أنا هنا إذن وهم لا؟ لا أستحق ذلك أكثر منهم. لا أستحق الجلوس في هذا القطار، لا أستحق شيكات المستحقات... إنني حتى لا أستحق هذا النبيذ الغالي على نحو مثير للسخف. لا يفترض أن أكون هنا. لماذا أنا؟

«آه يا إرن». لم تزد جولييت عن ذلك، فقط تفهمتني وظلت جالسة، وقد امتننت لهذا، لأن الكلمات نفدت مني.

بينما أكتب هذا الآن، بتُّ أفهم سبب شعوري بأنني هوجمت من الكُتَّاب الآخرين لشخصي. جميعنا نشعر أحيانًا بمتلازمة المحتال، والأمر لا يقتصر على الروائيين. لا أحد منا محصن من محاولة إثبات شيء لنفسه. ولكن في هذا المهرجان، ثمة خمسة أشخاص يحاولون إثبات قيمتهم الإبداعية. ورغم أن الأمر قد يبدو أنني كنت مدفوعًا بالغرور ذاته، فإنني كنت أحاول إثبات شيء آخر، وهو أن القدر لم يخطئ حين قرر أن بعض أفراد عائلتي يجب أن يموتوا بينما أعيش أنا.

أعطاني معالجي اسمًا لهذا الشعور: ذنب *الناجي*. لا نراه كثيرًا في روايات الغموض من العصر الذهبي. ينتهي الأبطال من كتاب ثم يعيشون في حالة من الركود إلى أن تبدأ القصة من جديد في الصفحة الأولى من الكتاب التالي. لا يوجد تأثير تراكمي لحجم الموت والعنف الذي يشاهدونه؛ لا تُرسخ الجريمة في أعماق نفوسهم ولا تأكلهم في الليل. رغم كل ما أتمنى أن أكون مثل هؤلاء المحققين الخياليين الشهيرين، فإنني مطارد بطريقة لا تطالهم، فهم نائمون بين كل مرة يلتقط فيها مؤلفهم قلمه. ما أحاول قوله هو أن الآنسة ماربل[1] لا تعاني الكوابيس.

---

(1) اسم شخصية في رواية لأجاثا كريستي بالاسم نفسه. (المترجمة)

شعرت ببعض التحسن بعد أن أخبرت جولييت أخيرًا. ساعدتني حركة القطار الهادئة على الاسترخاء أكثر، وصار صمتنا مريحًا. كان معظم الناس قد غادروا المقصورة، فيما عدا وايت وفولفجانج. أمام وايت شيء بدا كدفتر شيكات، وراح ينقر بالقلم عليه. لم أستطع سماع حديثهما، ولكن بالنظر إلى يده الأخرى التي تشد على مفرش الطاولة، والقلم الذي لم يأت بحركة توحي بكتابة الكثير من الأصفار، بدا أن محاولة شراء فولفجانج باءت بالفشل.

تثاءبت جولييت، وقالت: «أعتقد أنني سأخلد إلى النوم. أود الاستيقاظ باكرًا لأرى شروق الشمس، يقول آرون إنه مشهد يحدث مرة واحدة في العمر». أشارت برأسها نحو نهاية العربة. «هل نذهب؟».

ابتسمت بألم، وقلت: «ليتني أستطيع ذلك. كنت آمل أن ألتقي سيمون في البار. لن أتأخر».

قالت جولييت: «تبًّا!» راحت تتحسس نفسها، رغم أن ما كانت تبحث عنه لن تسعه جيوبها مطلقًا. أضافت: «شالها! لقد تركته في المطعم بعد الفطور ونسيت تمامًا أن أعيده لها. أوه، اللعنة. سأسأل في الصباح إن كان لديهم قسم للمفقودات، أو ربما أخذه أحدهم. هل تمانع في ألا تذكر الأمر عندما تراها؟ قل إنه ما زال معي، ليس أنني أضعته».

لقد ذكرت بالفعل أن ذاكرة جولييت الضعيفة ستشكل نقطة في الحبكة. إليك ما هي: شال أزرق ينتقل من يد إلى أخرى. هذه اللعبة الكئيبة من «تمرير الطرد» التي تنتهي بجثة.

قلت بمكر: «أنت خائفة منها إذن». رمتني بنظرة تعني *إذا كنت لن تساعد*، فتراجعت وقلت: «على الأقل لن يذهب بعيدًا. لن أذكر الموضوع، وسأحاول أن أكون سريعًا».

قبَّلتني، وقالت: «ليس متأخرًا جدًّا. مهما كان، أنا سعيدة لأنك هنا، معي».

تناثرت رغوة الإسبريسو مارتيني من شفتها العليا ثم إلى خدي وهي تتحدث: «الأمر ليس بهذه الأهمية يا إرني. دعك منه».

- هو كذلك بالنسبة إليَّ.

- ماذا تريدني أن أفعل؟ إذا لديك مشكلة مع الأمر، ما كنت قبلت اعتذار وايت.

- لم أكن أعرف عمَّ يعتذر!

- لماذا قبلته إذن؟

زفرت بضيق: «حاولت أن أكون مهذبًا».

- والتصرف المهذب الذي عليك فعله الآن هو أن تتوقف عن ذلك كله قبل أن تحرج نفسك.

زفرت بعمق عبر أنفي، وعددت ثلاثة أنفاس. كانت سيمون مثل الأرض المرصوفة بالحجارة، نادرًا ما أضع قدمي بثبات أمامها. لكنه كان يومًا صعبًا ومشروب الإسبريسو مارتيني معروف بقدرته على تهدئة الأعصاب. لو أننا قدمناه في القمم السياسية، لوقعت حرب عالمية كل ثلاثة أشهر.

اعتدلت في جلستي وتنحنحت، ثم قلت: «حسنًا. أنا عميلك. لقد استأجرتك. وأنا أطلب منك أن تتصرفي نيابة عني في مسألة أعتقد أنها ستؤثر سلبًا على مسيرتي المهنية، هل هذا واضح؟».

استغرقت سيمون لحظة لتقيم الجدية في ملامحي، ثم ضحكت ضحكة خافتة، وقالت: «لو علمت أن لديك عمودًا فقريًّا يا إرنست، لازدهرت صداقتنا في وقت أبكر من ذلك». وضعت يدها على صدري

وربتت عليه بتعجرف. «لن أتحدث مع وايت عن الأمر، مستحيل، ولكنني فخورة بك».

- لكنك تحدثت معه. سمعكما أحد الضيوف تتجادلان. إذن ما تقولينه ليس إنك لن تفعلي، بل إن الأمر صعب عليك وأنك تستسلمين؟

- طيب، حسنًا. لقد فاتحته في الموضوع، كما سمع صديقك. لكن صدقني يا إرنست، لا كاتب يريد أن يسمع كل محادثة يجريها فريقه عنه. إنني أخبرك ما تحتاج إلى معرفته.

شعرت وكأن رئتي فرغتا من الهواء، وقلت: «هل تهتمين حتى بمسيرتي المهنية؟».

- ماذا يفترض بذلك أن يعني؟

- حسنًا، بدوت ودودة جدًّا مع ماكتافش ووايت هذا الصباح، بعد نشر المراجعة.

أنهت سيمون شرابها وألقت نظرة حولها في البار. بالنظر إلى الفجر الذي يلوح والسواد الذي يكتسي الخارج، كان من السهل الاعتقاد بأن الوقت كان متأخرًا أكثر مما هو عليه في الواقع. جلس هارييت وجاسبر يحتسيان الشراب في مقعد مقابل لنا. أما بروك، رئيسة عصابة المهووسين، جلست تقرأ في الركن البعيد. الوحيد الذي تغير فيه شيء خلال الساعة الماضية هو وضعية مِرفق ماكتافش التي أخذت تتبدل باستمرار. النساء الثلاث الأكبر سنًّا، اثنتان منهن شاركتاني وجولييت الحلوى، كن يتصرفن وكأنها ليلة وداع العزوبية، تتلاعب الكؤوس بين أيديهن. وضعت كل واحدة منهن نسخة من كتاب على الطاولة، وكأنها جلسة نادي كتاب، رغم أن عنوان الكتاب لم يكن من أعمال أي من ضيوف المهرجان: «إحدى عشرة نشوة لديبورا وينستوك» بقلم إريكا ماثيسون.

عرفت ذلك الكتاب. لقد كان ظاهرة اكتسحت العالم الافتراضي. لم يكن فيه ما يكفي من الجرأة ليصنف كمادة إباحية، لكنه حوى قدرًا من الجرأة جعل الحديث عنه ينتشر في صالونات الأدب وحفلات الشاي الراقية، ليحقق مبيعات هائلة تجاوزت الملايين. إذا كان الكتّاب المرموقون يمقتونني، فلا شك أنهم يحتقرون إريكا ماثيسون. لقد انطلق الكتاب عبر منصة تيك توك، تلك التي ليست مجرد تطبيق تواصل اجتماعي، بل صوتًا يتردد في آذان أمثال رويس حين يكتشف الكتّاب الجدد جمهورًا جديدًا عبر وسائل غير تقليدية. المرأة التي لم أتعرف عليها بعد، كان شعرها ملتفًّا أشبه بخلية نحل فضية، وتعرض بفخر نسختها الموقعة (إلى ف!) بفرح يرافقه رنين أساورها الذهبية. حمل الكتاب شعار دار جيميناي للنشر على غلافه وملصقًا على الواجهة الأمامية من مكتبة في داروين – عرفت الشعار لأنني دخلت تلك المكتبة من قبل لأحاول دفع كتبي إلى مقدمة الرفوف، لأكتشف أنها لم تكن موجودة على الإطلاق.

جذب ماكتافش انتباهي بضربة من عصاه. انزلق ونهض عن مقعده ودعم نفسه حتى وقف. قال: «حسنًا! إلى السرير مع هذا الرجل». أِشار إلى صدره بإبهامه بينما ينادي إلى سينثيا عبر البار. انتهز أحد الضيوف الفرصة ليقفز بسرعة ويقاطعه، حاملًا نسخة مفتوحة من رواية مجيء الليل، مجهزًا القلم على التوقيع. ظننت أن بروك قد تتبعه، لكن جاسبر انضم بدوره إلى الصف الصغير. لم يحمل كتابًا، لذا حينما جاء دوره، مد يده مبكرًا للغاية، فاضطر أن يسير بضع خطوات ويده ممدودة كدفة سفينة حتى انتهى بها الأمر أمام حزام ماكتافش على نحو محرج.

قال جاسبر: «جاسبر».

تمتم ماكتافش بكلمة ترحيب، ولكن يد جاسبر ظلت ممدودة.

سعل جاسبر سعلة خفيفة، وقال: «جاسبر مردوخ».

قال ماكتافش: «أجل، حسنًا. انتظر». أخرج قلمًا من جيب معطفه ثم التقط قاعدة كؤوس من الورق المقوى من البار، خطَّ شيئًا عليها ثم سلمَّها لجاسبر قائلًا: «ها أنت ذا».

وقف جاسبر هناك لثانية يقلب القاعدة الورقية في يده، ثم عاد إلى طاولته وسلَّم القاعدة لزوجته بينما جلس وأخذ رشفة طويلة من شرابه. بدا كأنه شخص عبر ساحة المدرسة ليطلب من محبوبته الخروج معه، مستنزفًا في تلك اللحظة كل مخزون الخجل والطاقة لديه دفعة واحدة.

قرأت هارييت المكتوب على الورقة: «إلى جاسبر مردوخ». ثم وضعتها في حقيبة يدها، وقالت: «يا للروعة. هذا جدير بأن نحتفظ به».

سار ماكتافش بتثاقل عبر الممر باتجاه المطعم ومقصورته في نهاية القطار، أخذ صوت ضربات عصاه الثقيلة يتردد عبر الأرضية الرقيقة مع كل خطوة.

بعد أن اختفى ماكتافش وخفتت ضربات عصاه، قالت سيمون بنبرة حازمة وهامسة، لكنها حملت إيحاء: *عليك أن تسمع هذا*، أكثر من كونه توبيخًا: «حسنًا. لمعلوماتك فقط، نحن شركاء، لا يحق لك أن تخبرني بما أفعل، يفترض بنا أن نثق ببعضنا بعضًا».

- أنا فقط...

قاطعتني رافعة إصبعها. «لم أنهِ كلامي. أعلم أنك متضايق. أفهم ذلك. ولكني لا أريدك أن تورط نفسك مع ماكتافش، حسنًا؟ سمعت أن ثمة بعض التوتر بين وايت وهنري. منذ زمن وبينهما عمل مباشر، إذ اكتشفه وايت من قبل حتى أن يشم أي وكيل خبرًا بشأنه، ولا يزال لا يملك وكيلًا. إذن فإن احتكاك مؤلف معين بناشر معين قد يتيح فرصًا لشخص مثلي للعمل مع شخص مثل صديقنا الاسكتلندي. لا أقصد

الإساءة، ولكني لا آتي في رحلة مثل هذه لأحضر الندوات. إذا استطعت إقناع هنري بالحضور، فسيرفع ذلك من شأن عملي. سيرتفع شأنك أنت أيضًا، بحكم كونك جزءًا من عملي، كما هو الحال مع وكلائي كلهم. حينها تصبح المنافع متبادلة، وهكذا قد تجد توصية على غلاف كتابك».

فكرت بصوت عال: «أنت تحاولين توقيع عقد مع ماكتافش؟ بالطبع سينزعج وايت من ذلك، لأنه على الأرجح ربط سلسلة كتب موربند بصفقة خبيثة لماكتافش. أو ربما يمكنك تهديده بأن تأخذيه لمكان آخر».

أسكتتني وهي تمسح البار بعينيها لترى إن كان أحد قد سمع. قالت: «هل يمكنك أن تكون أكثر تحفظًا في الحديث؟ يا إلهي».

- إذن أنت لا تريدين أن تثيري ضجة حول مراجعات ماكتافش لأن ذلك سيؤثر على فرصك في توقيع عقد معه إذا انتشر الخبر؟ ويفترض بي أن أصدق أن هذا لصالحي؟

نظرت إليَّ وكأنني أبله، وقالت: «لا. أنا أفعل ذلك لصالحي أنا. بالطبع لصالحي. هل سمعت قبلًا عن الرأسمالية؟ لكن ما أقوله هو إنه قد يعود بالنفع عليك أيضًا، على المدى الطويل».

- يا إلهي، هل بات الجميع يسرقون بعضهم بعضًا ببساطة هذه الأيام؟

- لا يجرؤون على السرقة مني. لا تفكر حتى.

خطر لي سؤال: «من ينشر كتب فولفجانج؟».

بحثت في ذاكرتها، وقالت: «آه، بريت ديفيس، هاربر كولينز، لماذا؟».

- يحاول وايت شراءه.

زفرت ضاحكة، وقالت: «حقًّا؟ لم أفكر أنه يتبع هذا الأسلوب. يحاول أن يضيف بعض الرقي إلى قائمته على ما يبدو. ليوازن مكب القمامة

ذاك». أومأت نحو طاولة نادي الكتاب من خلفنا، التي تحدث روادها عن كتاب إريكا ماثيسون بحفاوة عارمة.

رفعت صوتي لأتحدث وسط ضجيجهم: «شيء آخر، قلتِ لي إن ماكتافش لا يكتب توصيات». رفعت يدي في وضعية دفاع. «هذا الجزء لا علاقة له بي، أقسم لك. الأمر مثير للاهتمام فقط».

قالت سيمون: «هو لا يفعل. لقد فوجئت بذلك مثلك تمامًا. إما أن ليزا أو ناشرها يبتزانه بشيء ما، وإما أنه فعلها فقط لأجل رؤية تعابير وجه روي».

قلت بقسوة: «يستحق ذلك». كافأتني سيمون بابتسامة ماكرة اعتبرتها كتصفيق حار. كانت مناقشة الكتاب شبه الإباحي قد بدأت تتسلل إلى مقاعدنا.

قالت صاحبة الشعر الفضي: «إنه... بصراحة... عبقري!».

وافقتها صديقتها قائلة: «عميق للغاية ومركَّب. إنه رؤية حقيقية».

أما الثالثة فقبَّلت أطراف أصابعها، وقالت: «إنه كالوحي!».

انحنت سيمون فوق ظهر كرسيها وقاطعتهن قائلة: «عذرًا. أنتن لا تتحدثن عن ذلك الكتاب، أليس كذلك؟ عن كتاب إريكا ماثيسون؟».

تململت صاحبة الشعر الفضي وأدارت رأسها وقالت بتعجرف واهتياج: «ربما. هل قرأته؟».

قالت سيمون: «لم أقرأه». بطريقة تعني: ولن أقرأه.

قالت صاحبة الشعر الفضي وسط قهقهات صديقاتها: «حسنًا، يمكن لأمثالك تعلم الكثير من هذا الكتاب».

ابتسمت سيمون باقتضاب، وقالت: «أشكرك على التوصية».

قالت صاحبة الشعر الفضي بصوت عال كفاية لكي تسمعها سيمون: «هيا أيتها السيدات، أعتقد أن علينا إنهاء مشروباتنا في ركن التدخين». نهضت واقفة فتبعتها الأخريات متمسكات بكتبهن الثمينة. لم يكن انسحابهن دراميًّا كما خطط له، إذ اضطررن لجمع حقائبهن وكتبهن ومشروباتهن، لكن صاحبة الشعر الفضي لم تنفك تتظاهر وكأنها تغادر العربة بخطى واثقة.

قالت سيمون بعدما غادرن: «عجبًا، أصبحت كلمة «عبقري» مستهلكة وتكاد تتمزق هذه الأيام. لقد أخطأت فيرونيكا».

- فيرونيكا؟ هل تعرفين تلك المرأة؟ هل هي ناشرة أخرى؟

رمتني سيمون بواحدة من تلك النظرات التي تعني: لا أعرف لماذا أزعج نفسي. تساءلت: «بلايث؟ الناقدة الرئيسية للكتب في جريدة هيرالد؟».

حدقت إليها صامتًا.

- لا أظنها قد تكتب مراجعة لكتابك. إنها في مستوى أعلى، أو هكذا ظننت. أتساءل بصحبة من كانت قبل قليل. لسنا نقادًا.

قلت: «تعملان في المتاحف. قابلتهما في وقت سابق».

قالت: «لا عجب أنهما يحبان الأشياء المثيرة». صفعت سيمون ركبتيها. «حسنًا، سأذهب الآن. عليَّ الاستيقاظ مبكرًا».

- أمر أخير سريع. أعدك أنني انتهيت من التذمر.

- لا تعد بما لا تستطيع الوفاء به يا إرنست.

- أرشيبالد بنش؟ هل يعني لك هذا الاسم شيئًا؟

هزت رأسها نافية وهي تضم شفتيها في حيرة، قالت: «أعني، أفترض أنه لغز من نوع ما. هذا هو الأسلوب الذي تتحدث به مع هنري.

عليك استخدام حيله الخاصة لجذب انتباهه أو إبهاره. هو يحب الرموز والألغاز واللعب بالكلمات وتلك الأشياء التي تعود إلى العصر الذهبي. بدت تلك الفتاة في غاية اليأس..». قلبَّت إصبعها في الهواء بحثًا عن الاسم.

- بروك.

قالت: «بروك! المعجبة الكبيرة. بدت يائسة جدًّا من أجل إبهاره. لذا لا بد أنها أتت مستعدة للعب لعبته. ربما تكون نوعًا من مزحة ضمنية، ربما دليل في الكتاب أو شيء من هذا القبيل. لكن ليس لدي أي فكرة عن ماهيته. والآن..». وقفت. «سأذهب للنوم. سمعت أن الشروق لا يُفوت».

كما هو الحال مع جميع الأخطاء الجيدة، التي غالبًا ما ترتكب بسرعة وبكثرة، اندفعتُ في ارتكاب ثلاثة أخطاء متتالية قبل أن أدرك حتى أنني ارتكبت الخطأ الأول. جاءت الأخطاء بالترتيب التالي: جلست أجتر الأفكار حتى أصبحت آخر شخص في البار، ثم تناول شراب مارتيني آخر في أثناء ذلك، وأخيرًا قراري بمواجهة ماكتافش. لم أكن قد اتخذت القرار الأخير تمامًا حتى وقفت وهممت بالمغادرة ثم سرت في الاتجاه المعاكس. لأجد نفسي في عربة المطعم الفارغة. كان ذلك فألًا كافيًا لأقرر أن قدميَّ تعرفان أكثر من رأسي، فتابعت السير حتى الجزء التالي من المقصورات السكنية، وعبر الفجوة المهتزة عند المزلاج، ومن خلال باب يحمل لافتة «بلاتيني». كانت المجموعة الأولى من المقصورات على الجانب المقابل مني، مما يعني أن نوافذ الركاب ستطل على شروق الشمس. أما المجموعة الثانية فحملت لافتة «الموظفون» صغيرة، وتتمتع بإطلالة متواضعة على الناحية الغربية، مثل مقصورتي.

سمعت صوت ضجيج عال يصاحب خطواتي، ظننته صادرًا من مسارات القطار أو من مطبخ المطعم. سرعان ما وصلت إلى مجموعة

أخرى من الأبواب المزدوجة وعبرت الفجوة نحو العربة الأخيرة من قسمنا. ولكن بدلًا من أن أجد ممرًّا آخر، وجدت نفسي أمام باب مغلق يحمل لافتة «عربة الرئيس». كانت نهاية الخط.

لم يفاجئني امتلاك ماكتافش للمقصورة الأكثر فخامة، أقرب إلى جناح ملكي على متن قطار، هذا ظني. لكن ما فاجئني هو أنني لم أكن الوحيد هناك.

كان رويس أمام الباب موليًا ظهره لي. استند بكتفه إلى الباب وراح يضربه بقبضته المرفوعة ضربات متكررة. بدا كأنه زوج خائن يتوسل للسماح له بالعودة إلى بيت الزوجية. انبعثت نحوي رائحة أنفاسه الكريهة والبيرة ما إن خطوت بين العربات. كان صوت اصطدام العجلات أعلى عند نقاط اتصال العربات ببعضها، حيث غطاء الأرضية خفيف وليس محكم التثبيت. أخذت الأرض الرمادية الصخرية تمر بسرعة تحتنا خلال الفجوات، يتطاير الشرر من احتكاك العجلات بالسكة الحديدية.

صرخ رويس من دون أن يلاحظني: «هنري!» ضربة. ضربة. ضربة. «هنري!».

كان صوت الطرق هو الصوت الذي سمعته من العربة الأخيرة. وضعت يدي على كتف رويس، فسرت صدمة كهربائية عبر جسده تقريبًا. استدار منتفضًا وقطب جبينه، نظر إلي بعينيه الحمراوين، وعلامة حمراء فوق إحدى عينيه حيث كان مستندًا إلى الباب.

قال: «اغرررررب»، مسرفًا في نطق حرف الراء وكأنما قد سرق بنكًا منه.

اندفع نحوي مترنحًا، فتراجعت خطوة إلى الخلف تحسبًا لأي حركة مفاجئة، لكنه اكتفى بالوقوف هناك مترنحًا، بدا محبطًا ومثيرًا للشفقة.

هل هكذا بدوت أمام سيمون؟ بلا كرامة؟ أعاد لي هذا المشهد البائس عقلي. وتعهدت أن أتصرف باحترافية أكثر غدًا.

قلت: «أعرف ما تشعر به، صدقني. لقد جئت هنا لأفعل الشيء نفسه. لكن دعنا لا نحرج أنفسنا الليلة. ما رأيك أن ننام، أو نستحم، ونرى كيف سنشعر في الصباح؟».

رمق رويس الباب بنظرة حاقدة، وكأنه قد أهانه. قال: «إنهما بالداخل».

- هما؟

«سمعتهما يتحدثان. صوت امرأة. إنه مدين لي، وهو بالداخل معها» استدار رويس وصاح: «سمعتكما تتحدثان!».

وضعت يدي بحذر على كتفه، وقلت: «لا تفعل شيئًا قد تندم عليه في الصباح».

قال: «اخرج وتحدث معي!» خطا نحو الباب مرة أخرى، لكنني تحركت بسرعة وأشبكت ذراعي تحت إبطه وأدرته إلى الناحية الأخرى. فتح عينيه على اتساعهما غير مستوعب لماذا أصبح فجأة في الاتجاه الخطأ، لكنه تقبل مساره الجديد دون شكوى.

سال لعابه على أذني وهو يقول: «لماذا هي؟ لماذا اختارها؟».

قلت، محدثًا نفسي أكثر منه: «إنها مجرد توصية يا رجل».

كان رويس يترنح وكنت أجره تقريبًا، مررنا عبر المطعم والبار ثم إلى منطقة مقصوراتنا. كانت كتفي مبللة بحلول ذلك وافترضت أن هذا بفعل اللعاب، لكنني أدركت فيما بعد أنه كان يبكي على رقبتي.

شهق، وقال: «إنها مجرد كلمات قليلة. لا يحتاج حتى إلى أن يقرأ الشيء اللعين. كان وايت يهتم من قبل. قال إنه سيساعدني عندما أحتاج إليه، ولم يفعل قط. لكن المبيعات..». تجشأ. «لم تعد كما كانت».

شعرت بقدر مفاجئ من التعاطف تجاه رويس في تلك اللحظة. قلت: «مهلًا. لقد أخبرتني بنفسك أن كتابك الأول رُفض أربع مرات. لقد تجاوزت عقبات أكبر. ارفع رأسك».

قال: «لقد توسلت. هذه المرة، أرجوك. لا تطلب من هنري أن يكتب توصية، بل اجبره. قال وايت إنه سيفعل ما بوسعه. كان يعلم أن هذا الأمر قد يغير حياتي». وصلنا إلى أحد الأبواب. «هذه هي».

توقفنا أمام غرفته، قضى لحظة يربت على معطفه بحثًا عن المفتاح قبل أن يتذكر أن الباب ليس له قفل ويدلف إلى الداخل. لم تبلغ طيبتي تجاه رويس حد تجريده من ملابسه وإدخاله السرير. لذا وقفت عند الباب بينما رمى نفسه على السرير السفلي.

قال بصوت مكتوم في الوسادة، وكان أقرب إلى أنين منه إلى كلام: «أخبرني... لم يحدث، أليس كذلك؟ كل تلك الأمور على الجبل؟ لقد اختلقتها، أليس كذلك؟ من أجل الدعاية».

قلت: «لقد حدثت. لا أتمنى ذلك لأي أحد». ثم، لأنني أدركت أنه لن يتذكر ذلك. «ولا حتى أنت».

صنع رويس صوتًا كمواء القط، ثم ضحك وشهق وتجشأ في الوقت نفسه. كان ذلك مذهلًا من الناحية الصوتية، لكنه حاد بعض الشيء. قال: «أنت محظوظ فقط إذن، هاه؟ بوقوعك بين تلك الجرائم؟».

- أجل يا صديقي، محظوظ.

- بالطبع. ثمة احتمال آخر.

- أوه، حقًّا؟

- لو أنك لم تختلقها، ربما ارتكبتها كلها بنفسك. هذه إحدى الطرق التي تكتب بها كتابًا.

خرجت الكلمات من فمه مثلما لو يمضغ علكة، وتمتد جمله كطنين رتيب.

- أنت ثمل.

قال مازحًا: «وأنت تكذب. ليست فكرة سيئة، دعاية تلقائية، أسهل من البحث».

- تصبح على خير يا رويس.

قال رويس وهو على وشك أن أغلق الباب: «على هنري أن يكون حذرًا». ظننت أنه يهمس لنفسه، لكنني استدرت ورأيت إحدى عينيه الحمراوين تحدقان مباشرةً إليَّ. «الأشياء التي فعلتها من أجله. لا ينبغي أن يتصرف بهذا... بهذا... التعرف... مع صداقتي».

- تعجرف؟

- هاه؟

- هل تعني التعجرف؟

- مممم.

- ما الذي فعلته من أجل ماكتافش؟

رمش رويس ثم، بدا الأمر وكأنما أفاق من غيبوبة، قال: «كانينجهام؟ ما الذي تفعله هنا؟».

- إنني أساعدك على النوم يا صاحبي. هذا كثير بعض الشيء.

- قل الحقيقة. لم تحدث، أليس كذلك؟

لقد عدنا إلى حيث بدأنا: نسي رويس تمامًا كل ما أخبرني حتى الآن. ولا شك في أنه سينسى الباقي بحلول الصباح. ليس غريبًا بالنسبة إليَّ أن يتهمني رويس بالخداع، فخدعة الأدب الكبرى تقليد عريق. من يكتبون القصص المروعة عن الصدمات النفسية لمدمني المخدرات رغم أنهم لم يلمسوا أي مادة مخدرة قبلًا. ناجون من هيروشيما ينسجون قصصًا من وحي خيالهم. مذكرات لطفلة في الخامسة عشرة من عمرها اختلقتها امرأة في الرابعة والخمسين. ادعت امرأة في إحدى المذكرات أنها نجت من اضطهاد النازيين وكبرت في الثلوج على يد عائلة من الذئاب، وصدقها العالم بأسره. حتى إن قصتها عرضت في فيلم ناجح قبل أن تنهال الاتهامات، تاركة الناشر في موقف حرج. لم يكن رويس أول من استخف بي على أي حال، فقد ظهرت في برامج صباحية على التليفزيون ولدي حساب على تويتر أيضًا.

قلت مجددًا: «لقد حدثت».

- إذن أظن أنك الوغد الأقل حظًّا الذي أراه في حياتي. ولو أن النحس يطاردك، فربما سيقع أمر ما هنا أيضًا.

- احترس مما تتمنى.

رماني بحبة توت، وقال: «إنني أتمنى ذلك بالفعل. أن نستيقظ غدًا ويكون واحد منا ميتًا».

- لا تقل ذلك.

- إنك خائف فقط.

- من ماذا؟

- من أنني محق. لو لم أكن كذلك، كم سأحب أن أرى رد فعلك على جريمة حقيقية.

- تصبح على خير يا رويس.

أغلقت الباب، ولم تمض ثوانٍ حتى سمعت شخيره المدوي. حين عدت إلى مقصورتنا، كانت جولييت غارقة في النوم، ساكنة تمامًا. لقد أخذت السرير العلوي، تتدلى ذراعها التي شحب لونها تحت ضوء القمر بلا حراك على الجانب. بدلت ملابسي بما استطعت من هدوء وارتديت ملابس النوم، ثم استلقيت على السرير السفلي وأغمضت عيني وحاولت النوم.

استمر القطار في شق طريقه مسرعًا عبر الظلام.

الفصل العاشر

هذا مشهد مألوف في روايات الغموض: قبل وقوع الجريمة، تُسمع بعض المحادثات في عمق الليل. وهذا ما سيحدث هنا.

لم أنم بسهولة. توقعت أن يكون التأرجح الخفيف للقطار مريحًا وتأمليًّا، ولكان كذلك لولا أنني نسيت أن أحسب حساب تأثير مزيج اثنين من المارتيني واثنين من البيرة في معدتي. كل زوج منهما لكان مقبولًا بمفرده، لكنهما معًا كانا يقيمان حفلة مفاتيح في معدتي. استيقظت على صوت قرقرة بعد فترة قصيرة من استلقائي، ولأني لم أرغب في إحداث فوضى في المساحة الضيقة لمقصورتنا، وجدت نفسي في الممر متجهًا نحو الحمام المشترك.

يوجد مرحاض عام واحد فقط في قسمنا، حل محل محطة الشاي والقهوة بعد المطعم. وواجب عليَّ كوني محققًا نزيهًا، ينبغي أن أخبرك كل ما أراه، لكن سأعفيك من تفاصيل ما حدث في الحمام، باستثناء أن أقول إنه كان أكثر بشاعة من أي جريمة قتل على وشك أن تقع في هذا القطار. في طريق عودتي إلى غرفتي، وأنا أمسح فمي، تفحصت هاتفي واكتشفت أمرين: أن الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، وكنا رسميًّا خارج نطاق التغطية. سيصبح هاتفي عديم الفائدة حتى نصل إلى

أليس سبرينجز. لاحظت بعض بتلات الزهور متناثرة على السجاجيد، وردية ورقيقة، توحي بمحاولة رومانسية فاخرة. من شأن ذلك أن يفسر حساسية وايت تجاه حبوب اللقاح، أو، كما فكرت بيني وبين نفسي، ربما الاحتمال الأكبر أن لديه حساسية تجاه العواطف.

كان ذلك عندما سمعت صوت وايت.

راح يقول من داخل غرفته، كان صوته مرتفعًا، ولكن ليس بما يكفي لإيقاظ أحد: «لا يهمني ما تريده، هذا موجود في عقدك. ستستمر سلسلة موربند، هذا بسيط. لماذا تغير ذلك بعد كل هذا الوقت؟».

توقفت قليلًا، لكنني لم أتمكن من سماع رد ماكتافش الذي جاء بصوت خافت ومكتوم عبر الباب.

- كان ذلك من أجل الدعاية فقط. سيقرأه الجميع إذا ظنوا أنه الأخير، ثم سيشعر الجميع بالحماس عندما يكتشفون أنه ليس كذلك.

سمعت خطوات أحدهم وهو يتحرك في الغرفة.

- لقد وعدتني أنك ستعيده، ليس أنك ستكتب... هذا!

رد مكتوم آخر. ملتُ أكثر باتجاه الباب لأسمع بمزيد من الوضوح. تذكرت كيف كان ماكتافش متوترًا في أثناء حديثه عن نهاية موربند، ونظراته الحادة التي رمى وايت بها. لا بد أن هذا الجدال كان استكمالًا لذلك.

- أعلم، أعلم. آرتشي بنش. يا لها من فكرة رائعة لعينة.

صمت.

- لا تهددني.

فجأة، انعطف القطار عند منعطف حاد، وارتطم رأسي بالباب بصوت عال. توقفت الأصوات تحت وطأة رعبي. اندفعت هاربًا عبر

الممر، وانزويت إلى ركن الشاي في اللحظة التي سمعت فيها الباب يُفتح. تظاهرت بتحضير كوب شاي، تحسبًا لخروج وايت أو ماكتافش للتحقق من الأمر. لكن تمثيلي كان مكشوفًا لأن الغلاية كانت ملقاة في سلة المهملات، على ما يبدو لأنها لم تكن تعمل.

لا يهم، فقد سمعت صوت الباب يُغلق، وبعد دقيقة، تسللت ببطء عبر الممر. يبدو أن وايت قد أخفض صوته، أو أن الجدال قد هدأ من تلقاء نفسه. في كلتا الحالتين، لم أتمكن من سماع أي شيء هذه المرة، لذا أسرعت بالعودة إلى سريري.

بقيت مستيقظًا. غطت جولييت في نوم هانئ فوقي، وذراعها ما زالت متدلية من السرير العلوي، لدرجة أنني لم أتمكن حتى من سماع صوت أنفاسها الخفيفة وسط ضجيج القطار. كيف تفعل ذلك؟ كيف تتجاهل كل ما حولها وتنجح في أن تعيش في سلام؟ ظننت أن المديح والتحقق هما ما ينقصان مسيرتي، ما سيجعلانني كاتبًا حقيقيًّا، لكن سماع ذلك الجدال مع وايت جعلني أدرك أن ماكتافش شعر بأنه محاصر مثلي تمامًا. هل ثمة ضوء في نهاية هذا النفق؟ أم أنه لا يهم من تكون ومدى نجاحك، إذ ثمة من يملكك دائمًا. دائمًا ثمة من يطالبك بالمزيد والمزيد والمزيد.

خلَّف اليوم بأكمله طعمًا مريرًا في فمي، ولم يكن ذلك فقط بسبب المارتيني الذي ارتجع في حلقي. راودني شعور بأن الغد سيزداد سوءًا.

لم تكن لدي أي فكرة.

الفصل الحادي عشر

قد يكون هذا مفاجئًا، لكن الجميع نجا من تلك الليلة.

أعلم أن هذا ليس ما يحدث عادة في روايات الغموض. هناك الليلة التي تسبق الأحداث، حيث تُسمع أجزاء من المحادثات (تم) وتُعرض الدوافع المعقدة والخلفيات لكل شخص (تم)، ثم يتراجع الجميع، كما لو أن برودواي نسقت ذلك، إلى غرفهم، حيث تغلق الأبواب في تناغم، ليتفاجأ الجميع في الفجر بصراع ليلي، ومقصورة ملوثة بالدماء وضحية. لكن، للأسف، ليس هنا. ليس بعد.

رغم ذلك، فقد كان الشروق مذهلًا كما وُعدنا. فرن ذهبي ينزف فوق الرمال ويحولها إلى حمم متلألئة. وبينما نقترب من وسط أستراليا، أصبحت الأرض مسطحة بشكل لا يوصف. قد يبدو لك، كما بدا لمحرري، أنه نقص في البلاغة أنني لا أستطيع وصف الأرض المنبسطة. لكن هناك أرضًا منبسطة على النحو العادي، بالتأكيد، وهناك هذا الامتداد السرمدي، المجدب، الذي لا يضاهيه أي شيء، ربما ينظر إليه مستكشف من فوق ظهر جمل، ويظن أنها نهاية العالم. هكذا كانت الأرض منبسطة. هكذا كان وسط أستراليا.

شاهدت أنا وجولييت شروق الشمس من الممر في ملابس نومنا. ثم استحممنا وبدلنا ملابسنا، بينما نتحرك بحذر في رقصة المقصورة الضيقة. وتوجهنا إلى البار لحضور الندوة الصباحية.

كان المشهد مألوفًا لأي شخص مع بداية عطلة صباحية -مزيج من مفرطي الحماسة وأولئك الذين أثقلوا على أنفسهم في الليلة السابقة- ولا توجد جثث تُذكر. سيدات نادي الكتاب (لسن ميتات) اللواتي كن يقرأن الأدب الإباحي بدت عليهن علامات الندم الشاحب نتيجة الإفراط. بروك (ليست ميتة) كانت في معسكر المتحمسين أكثر من اللازم، وقد أخذت مكانًا في المقدمة، واضعة نسخة من رواية بؤس على الأرض، وفي يدها دفتر قصاصات كبير، تعج حوافه بمنشورات حادة لُصقت على عجل. كانت ندوة اليوم أصغر حجمًا، يشارك فيها فقط إس إف ماجورز (ليست ميتة)، والتي راحت تقلب في ملاحظاتها، وماكتافش (لم يصل بعد)، ولذلك وُضع كرسيان قابلان للطي في نهاية العربة، بينما جلس جمهور الجلسة على أي مقعد استطعنا الاستيلاء عليه من البار.

ظهر ماكتافش (ليس ميتًا) بعد قليل، مرتديًا صديري وربطة عنق حمراء، وبرفقة وايت (ليس ميتًا). بدا كلاهما في حالة معنوية مرحة، وكأنما تجاوزا الجدال الذي دار بينهما في منتصف الليل، رغم أن نتوء طفيف كان على جسر أنف ماكتافش، احمرار بدا كأنه مقدمة لكدمة. هل تصاعد الأمر إلى اشتباك جسدي قبل أن أقاطعهما؟ حاولت بروك أن تدفع دفترها نحوه، ممتدة يدها بالقلم بينما مر هو بجانبها في طريقه إلى مقعده، لكن وايت حشر نفسه بينهما وذكرها بأن التوقيع سيكون عقب الجلسة.

ضغطت سيمون (ليست ميتة) ضغطة خفيفة على كتفي وهي تمر بجانبي لتجلس بجوار دوجلاس (ليس ميتًا)، الذي حمل قهوة واحدة

هذا الصباح، ربما لأنه أدرك أنني كنت أعدُّ مشروباته. جلس فولفجانج (ليس ميتًا) موليًا ظهره للمتحدثين، يقرأ كتابًا ذا غلاف من الورق المقوى بعنون «ثمن الذكاء»، والذي بدا من بساطته وحجمه أنه كتاب علمي، ولكنني لاحظت أن هناك احتمالًا مماثلًا أن يكون مجموعة شعرية متخمة بالغرور. أما جاسبر وهارييت (ليسا ميتين)، فقد كانا حاضرين بالطبع، بعد أن أثبتا أنهما من مهووسي توقيعات الكتب مثل الجميع. انهمكت سينثيا (ليست ميتة) في العمل على ماكينة القهوة مجددًا، تحت إشراف مضيفنا آرون (ليس ميتًا). ترنح رويس (ليس ميتًا، ولكنه بدا كأنه على وشك) إلى الداخل بينما تستعد ماجورز لبدء الجلسة، ولا يزال تأثير صداع الكحول يكسو ملامحه، فهوى في مقعده كما لو تلقى رصاصة في ركبته. الشخص الوحيد الغائب حقًّا كانت ليزا فولتون (غير معروف إذا كانت حية أم ميتة).

بينما راحت الحناجر غير المذبوحة تتنحنح بسعال خفيف، والجباه غير المصابة بالرصاص تُدلَّك إثر صداع الثمالة، وتُملأ كؤوس الماء من جرار غير مسمومة، ويجتمع بقية الضيوف بينما يحتسون القهوة، مال ماكتافش نحو بروك وهمس: «إنه شراب رائع وقوي لتشربيه وحدك».

قبل أن يتمكن من قول أي شيء آخر، صدرت ضوضاء حادة من الميكروفون معلنة بداية الحدث. من جانبها، بذلت ماجورز جهدًا كبيرًا لضمان أن جلسة هذا الصباح تركز على دراسة أعمق لأعمال ماكتافش. لكن على الرغم من جهودها، راح ماكتافش يأخذ تلك الرشفات المألوفة من قارورته، وأعاد سرد الحكايات نفسها التي سمعناها بالأمس. تسللت أفكاري بعيدًا نحو النافذة. لم يكن هناك الكثير من الحياة البرية بجانب القطار –الأرض كانت قاحلة جدًّا حتى بالنسبة إلى الكنغر– لكن طائرًا دائريًّا ممتد المخالب كان يطفو بجانبنا.

بعيدًا عند الأفق، تصاعدت أعمدة من الدخان الأسود ولطخت السماء الزرقاء في عدة أماكن. كانت هناك طائرة هليكوبتر صغيرة تحمل وعاء ممتلئًا بالماء معلقًا أسفلها. جعلني هذا أفكر في أن القلق بشأن الطائر الذي يتسبب في حرائق الغابات كان أكبر مما ألمح إليه آرون. قد تكون دورة طبيعية في النظام البيئي، أو جزءًا من دائرة الحياة، لكن أن يكون كل هذا الدمار من أجل مصلحة ذاتية لا يبدو لي طبيعيًّا على الإطلاق. أن تحرق غابة كاملة من أجل وجبة إفطار تافهة. بدا ذلك من شيم الإنسان.

ثم سمعت ماجورز تقول: «هل أنت بخير؟» وتغير كل شيء.

استدرت لأرى ماكتافش يضع يدًا على فمه وكتفاه تهتزان. أصدر صوتًا أشبه بالتجشؤ والفواق معًا، ثم اندفع تيار من القيء من يده، يتسرب من بين أصابعه إلى الصف الأمامي، حيث راح الحاضرون يصرخون ويهرعون إلى الخلف مسرعين. انحنى ماكتافش وأسقط قارورته على الأرض، وتخلى عن محاولة تغطية فمه، ليتقيأ على السجادة ويغطي نسخة بروك من رواية بؤس.

وقفت، مثل جميع من في الغرفة، غير عارفين كيف قد نقدم المساعدة. شق آرون طريقه إلى مقدمة العربة حاملًا حقيبة الإسعافات الأولية. شحب وجه ماكتافش تمامًا الآن، لكن مسحة زرقاء ظهرت عليه، وارتعش. أمسك بعصاه ودعم نفسه حتى وقف. كانت أنفاسه متقطعة ومتسارعة.

بدا ماكتافش وكأنه استعاد بعض السيطرة على نفسه، رغم أنه لم يزل يتكئ على عصاه بغير استقرار. كانت بشرته شاحبة ودبقة، وبؤبؤا عينيه قد تقلصا. أخذت القارورة تنسكب ببطء على السجادة حتى تشبعت الأرضية بالكحول. نظر إلينا جميعًا، مسح فمه وقال: «لا يبدو أنني في حال جيدة».

ثم مات.

أعني ذلك حرفيًّا. كان ينظر إلي مباشرة، وكأن أحدهم أطفأ عقله. لم تتراجع عيناه إلى الوراء ببطء، أو ينغلق جفناه تدريجيًّا. نظر إليَّ للحظة واحدة، وفي اللحظة التي تلتها احترقت دائرته العصبية، تحركت عيناه في اتجاهات مختلفة (إحداهما إلى الأعلى جهة اليسار، والأخرى إلى الجانب المعاكس تمامًا)، وتلاشى كل شيء فيهما. ظل واقفًا لثانية واحدة بفضل عصاه، ثم تراخى جسده وسقط متكومًا على الأرض.

جثة هامدة.

لم يتحرك أحد. كان الأمر عبثيًّا جدًّا، غير متوقع وعنيف إلى حد أن أحدًا لم يفكر حتى في الصراخ. لم يصدر أحد أي صوت عدا الصمت المرعب. باستثناء قلم آلان رويس وهو يخط شيئًا في دفتر ملاحظاته.

الفصل الحادي عشر ونصف

إليك ما يدور في رأسك:

- ليزا فولتون هي المشتبه فيها الرئيسية حاليًّا، ببساطة لأنها كانت الشخص الوحيد الذي تعامل معي بلطف ولو قليلًا خلال هذه الرحلة. يعتبر غياب أي دليل إدانة ضدها، على نحو مثير للسخرية، دليلًا ضدها. إضافة إلى أنها الشخص الوحيد الذي لم يكن موجودًا في الغرفة عندما مات ماكتافش.
- آلان رويس في أسفل قائمة المشتبه فيهم حاليًّا، نظرًا لكونه يمثل ذلك النوع من الصراصير البغيضة التي ينتهي بها الحال كضحية في هذا النوع من الكتب، وتعتبر أن من الواضح جدًّا أنه هو القاتل.
- إس إف ماجورز وفولفجانج في المكان نفسه، في منتصف القائمة، وكذلك الحال بالنسبة إلى سيمون ووايت. من الواضح أنهم جميعًا يخفون أمرًا ما، ولكن لم يتضح أيهم يحمل أسرارًا تستحق القتل من أجلها. نجد أن وايت متورط في الكثير من الشبكات، نظرًا لعلاقاته مع معظم، إن لم

يكن كل من على متن القطار بحكم موقعه في دار جيميناي للنشر. عينك على أولئك الأربعة.

- لقد فكرت أيضًا في أن القاتل قد لا يكون واحدًا من الكتَّاب، بل ربما أحد الضيوف، تتضمن هذه المجموعة بروك وجاسبر وهارييت مردوخ وسيدات نادي الكتاب الإباحي ودوجلاس. أنت لست مقتنعًا بأن لدى أي منهم دوافع قوية كفاية تؤهله ليصبح قاتلًا، إلا أن تصرف دوجلاس كـ «الغريب الغامض» ربما جذب الانتباه دونًا عن الباقين.

- وبالطبع لم تستبعد الموظفين: سينثيا، الساقية، وآرون، مدير الرحلة، لأنهما الوحيدان من الموظفين اللذان منحتهما اسمًا. بالطبع قد يحضر آرون وسينثيا إلى ذهنك لأنك تعلم بوجود جريمة قتل ثانية قادمة، وربما فكرت أن هذا قد يكون سببًا كافيًا لتسميتهما.

- بقيت جولييت مستبعدة من تدقيقك، لأن الشخصية العائدة في الجزء الثاني عادة لا ترتكب الجرائم إلا إذا حدث تغيير جذري في شخصيتها، وهو ما لن يعتبر منطقيًّا أو عادلًا. بالطبع، قد تشك في وجود القليل من الغيرة بما أن كلينا كتبنا كتابًا عن الموضوع نفسه وبما أنني صاحب الدعوة إلى المهرجان. ولكن لنكون واضحين، وحده أحمق من سيتهم جولييت بالقتل.

بتنا إذن نعرف موقفنا فيما يتعلق بالشكوك. ستجد نفسك أيضًا تتساءل عن النقاط التالية في الحبكة:

- هل مات هنري ماكتافش حقًّا؟ إذ إن في بعض الأحيان يعود الأشخاص من الموت في هذا النوع من الكتب. سأخبرك الآن

أنك تستطيع أن تغمز لحصان أعمى بقدر ما تستطيع أن تغمز لمؤلف اسكتلندي ميت: إنه متوفى مما لا شك فيه.

- تظن أن حبكة رواية الخروج عن المسار قد تكون ذا أهمية.
- خطر لك أن ليس كل شخص في هذه الكتب كما يدعي. تتساءل ما إذا كان هناك شخص اسمه الحقيقي هو أرشيبالد بنش على متن القطار، ولكن بهوية مختلفة.
- لقد وعدتك بأنني سأستخدم اسم القاتل، بجميع أشكاله، 106 مرات. لأكن منصفًا، إذا كانت هناك هويات متعددة، فسأحسب المجموع التراكمي للكل. والسجل الحالي هو:

- هنري ماكتافش: 136
- آلان رويس: 70
- سيمون موريسون: 56
- وايت لويد: 51
- إس إف ماجورز: 46
- ليزا فولتون: 40
- فولفجانج: 40
- جاسبر مردوخ: 27
- هارييت مردوخ: 21
- بروك: 20
- آرون: 14
- نادي الكتاب/فيرونيكا بلايث/ صاحبة الشعر الفضي: 14
- أرشيبالد بنش: 10

- سينثيا: 9
- دوجلاس بارسونز: 8
- إريكا ماثيسون: 4
- جولييت: مستثناة.

قد يبدو هذا صريحًا بشكل غير معتاد لرواة القصص في روايات الغموض. ربما. أقول كل هذا لأن- صدق أو لا تصدق- روايات الغموض هي رياضة جماعية. بعض المؤلفين، السيئين منهم، يعملون ضد القارئ. لكننا فريق واحد، ولكي تكون اللعبة عادلة، عليك أن ترى ما أراه. أريدك أن تنجح في حل اللغز، تمامًا كما فعلت أنا.

بالطبع، ما زلت لا تثق بي. لا تستطيع أن تمنع نفسك من التفكير بأنني أقدم لك سلسلة من الأدلة المزيفة لصرف انتباهك عن الحقيقة. عندما أخبرك أن شخصًا ما هو المشتبه فيه الأكثر احتمالًا، فإنك تفكر أنه الأقل احتمالًا، والعكس صحيح. وبالطبع، إذا كنت تفكر بذلك، فأنت أيضًا تفكر أنني ربما أريدك أن تفكر بهذا الشكل، لذا أقول لك من هو المشتبه فيه الأكثر احتمالًا لكي أوقعك في الفخ، حيث تعتقد أنك تتفوق عليَّ من خلال اعتبارهم الأقل احتمالًا، بينما هم في الحقيقة الأكثر احتمالًا. وهكذا إلى الأبد. جزء أساسي من الغموض هو العمل ليس فقط مع معتقدات القارئ، ولكن مع شكوكه أيضًا. لذا، ربما تفكر أن القائمة التي قدمتها لك هي الدليل المزيف بعينه.

كل ما يمكنني إخبارك به هو أن ما أخبرتك حتى الآن، هو الحقيقة. وفي النهاية، لقد أخبرتك أن ماكتافش سيُسمم، أليس كذلك؟

حسنًا، لم أستخدم تلك الكلمات بالضبط، على ما أظن. لكنني قلت إن الإلهام لكتابة هذا الكتاب سيأتي من تناول مشروب معه.

جنائي

الفصل الثاني عشر

أخلي المكان بسرعة وطُردنا إلى مقصوراتنا بينما يهتم الموظفين بعملية التنظيف. قد يبدو الأمر قاسيًا أن يقال هكذا، ولكن بغض النظر عن مدى إثارة وجود جثة، فهناك دائمًا لحظة يتغير فيها الحال إلى شخص يُخرج دلوًا وممسحة.

إلى جانب ذلك، كان قطار الغان مزدحمًا بالسياح ممن بلغوا من العمر أرذله، ليست تلك أول جثة يواجهها الطاقم بلا شك. ورجل مُشعر يعاقب أعضاءه برشفات من قارورة فضية لم يكن مرشحًا مستبعدًا لنهاية مبكرة. وهكذا، بينما تقلَّب الضيوف بين ارتجاف تحت وطأة الصدمة ودموع من الذعر (الأول كانت ماجورز والأخير بروك)، حافظ الطاقم على هدوئهم بشكل لافت. لم يذكر أحد إيقاف القطار ولو على سبيل فكرة عابرة حتى. بالطبع، كنا في وسط اللامكان، ولا مكان للتوقف. تلك هي القطارات: تهتز وتمضي في طريقها.

رحت أذرع مقصورتنا الضيقة، والتي لم تكن، لسوء الحظ، بحجم مناسب للتفكير العميق والتحليلات الكبرى. بينما جلست جولييت تحدق من النافذة. كنا قد رتبنا غرفتنا إلى وضعية الجلوس المريحة مجددًا،

بعدما طُويت الأسرَّة إلى الجدار بعناية بواسطة الفريق الخفي من طاقم خدمة الغرف في أثناء تناولنا طعام الفطور.

في الخارج، لاح دخان في الأفق. أخذت جوليبت تدير ركبتيها نحو الجدار في كل مرة أقترب منها. قالت لي بعد اللفة المئة، وهي تربت على المقعد بجوارها: «أعتقد أن عليك الجلوس، سوف تحدث ثقبًا في الأرضية من كثرة المشي».

استدرت لبدء جولة أخرى من خمس خطوات، وقلت: «هذا ليس منطقيًّا».

قالت: «الأمر منطقي جدًّا. رجل مدمن على الكحول وزائد الوزن أصيب بنوبة قلبية». مثلت أنها تنفض يديها. «انتهت القضية أيها المحقق».

- مدمن كحول وزائد الوزن، يكرهه كل من في هذا القطار.

قالت جوليبت محذرة: «فقط لأنك تكرهه لا يعني أن الجميع يكرهونه».

قلت، بينما أعدهم على أصابعي واحدًا تلو الآخر: «كل واحد منهم لديه دافع لكرهه. شعر رويس بالخيانة لأنه لم يحصل على توصيته. أراده وايت أن يستمر في كتابة كتب موربند، سمعتهما يتجادلان. ترغب سيمون في إمضاء عقد معه».

«استمع إلى نفسك! لا شيء مما قلته يستحق القتل من أجله. بعض الغيرة والخلافات العادية». راحت جوليبت تقلد طريقة عدي وتبالغ في نقر أصابعها: «حصلت ليزا على التوصية. وأراهن على أن سيمون تريده على قيد الحياة لتوقع معه العقد، مثلما يريده وايت حيًّا ليكتب المزيد من الكتب».

- ربما يستنكرون شعور الرفض لو أنه قال لا.

- أنا لست خبيرة، ولكن قتل البقرة التي تدر لك المال يبدو أسلوبًا سيئًا للتفاوض. وبقية الناس من معجبيه بطبيعة الحال.

- بالضبط.

ألصقت ساقيها بالحائط، وقالت: «بالضبط؟».

درت بسرعة، وقلت: «ربما تكون بروك مهووسة به».

لوت جولييت أصابعها نحوي وكأنها تخيفني: «أوووه. يا له من دافع».

- أنت لم تحضري الندوة بالأمس. كانت مشحونة جدًّا. تحمل ماجورز ضغينة تجاهه أيضًا. كان حديثهما ملتهبًا. وأيضًا.. (شعرت بالحماس وأنا أتذكر) كانت هناك امرأة في غرفته الليلة الماضية.

طوت جولييت ذراعيها، لكنني لمحت شرارة من الفضول في عينيها، قالت: «الليلة الماضية؟».

- سمعت...

- كنت تتنصت حتى قبل مقتله؟

- لا، ذهبت لأواجهه بشأن التوصية.

قالت وركبتاها إلى الحائط: «حقًّا؟ إرنست...».

- لقد تراجعت. عندما وصلت إلى مقصورته، وجدت رويس هناك بالفعل، طفق يطرق الباب بعنف. لكن ماكتافش لم يخرج. قال روي إنه سمع امرأة معه في الداخل.

بدت جولييت غير مقتنعة، لكنها اعتدلت في جلستها قليلًا، وقالت: «وهل هذه هي اللحظة التي سمعت فيها وايت وهو يقول إنه يريد الاستمرار في سلسلة موربند؟».

قلت بخجل: «كان ذلك لاحقًا، في الممر».

- وأنت لم تكن تتجسس.

- كنت... متوعكًا. لقد أفرطت في الشرب.

- كنت ثملًا إذن.

تعثرت بركبتيها، إذ لم تُدِرهما هذه المرة. أجبتها بحزم: «أنا أعرف ما سمعته».

- كل ما أقوله هو لو أنك تقرأ ذلك في رواية غموض، لما وثقت في شاهد مخمور.

- لم أكن ثملًا.

- أنا لا أحاول أن أجادلك يا إرن. أحاول مساعدتك. هذا كله، ببساطة، مجرد تأكيد متحيز. أنت تريد ألا يُحل الموضوع.

- لماذا قد أرغب في ذلك؟

- لأنك تعتقد أن هناك كتابًا من وراء القصة.

- أعتقد أن هناك جريمة.

- وهل يوجد فرق بالنسبة إليك؟

توقفت عن ذرع الغرفة وجلست على المقعد بجانبها، وضعت يدي على ركبتها وراقبت الصحراء التي تمر بسرعة للحظة. قلت أخيرًا: «حسنًا. إن فضولي أناني بعض الشيء. لكن فكري في كيفية تطور مثل هذه الأمور». فكرت في قائمتي، مخططي لكيفية سير لغز الجريمة: 60,000 كلمة: جريمة ثانية. أضفت: «هذه الأمور لا تكتفي بجريمة واحدة فقط أبدًا. دائمًا ما تكون هناك جريمتان على الأقل».

وضعت جولييت يدها فوق يدي، وقالت: «هذه الحياة الواقعية، وليست كتابًا. ليس ضروريًّا أن تتبع أيًّا من قواعدك. والأهم من ذلك، ليس ضروريًّا أن تكون عادلة».

قلت متوسلًا: «لكن ماذا لو كنت محقًّا؟ ماذا لو أن هذا الشخص قد بدأ للتو؟ ماذا لو... لو تمكنت من إيقافه هذه المرة؟».

كانت تلك الكلمات المفتاح لكل شيء: هذه المرة. مات الكثيرون على الجبل. لو كنت أكثر ذكاء، لو تصرفت أسرع، لربما اختلف الأمر. كان هناك الكثير من الروابط والأسرار التي تفور تحت مجموعتنا الصغيرة لتُظهر وفاة ماكتافش على أنها صدفة. ألا يتحتم عليَّ محاولة اكتشاف ما يمكنني معرفته على الأقل؟

وربما، مع أنني لا أؤمن بهذا النوع من الأمور، ولكن ربما، حتى لو لم أستحق أن أكون هنا، ربما كان مقدرًا لي أن أكون هنا.

قلت: «لو أنني لم أفعل شيئًا، فكل ما يحدث من بعد ذلك سيكون خطئي».

قالت جولييت بهدوء: «هذا ليس واجبك، وليس خطأك، لا الآن ولا في الماضي».

قلت، بطريقة توحي بأنني لا أعرف: «أعرف ذلك».

عضت جولييت شفتها، مدركة أنني كنت أنتظر إذنها، حتى لو لم أطلبه حقًّا، قالت: «إذا كنت بحاجة لذلك، لأجلك فقط، وليس لأي سبب آخر، إذن اسأل بعض الأسئلة فقط. لا بأس، ولكن فقط بالقدر الذي يشعرك بالراحة أن الأمور هي كما تبدو تمامًا. لا تحاول أن تثبت أن ماكتافش قد قُتل. حاول أن تثبت لنفسك أنه لم يُقتل».

بعد النظر إلى الوراء، يشعرني كتابة ذلك الآن بنوع من الغرور، لأنني، حسنًا... لدي القدرة على رؤية الماضي، وطعنة الخنجر التي تؤكد لك كم هي مخطئة. ولكن نصيحة جولييت كانت حقًّا جيدة في ذلك الوقت. شعرت قلقي يتبدد.

قلت: «حسنًا، سيتوقف الأمر على كيفية موته. إذا كانت جريمة قتل..». نظرت إلى عينيها. «ولست أقول إنه كذلك! لكنني بحاجة إلى اكتشاف الطريقة أو استبعادها».

- يبدو ذلك كنقطة انطلاق.

- لا بد أنه السم. في قارورته؟

قالت جولييت وهي تهز كتفيها في لا مبالاة: «هكذا كنت سأفعلها».

انبعث صوت آرون متقطعًا من جهاز الاتصال الداخلي ليخبرنا أننا سنصل إلى أليس سبرينجز خلال ساعتين، وأن الطاقم سيقدر كثيرًا لو لزمنا غرفنا حتى ذلك الحين.

أليس سبرينجز مجتمع ريفي يضم قرابة ثلاثين ألف نسمة. ما يكفي لوجود مركز شرطة ومشرحة. كانوا سيأخذون جثة ماكتافش من القطار هناك. كان الوقت يداهمني.

وقفت، وقلت: «أحتاج إلى أن أرى الجثة».

- ماذا؟ لماذا؟

- لأرى ما إذا كان قد تسمم.

- وكيف ستعرف؟ لست طبيبًا، ولا حتى محققًا.

- في المرة الماضية...

- كان هناك طبيب حقيقي معنا. هذا ليس الشيء نفسه. في البداية يلزم تشريح الجثة، وفحوصات سميَّة. انتظر حتى نصل إلى أليس سبرينجز، ستحتاج إلى عون الخبراء.

قفز في عقلي شيء قاله ماكتافش من قبل: «لو مات أحدنا نحن الستة الآن، فسيكون لديك خمسة مشتبه فيهم ممن يعرفون كيف يفلتون من جريمة قتل».

ربما بالفعل كان لدينا خبراء على متن القطار. خمسة كتَّاب جريمة، كل واحد منهم متخصص في مجال مختلف. خمسة أشخاص قضوا عقودًا في دراسة كل الطرق لحل جريمة... أو ارتكابها.

لم أنبس ببنت شفة، لكن جولييت راحت تهز رأسها بشدة، وقالت: «لا يا إرن. هذا لا يُحتسب».

- اسمعيني.

- أنت بحاجة إلى تشريح، وإلى شخص يعرف القانون فعليًّا. وإلا فإنك تخاطر بإفساد الأدلة.

- لدينا كلاهما.

- كلا، ليس لديك. هؤلاء الناس مجرد كُتَّاب.

- عمل رويس طبيبًا شرعيًّا. درست ليزا القانون. إنهما خبيران.

كنت أتحدث إلى نفسي تقريبًا، أعد مؤهلات كل شخص بهمسات سريعة: «روايات التشويق الجنائية. والروايات البوليسية. لدى ماجورز معرفة بعلم النفس الجنائي- التحقيقات والتحليلات وأشياء من هذا القبيل. هذا سيفيد. وفولفجانج، حسنًا، أعتقد أن الأدب الروائي لن يفيد كثيرًا».

هذا صحيح في معظمه. فمساهمات فولفجانج، باستثناء لمحة مذهلة من التحليل الأدبي التي تتضمن فاصلة في وقت متأخر من القصة، كانت باهتة.

- وماذا تعتبر نفسك ضمن هذا الفريق الخارق لمكافحة الجرائم؟

قلت بفخر بسيط: «حسنًا، أنا أعرف القواعد».

هنا رفعت جولييت يديها، وقالت: «لو أن هذه الأحداث تحولت إلى كتاب، فأنا أرفض أن أكون الحبيبة المزعجة. لذلك يبدو بلا جدوى أن

أذكرك مرة أخرى بأن هذه هي الحياة الواقعية ولا أحد مضطر لاتباع قواعد ألغاز الجرائم. لكن إذا كنت تصر على جعلي شخصية جانبية، فلن أكون جزءًا من هذه المسرحية التحذيرية بعد الآن». ثم أدارت وجهها بعيدًا عني ونظرت عبر النافذة.

الصمت مثل صنبور تُرك مفتوحًا: يملأ ويملأ حتى يفيض ويصبح عقبة لا تُذلَّل.

بصراحة، لم نكن قد تخاصمنا من قبل. الملابس الملقاة على الأرض ومن يأخذ القمامة خارجًا تبدو أمورًا بسيطة مقارنة بالقاتل المتسلسل الذي واجهناه، لذا لم يخطر ببالنا قط أن هناك أي دراما منزلية تستحق رفع الأصوات. لكن المقصورة غُمرت، والصندوق المصنوع من اللباد في جيبي بدا أثقل من أي وقت مضى. لم يكن هذا في خطتي.

إذا كان من مميزات كتابة هذا مرة أخرى هو التفاخر عندما أكون على حق، فإن العيب هو أن أعيش أخطائي مرة أخرى. كان يجب أن أقول الكثير في تلك اللحظة. كان يجب أن أدرك أن جولييت لم تكن تطلب مني ألا أهتم بموت ماكتافش، بل كانت تطلب مني أن أهتم بها. لم تكن تطلب مني ألا أذهب، بل كانت تطلب مني أن أبقى. قد تبدو تلك الكلمات نفسها على الورق، لكنها تحمل معاني مختلفة تمامًا.

من يأمل منكم أنني قلت الشيء الصحيح بعد ذلك فهو ليس منتبهًا كفاية، إن أخطائي كثيرة وسريعة. إنني من النوع الذي يضاعف المشكلة. لذلك وقفت، وكان ذلك بداية سيئة، لأن لا أحد يحب الجدال من ارتفاع مختلف، ثم قلت أسوأ مجموعة ممكنة من الكلمات (أجرؤ على القول إن ذلك ليس فقط في هذه المحادثة، بل في التعاملات الاجتماعية عمومًا) قلت: «أحتاج إلى أن أتحدث إلى آلان رويس».

الفصل الثالث عشر

كان رويس في الممر رافعًا قبضته عندما فتحت بابي، يكتسي وجهه بنظرة دهشة جعلته أشبه بضفدع. استغرقني الأمر ثانية لأدرك أن كلماتي لم تستحضره بطريقة سحرية ما، بل كان على وشك أن يطرق بابي. دفعته خارجًا إلى الممر قبل أن تتمكن جولييت من رؤيته.

قلت وأنا أقوده من دون استئذان: «توقيت جيد. هل نتحدث في مقصورتك؟» كنت أعلم أين غرفته بعد أن أوصلته إلى الفراش الليلة الماضية.

توقف رويس للحظة، إذ بدا غير معتاد على أن يستقبله أحدهم بهذا الحماس، قبل أن يتبعني بخطوات مترددة. كان قد استغل فترة الحجر الصحي الإجباري في الاستحمام، لكن آثار السُّكر ما زالت كالمعطف الملقى على كتفيه، ورأسه منحنٍ كما لو كان دمية خشبية تحركها خيوط أبخرة إفراطه في الشرب وتجره معها.

لم أختر مقصورة رويس لمجرد إبعاده عن جولييت، بل أردت أيضًا أن أتجسس. لم أتوقع أن أجد قوارير سم مفتوحة على حافة النافذة

(ويُفضل أن تحمل علامة الجمجمة والعظام المتقاطعة)، لكن الأمر استحق المحاولة.

منحته الفضل في أن يفتح بابه بنفسه، هذا هو وهم الدعوة. لم أر الغرفة جيدًا في الظلام، لكنني صدمت بحالتها الآن. بدا كأنه قد أمضى شهرًا هناك، وليس مجرد أربع وعشرين ساعة: الملابس متناثرة على السجادة، وأغلفة الوجبات السريعة، وأوراق عشوائية مبعثرة، وزجاجات فارغة تتراوح بين الماء والبيرة تملأ الفراغات. استحقت سجادة الغرفة أن تكون على جانب علبة حليب: إلى هذا الحد كانت مختفية. دخلت الغرفة بحذر، كما لو كنت أتجنب مصائد الفئران. شعرت بشيء رطب يلامس كاحلي، فارتعدت وأنا أركل منشفة مُكومة جانبًا.

ربما لأنه كان نائمًا، لم تُطوَ الأسرة بعد، لذا كشرت أنا ورويس وتذمرنا بينما نحاول اكتشاف طريقة طي السرير العلوي إلى الحائط حتى نتمكن من الجلوس على السرير السفلي على الأقل. جلس رويس بجانب الطاولة الصغيرة إلى جوار النافذة، وأخرج دفتره وأخذ يطرق بالقلم المغلق على الصفحة، التي امتلأت الفعل بخربشات بالحبر الأزرق، وقد رأيت اسمي مكتوبًا في منتصفها وأسفله خط.

قال: «حصلت على جريمتك إذن».

لم أذكر أن رويس هو من تمنى حدوث جريمة قتل، وليس أنا. قلت بدلًا من ذلك: «هل تعتقد أنها جريمة قتل؟».

قال وهو يفتح غطاء القلم: «لماذا نحن هنا إذن؟» كان القلم أنيقًا، بسمك إبهام، مزخرفًا بتفاصيل فضية على جسمه وغطائه. صمم رأسه ليبدو كقلم حبر قديم، على الرغم من أنه لا حاجة لزجاجة حبر في ظل النظام الحديث لأنبوبة الحبر الداخلية، وحادًّا لدرجة أنه لا بد أنه شعر بالعذاب وهو يخط كلمات رويس التافهة.

- هل نبدأ بليلة البارحة؟

- نعم من فضلك. ماذا تتذكر؟

بدا منفتحًا على نحو مفاجئ على الاستجواب. فمنحت نفسي مجاملة ذهنية لصقل مهاراتي في التحقيق.

أشار بالقلم نحوي، وقال: «أتذكرك أنت. كنت في أوج انفعالك، وتريد التحدث إلى هنري. في رأيي، كنت عدوانيًّا إلى حد ما».

- أعتقد أنك خلطت بيننا. أنت من كان يطرق بابه بعنف.

- إذن ألم تُرد التحدث إلى هنري؟

- بالطبع أردت. ليس ذلك مقصدي. لقد قلت البارحة إنك سمعت أصواتًا. عبر الباب؟

أومأ رويس، وقال: «لقد صمتت عندما بدأت في الطرق، لكن هنري كان يتحدث إلى شخص ما. إلى امرأة. ليزا فولتون».

- هل أنت واثق من أنها كانت ليزا؟

هز كتفيه لا مباليًا، وقال: «بدا كأنها هي».

- بدا كأنها هي، أم كانت هي؟

رفع رويس حاجبًا، وقال: «لا أنفك أنسى أنك جديد في هذا الأمر، ولكن يوجد طرق عديدة للحصول على توصية، فهمت الآن؟».

ماذا قال رويس على الفطور بالأمس؟ «*إلا إذا أسديت له معروفًا*» فهمت التلميح، كان يقصد ليزا وهنري.

دائمًا ما يكون الجنس دافعًا جيدًا في هذه الكتب، بالطبع، لكنه هنا بدا دافعًا سهلًا بعض الشيء. بالتأكيد قد تشكل علاقة بين ليزا وماكتافش قضية ضد غيرة رويس. لكن لو كان هذا صحيحًا، فإن الضحية هي الضحية الخطأ. الاحتمال الأكبر بالنسبة إلى رويس هو أن

ينفجر في وجه ليزا لا هنري. استطعت رؤية حنقه في الطريقة التي التوت بها شفته وهو ينطق الكلمات: «أكثر من طريقة». لا شيء يضاهي أسلوب التحيز الجنسي العريق. وكان هذا الأسلوب يناسب رويس كما لو أنه فُصِّل على مقاسه.

بالطبع كان رويس ثملًا ولديه سبب ليكره ليزا. إلى أي مدى كنت واثقًا من أنه سمع بشكل صحيح؟ العديد من النساء كُنَّ في المهرجان: سينثيا وهارييت وماجورز وسيمون وبروك وجوليت وسيدات نادي كتاب فيرونيكا بلايث، على سبيل المثال لا الحصر.

وبالنظر إلى درجة ثمالته، ربما لم يكن الشخص الذي مع ماكتافش امرأة أصلًا. هل يمكن تمييز الجنس من همسة؟ يصعب التعرف على صوت منبعث من خلف الباب. من ناحية أخرى، في حين أنه يلزم شخصان لرقصة التانجو وواحد فقط بقي على قيد الحياة، فقد بدا أن ليزا قد نالت مرادها من وراء منفعتهما المتبادلة المحتملة. فقد أعلن عن الغلاف، وحظى الكتاب بالتوصية، وهرعت من الجلسة ودموع الامتنان تملأ عينيها. ربما كان اللقاء الليلي، حسنًا، مجرد مكافأة. فضيحة؟ أجل. لكن دافع؟ كلا.

مع ذلك فقد كان لقاء ليزا وماكتافش السري في الليلة التي سبقت مقتله نقطة انطلاق جيدة للغاية.

قطع رويس أفكاري قائلًا: «قلت إنك أردت التحدث إلى هنري، ثم غيرت رأيك، لماذا؟».

قلت بصراحة: «رأيتك هناك، وأدركت أنني أتصرف باندفاع، وفكرت في الأمر مليًّا». توقفت قبل أن أشرح كم أن رؤية وضعه البائس قد رد إليَّ عقلي.

- كنت غاضبًا.

- بالطبع كنت غاضبًا، بسبب تلك المراجعة اللعينة.

دوَّن ذلك في دفتره.

استغللت لحظة الصمت لأسأل السؤال التالي: «هذا الصباح، رأيت ما حدث كله. هل تظن أنه سم؟».

- هل كان سمًّا؟

- أنت الطبيب الشرعي.

قال: «أين... تضعه؟» همس بهذه الجملة بحيث ألتقط نصفها فقط وأعيد تكوينها باستخدام ما سمعته أذني. *أين قد تضعه؟*

قلت: «في قارورة خمره، صحيح؟».

كتب رويس ما قاله: «أفترض ذلك».

- تفترض؟

- لو أن هذا ما تقوله.

لو جاز لي القول: أنت محظوظ لأن من يكتب هذا الكتاب ليس رويس لأنني أعتقد أنه ليس من النوع الموثوق به.

قلت: «لست أخبرك أي شيء. أنا أطلب..». اضطررت إلى اقتلاع الكلمة من بين أسناني. «مشورتك».

أمسك رويس بدفتره وقلب صفحة إلى الخلف كما يفعل شرطي مرور يحرر مخالفة. نفخ خديه مفكرًا، وظننت أنني لو أشعلت عود ثقاب لانفجرت المقصورة بفضل البنزين الخالص الذي نفثه في الهواء. استرقت النظر إلى صفحة خربشاته، ورأيت من بين الملاحظات الأخرى أنه كتب جميع مراجعات جودريدز، بالترتيب التنازلي في كل سطر، بدءًا بمراجعتي ذات النجمة الواحدة، ثم تلتها المراجعات الأخرى:

فولفجانج: ★ ★ لامع.

إس إف ماجورز: ★ ★ ★ شنيع.

أنا: ★★★★ بديع.

بدلًا من كتابة اسم ليزا، كتب رويس بعنف: المومس. ثم بيدين مرتعشتين بوضوح، دوَّن تقييمها بخمس نجوم ومراجعتها التي نصت على: «حصيف». لاحظت في لمحتي السريعة التناقض الغريب بين مراجعة إس إف ماجورز القاسية نسبيًّا مع تقييمها المعتدل، والعكس بالنسبة إلى فولفجانج. الأمر وكأن التقييمات وضعت عمدًا بطريقة معكوسة.

رآني رويس وأنا أتلصص على ملاحظاته، فأدار الدفتر بعيدًا، ثم تنحنح وألقى نظرة على الباب، وقال بشيء من التردد والتوتر: «ربما علينا التحدث في البار؟».

- أنا مرتاح هنا، هل هناك مشكلة؟

- لماذا أنا؟

- لأن... هل أنت جاد؟ كم مرة عليَّ أن أخبرك؟ أريد مساعدتك. كنت تعمل في الطب الشرعي. أنت الطبيب الوحيد الذي أجده أمامي.

انتفخ صدر رويس لدى سماعه ذلك، وقال: «هل تريدني أن أحل القضية؟».

هززت كتفي، وهذا أقصى ما استطعت فعله.

تنحنح رويس، وقال: «حسنًا، أعتقد أنني جمعت كل الخيوط. لكن ثمة شيئًا واحدًا لا أفهمه».

لأصدقك القول، شعرت بشيء من الإهانة لأنه قد حل الجريمة، ليس فقط في وقت مبكر جدًّا، بل وتقدم عليَّ بمراحل. أعلم أن هذا قد يبدو قاسيًا. إذ يفترض بحل الجريمة أن يدور حول تطبيق العدالة على

القاتل، ليس حول من يصل إلى الحل أولًا، ولكن... من بين الجميع، هل كان يجب أن يكون رويس؟

بالطبع، هناك الكثير من الكتاب لم ينتهِ بعد، وبذلك تعرف أن رويس إما مخطئ وإما سيُقتل قبل أن يتمكن من إخباري. سأمتنع عن إبداء تفضيلي في هذه المسألة تحديدًا. سأخبرك فقط أنني لن أكتشف كل شيء بنفسي حتى الفصل الحادي والثلاثين عندما، يؤسفني القول، يقدم آندي المساعدة.

نهضت واقفًا، وقلت: «هل حللتها؟».

دار رأس رويس ناظرًا خلفي نحو الباب، قال مترددًا: «تقريبًا».

تقدمت نحوه بخطوة متحمسة، وقلت: «أخبرني إذن، ماذا ينقصنا؟».

ابتعد رويس عني ملصقًا نفسه بالنافذة أكثر، ثم قال: «من أين حصلت على الهيروين؟».

- هروين؟

- أعني، يمكننا أن نسميه سمًّا إذا أردت. من الناحية الفنية، فالهيروين سم، حتى لو لم يكن شائعًا مثل السيانيد أو الزرنيخ أو أي سم آخر مشهور في الروايات هذه الأيام. لكنه فعال بالقدر نفسه، ما رأيناه كان جرعة زائدة. الهيروين مثبط للجهاز العصبي، لذا فهو يبطئ أشياء مثل الدورة الدموية والتنفس. لقد بحثت في هذا الموضوع من أجل كتاب *الدكتورة جين بلاك، الجزء التاسع*. السبب في الوفاة، كما أقول، كان إصابة بسبب نقص الأكسجين في الدماغ. يعني أن الأكسجين لم يصل إلى الدماغ. تموت الخلايا، ويغلق الدماغ.

تذكرت وجه ماكتافش الذي استحال أزرق. أنفاسه السريعة. عيناه وهما تفقدان الاتصال عن عقله، وكأن ثمة مفتاحًا قد أُغلق. تشغيل. إيقاف. موت. بدا منطقيًّا. تمتمت لنفسي، ثم أدركت: «هروين. انتظر، لقد قلت للتو من أين حصلتُ..».

توقفت، واستوعبت المشهد. كنت واقفًا، بينما التصق رويس بالحائط وعيناه على الباب. اسمي مكتوب في دفتر ملاحظاته، وأسفله خط. قلت: «لحظة، ما الذي تظن أنه يحدث هنا؟».

قال رويس: «لقد اعترفت للتو».

- اعترفت؟

- حسنًا، أنا أستجوبك.

قلت بغضب: «أنا من يستجوبك!».

- لأنني الراوي.

- ليس في كتابي.

عندما أعدت التفكير في حديثنا، أدركت أن رويس كان بالفعل من يطرح معظم الأسئلة. رحت أتبع قواعد روايات الغموض، مثل استبعاد جولييت بناء على كوني المحقق. أما في كتاب رويس، وفي رأسه، فهو المحقق وأنا المشتبه فيه. والأسوأ من ذلك، يبدو أنني كنت القاتل.

قلت: «من غير الممكن أنك تعتقد حقًّا أنني..». لم أستطع إكمال الجملة.

قلَّب رويس صفحات دفتره، وراح يقرأ ملاحظاته عاليًا: «ذهبتَ إلى مقصورة هنري الليلة الماضية في مزاج... متهور». مرر إصبعه

عبر الصفحة حتى وجد ما يبحث عنه. «كنت غاضبًا منه بسبب تلك المراجعة. نجمة واحدة، أرعن..».

- أعرف المراجعة يا صديقي.

تحرك إصبع رويس عبر الصفحة. كان صوته أشبه بصوت طفل يقرأ أمام الفصل: «تراجعت عن مواجهته لأن هناك شاهدًا. ذلك الشاهد هو أنا. قررت استخدام السم، ووضعته في قارورة جيبه».

قلت: «ظننتك تسأل أين يمكن أن يضع القاتل السم. أردت أن أستفسر منك إن كنت تظنه سمًّا. ولم أخبرك أنه كذلك فعلًا». رفعت يدي في الهواء بعصبية. فجفل رويس.

- بغض النظر عن أن نظريتك مليئة بالثغرات، فإنني لا أسير بالهيروين في جيبي، وحتى لو كنت أفعل، لن أعترف بهذه السهولة لأول شخص يطرح عليَّ أي أسئلة... ليس لدي دافع. مراجعة سيئة ليست دافعًا. مهما غضبت منها، هذا ليس سببًا للقتل.

قال رويس وهو يقلب صفحتين إلى الخلف. لم أستطع رؤية ما كتبه، لكن من الواضح أنها ملاحظة قد دونها قبل حديثنا: «بالفعل. لكن مئة ألف دولار قد تكون دافعًا».

- ماذا؟

تابع رويس: «أنت ملزم بتسليم كتاب لم تكتبه بعد. إذا لم تسلمه، ستضطر لإعادة المال، وأنت تعاني نقص الإلهام لأن أحدًا لم يلق حتفه حولك منذ فترة».

ترددت. أزعجني كثيرًا أن مئة ألف دولار كان الرقم الصحيح. قلت: «مَن أخبرك؟».

قاطعني: «لقد أخبرت وكيلك الأدبي..». راح يقلب صفحات أكثر إلى الخلف، حتى وصل إلى الغلاف الداخلي. «أنه يجب أن يموت الناس بطريقة ما لكي تتمكن من كتابة كتاب. لقد وقفت خلفك مباشرة في طابور الصعود إلى متن القطار. لطالما شعرت أن ثمة شيئًا مريبًا في كتابك الأول، شيئًا يعوزه المنطق بالكليَّة. لذا كنت أعرف أنك تخطط لشيء ما، ظللت أراقبك طوال هذا الوقت، أدون الملاحظات، وأتأكد من أنني سأكشف ما تعزم عليه قبل أن تفعله».

فتحت فمي وأغلقته مثل سمكة. لم يدون رويس ملاحظات عامة، بل كان يتتبعني. أسوأ محقق هاو في العالم اخترع جريمة قتل كاملة بناء على جملة سمعها بالصدفة وأنا أركب القطار.

لكن رويس لم ينته بعد. قال: «وها أنت هنا الآن، تخبرني بما فعلته بالضبط. لأنك تخطط لقتلي وإلصاق التهمة بي وكأنني أنا الشرير، ثم تكتب كتابًا آخر». وقف وفتح غطاء القلم، وأمسكه وكأنه سيف: «ليس اليوم! ليس مع هذا الكاتب».

تقدمت نحوه بخطوة ظننت أنها ستهدئه، لكنه لوَّح بالقلم في الهواء أمامي. وقال: «ابتعد عني، لقد أخذت درسًا في الدفاع عن النفس في أثناء بحثي لكتاب الدكتورة جين بلاك، الجزء السادس».

قلت: «هذا أغرب شيء سمعته في حياتي».

- لقد علمني بعض الأساليب المفيدة.

- لا أقصد درس الدفاع عن النفس، بل اعتقادك أنني قاتل.

مددت يدي وسحبت القلم من قبضته بسهولة شديدة.

لا أتمتع بسرعة ردود الفعل، لكن رد فعل رويس تطلب عالم آثار ليكتشفه. تشبث بالهواء حيث كان القلم، ثم أطلق صيحة صغيرة وهوى على السرير، رافعًا ذراعيه أمام رأسه متقاطعتين.

قلت: «أنا لم أقتل أي أحد. ولا أنوي البدء بك».

أنزل رويس يديه قليلًا ونظر إلي من فوق ساعديه. قال: «كنت تريد رأيي فقط...؟» رويس، الذي يتطوع لتقديم آرائه بمنتهى الأريحية عندما لا يسأله عنها أحد، بدا في حيرة من أمره الآن لأن أحدًا طلبها منه حقًّا.

- كنت أشك في أن هناك شيئًا في القارورة. وأنت الوحيد هنا الذي لديه خبرة في الطب الشرعي. لذا فكرت أننا إذا تعاونا، قد نكتشف الأمر. وهاك: الهيروين. لم تسر المحادثة بالشكل الذي توقعته، ولكننا وصلنا إلى شيء ما.

استعاد رويس هدوءه بما يكفي ليعود إلى التذمر، قال: «هل يمكنني استعادة قلمي؟ إنه مميز».

رفعت القلم ولاحظت أنه يحمل شعار دار جيميناي للنشر. ناشر كل من ماكتافش ورويس، وشركة وايت لويد. قلت: «جميل». ضغطت بإبهامي على الطرف الحاد للقلم، ورأيت كيف يغوص في الجلد. «وحاد. هل كان هدية؟».

مد يده متوسلًا لكي يستعيده، وقال: «من أجل كتابي الأول. شيء مثل ترحيب لدخولي المجال».

فكرت أنه لا بأس، فالناشرون يحبون تقديم هدايا الترحيب. حصلت على كوب وزجاجة شمبانيا، وهو ما يعكس هوايات الكُتَّاب بشكل أكثر دقة من القلم.

قال رويس بنفس متقطع: «لا أستبعدك كمشتبه فيه، كما تعلم. أو... أو ربما يحاول أحدهم مساعدتك في الكتابة. يلهمك من بعيد».

كنت قد فتحت الباب بالفعل للمغادرة.

- إلى أين تذهب؟

قلت: «سأرى إن كانوا سيسمحون لي بإلقاء نظرة على الجثة». ألقيت القلم إليه: «هل ستأتي؟».

الفصل الرابع عشر

«مستحيل تمامًا» التفَّت ذراعا آرون بسرعة حول صدره كما لو كانتا فخَّ دبٍّ. قال: «لن أسمح لكما بالعبث بجثة».

وقف كحاجز في الممر بين البار والمطعم. وصل صوت سينثيا وهي تفرك البقعة التي تقيأ فيها ماكتافش ودلو الماء والصابون بجانبها بوضوح الآن عبر العربة الفارغة. أزيلت الجثة، ولم يبق سوى البقعة الرطبة كدليل على موت شخص هنا قبل ساعة. بفضل غياب ضجيج الضيوف، استطعت سماع رنين الكؤوس وهي تصطك ببعضها خلف البار مع اهتزاز القطار.

توسلت قائلًا: «يمكننا المساعدة، لدينا خبرة».

نظر إلينا آرون من أعلى إلى أسفل، كأنما يختارنا من أجل فريق كرة خماسي. قال: «لم يعد الرجل المسكين بحاجة للمساعدة. نحن على بعد ساعة من أليس. إذا أمكنني أن أطلب منكما لزوم غرفتيكما لفترة قصيرة أخرى، سنتمكن من الاعتناء بالأمر».

قال رويس: «نحن لا نقدم المساعدة لهنري، بل نريد أن نساعدكم».

قال آرون: «أقدر ذلك يا سيد رويس، لكننا نسيطر على الأمر على أكمل وجه. برغم أن الظروف مؤسفة للغاية، فإننا مدربون جيدًا على التعامل مع مثل هذه الحالات». مد آرون ذراعه خلفنا باتجاه مقصوراتنا، ومن خلفه لم تزل سينثيا تفرك الأرض، مرتدية قفازات صفراء حتى مرفقيها. اختنقت العربة برائحة المبيض. «والآن، أرجوكما أن تعودا إلى مقصورتيكما».

سألت: «هل تحدث جرائم قتل في هذا القطار كثيرًا؟».

- المعذرة؟

قلت بوجه عابس لاضطراري إشراك رويس في كلمة «نحن»، ولكن هذا اقتضت الضرورة: «نحن نعتقد أن هنري ماكتافش قد قُتل. وفي حين أنك ربما تكون معتادًا على موت بعض المسنين في أثناء نومهم، عندما يتعلق الأمر بجريمة قتل، صدقني، ستحتاج إلى مساعدتنا».

تأفف آرون. استطعت أن أراه وهو يعيد مشهد موت ماكتافش في عقله. زفر من أنفه بينما يزن قراره. قال: «أقدر اهتمامكما، ولكن يبدو أن السيد ماكتافش عاش حياة مفرطة، وقد بلغت هذه الحياة نهايتها. هذا كل ما في الأمر».

قال رويس بغضب: «أنت مخطئ».

ظهر الغضب في عيني آرون، وقال: «لقد تساهلت معكما كثيرًا..».

أضفت بابتسامة أملت في أن تبدو سمحة أكثر منها منحرفة: «هو يقصد ماذا لو كنت مخطئًا؟ إذا كانت هناك جريمة قتل، فهذا يعني أن هناك قاتلًا في القطار. يمكنك إخلاء الجثة في أليس بالطبع، ولكنك عندما تدرك أننا كنا على حق، سنكون في منتصف الطريق إلى أديلايد، وستكون أنت وضيوفك كلهم محاصرين مع قاتل». أكدت على كلمة

«ضيوف». كانت كلمة السر هنا واضحة جدًّا، احتجت فقط إلى بعض التلميح: المسؤولية القانونية.

عبس آرون ونظر إلى ساعته. استطعت أن أرى أنه كان يحسب قيمة آرائنا مقابل الوقت الذي سيستغرقه للوصول إلى أليس سبرينجز، حيث ستكون الشرطة الحقيقية مستعدة لمساعدته على نحو أفضل، سواء كان هناك قاتل أم لا. لوَّح بإصبعه في الهواء بينما راح يتحدث بحذر، لا يزال غير متأكد، لكن الثغرة كانت موجودة: «بقولكما خبرة، أنتما لستما شرطيين».

قلت: «لدينا مهارات».

- أنتما كاتبان.

- كان رويس طبيبًا شرعيًّا.

لم ينبهر آرون، قال: «وماذا كنت أنت؟».

تجاهلت السخرية وحاولت مجددًا، بشيء من اليأس، بسطت ذراعيَّ، وقلت: «اسمع، أنا أفهم. ربما يبدو الأمر سخيفًا، ولكنني مررت بتجربة مماثلة من قبل. لقد نظرت في عيني قاتل متسلسل. رأيت أشخاصًا يموتون. أشخاصًا كان بإمكاني -توجب عليَّ- مساعدتهم. لذا عندما أقول لك إنني أعرف ما نحن بصدد مواجهته، فلست أتباهى، ولست أفعل ذلك من باب الاستمتاع». توقفت، ثم قررت أن أقول الحقيقة ببساطة: «بل أفعل ذلك لأنني خائف».

رمقني رويس بنظرة انتقادية تعني: جبان. سمعت سينثيا في الخلف تنزع قفازي التنظيف المبللين وتلقي بهما في الدلو.

أخفضت صوتي. كنت أعرف أنني أطبخ مشهدًا مسرحيًّا في هذه اللحظة، لكنني احتجت إلى المبالغة قدر الإمكان للتغلب على عدم

اهتمام آرون، قلت: «هذا القاتل لا يهجم في الليل أو في الخفاء. لقد فعل فعلته في وضح النهار، على مرأى جميع الركاب. في ظنك هل يتوقف هذا القاتل عند ضحية واحدة؟ هل تظنه يلتزم بجدول القطار؟ كلا. كان ماكتافش البداية فقط. وإذا تعتقد أن ساعة ليست مدة طويلة، وأن بإمكانك الانتظار، حسنًا، فإنني أتمنى أن نكون مخطئين من أجل خاطرك». أمسكت بكتف رويس، وقلت: «هيا يا آلان، سنعود إلى مقصوراتنا ونختبئ خلف أبوابنا. أنصحك يا آرون بأن تفعل الشيء نفسه. وإلا فإن بعض الأشخاص على هذا القطار سيصبحون في خبر كان. ولا أعني بذلك أنهم سيتقاعدون عن العمل».

بدا رويس، الذي لم يدرك خطتي، أشبه بصخرة صماء، لكنه في النهاية تذمر وتبعني، همس قائلًا: «إرنست، علينا أن نرى الجثة».

همست له بغضب أن يصمت. وواصلنا السير.

وضع آرون يده على كتفي في اللحظة المناسبة. قال: «خمس دقائق، حسنًا؟ فقط من أجل أن تخبرني لو كان أي من الضيوف في خطر. أحذرك من العبث معي. أقسم لك، هناك شرطيون في أليس يدينون لي بخدمة وسيوجعونك».

كانت وفاة هنري ماكتافش عنيفة، ولكن من دون دموية أو تشوهات، لذا فلم تكن هناك علامات بارزة على جسده. بدا جسده كما كان عليه في حياته إلى حد كبير، ربما أكثر شحوبًا بعض الشيء، وهناك أثر من القيء على ذقنه، لكن يمكن اعتباره مجرد لعاب سال في أثناء نومه. لكن في موته، افتقد جسده شيئًا يصعب تحديده، كأنك ترى شريطًا مطاطيًّا لا ينكمش، أو خسًّا لا يقرمش. نصًّا بلا روح. وضعت راحتي على فمي وحاولت كبح غثيان جاف. كانت تلك الجثة الثامنة التي لم يحالفني حظي وواجهتها في حياتي. لا أعرف الرقم السحري الذي تفقد عنده الإحساس

أمام مشهد الموت، لكنني أعلم أني لم أصل إلى هذه النقطة بعد. بينما أكتب هذا الآن، حمدًا للرب، بعد خروجي من المشفى وفي غرفة فندق، فقد وصل عدد الجثث إلى عشرة، وما زالت تشعرني بالغثيان.

كنا في المقصورة L1، في عربة الموظفين ما بين المطعم وعربة الرئيس. شرح لنا آرون أن جميع هذه المقصورات هي في الحقيقة مخصصة للموظفين، لكن المقصورة L1 كانت تستخدم كغرفة احتياطية في الحالات الطبية. أدركت ما بين السطور أن معظم الأشخاص الذين يموتون على متن القطار يوضعون في الفراش ببساطة حتى الوصول إلى المحطة التالية. وإذا كان لا بد من نقل الجثة لأن المتوفى، مثلًا، يشارك الغرفة مع شخص آخر، فتوضع في L1، ورغم وجود عربة خاصة لماكتافش، افترضت أنه نُقل إلى هنا لأن قطار الغان لا يريد أن تنتشر شائعات حول أن أفخم غرفة مسكونة بالأرواح. أخبرني آرون أنه في القطارات الممتلئة، والتي لم يكن هذا واحدًا منها، يجري أعضاء طاقم الموظفين قرعة لمعرفة من سينام في L1، لا تكفي الملاءات النظيفة لتنسيك ذكريات المرتبة.

أدرك رويس أننا في سباق مع الزمن للوصول إلى أليس سبرينجز، ومع ما تبقى من تسامح آرون المتهاوي أمام العقل، قد بدأ على الفور بالتفتيش حول الجثة وهو جاثٍ على ركبتيه. ألقيت نظرة من خلف رويس، بينما وقف آرون متوترًا عند الباب.

فتح رويس فم ماكتافش باستخدام منديل في غياب القفازات، وسحب لسانه وكأنه لعبة، ثم راح يفحص باطن خديه. ابتلع آرون ريقة بصوت مسموع.

حاولت إلهاءه بأن سألته: «أتحدث مثل هذه الأشياء كثيرًا في أثناء عملك؟».

قال: «أوه، أممم... أعني، تحدث أحيانًا..». تحركت عيناه نحو ماكتافش، ثم عادت إلي، نسي بقية جملته وقال ببساطة: «أسباب طبيعية».

لطالما وجدت هذه العبارة ساحرة. إن البشر، بطبيعتهم، تسيطر عليهم المشاعر بسهولة، تلك غريزتنا التي جُبلنا عليها. نشعر بأشياء معينة بحدة، الحب، بالطبع، ولكن الكراهية أيضًا، لدرجة أننا عمليًّا مهيؤون للتدمير الداخلي. يبدو لي أن القتل هو أكثر الأسباب الطبيعية على الإطلاق.

تابعت الضغط عليه: «لم تواجه مشكلات مع الضيوف من قبل؟ شجارات أو شيء من هذا القبيل؟».

قال: «نحن نقدم تجربة فاخرة، هذه ليست رحلة على متن قطار ركاب». نظر نحو رويس، الذي كان في تلك اللحظة يسحب الأكياس اللحمية تحت عيني ماكتافش ليفحص زواياها. «رغم أننا لم نستضف كُتَّابًا من قبل».

- لا بد أن لديكم خططًا للطوارئ؟ احتجاز مثلًا؟
- أعتقد أننا يمكن أن نحبس شخصًا في المجمد إذا اضطررنا، لكنني لم أفكر في الأمر كثيرًا. تأتي خدمة الأطباء الطائرين الملكية إذا كان هناك أمر يهدد الحياة، ولكن جزءًا كبيرًا من هذه الرحلة يكون في مناطق نائية، لذا نحن نعتمد على مبدأ التعامل مع الأمور بحسب ما تأتي. نحن مدربون على الاستجابة للأزمات الطبية وغيرها، في حال خرجت الأمور عن السيطرة، لكن هذا ليس جزءًا أساسيًّا من عملنا. نفعل أفضل ما نستطيع.
- وهل يُعد هذا خروجًا عن المألوف؟

هز آرون كتفيه، وقال: «رأيت ما هو أسوأ».

نظرت إليه بعينين متسعتين مما جعله يدرك أنني لا أحتاج إلى أن أطلب منه أن يشرح المزيد.

قال: «قبل قرابة ثلاثين عامًا، توقفت حافلة مدرسية على السكة. كان ذلك قبل أن نصبح فندقًا، عندما كان قطار شحن. كان ذلك جنونيًّا حقًّا». نفخ الهواء من بين أسنانه وهو يهز رأسه بينما يتذكر: «أربعة أطفال ومعلم لقوا حتفهم، وسائق الحافلة بالطبع أيضًا».

أعلم أنك لاحظت عبارة «قبل قرابة ثلاثين عامًا» لأن الماضي، في روايات الغموض، لا ينام أبدًا. دائمًا ما تصبح قضية ثانية مهمة لحل اللغز الأساسي، ولهذا، دعني أخبرك من الآن، هو الحال هنا. بالطبع هناك جداول زمنية وقضايا ثانية كثيرة للاختيار بينها.

فكرت في الحافلة المدرسية. غالبًا ما تكون هناك مدرسة واحدة لتغطية مناطق واسعة جدًّا في المناطق الريفية، ولم تكن الحافلة من الطراز التقليدي بالتأكيد، بل على الأرجح شاحنة صغيرة بيضاء تنقل الأطفال عبر الأراضي الزراعية. ربما استغرقت الرحلة بضع ساعات، مع عبور السكة الحديدية عدة مرات. قلت: «ألم يرها السائق على السكة؟».

- إن هذا الشيء يزن...

قال رويس وهو جاثٍ على الأرض، مؤكدًا على كونه عالم قطارات: «ألف وأربعمئة طن». خلع حاليًّا حذاء ماكتافش وجوربه الأيسر وانشغل باللعب في أصابعه. لم أكن واثقًا ما إن كنا قد انتقلنا من التشريح إلى الهوس، خاصة أن ماكتافش مات بسبب قارورة مسمومة وليس بمسمار صدئ.

قال آرون: «بالضبط». ثم التفت إلي مجددًا. «لا يمكننا التوقف فجأة هكذا، ليتك رأيت انعطافاتنا الثلاثية. كنت مهندسًا متدربًا وقتها. أول وظيفة لي، كنت في الثامنة عشرة، مستحيل أن أنسى. لم يكن خطأنا».

تخيلت فجأة كفوفًا صغيرة ملتصقة بالنوافذ، بينما يندفع ألف طن من الصلب نحوها. قلت: «كيف لم يرَ سائق الحافلة هذا القطار الضخم القادم نحوهم؟».

- كان من الصعب سؤال السائق، إذ كان مساويًا بالأرض. كما كان من الصعب التحقق من أشياء مثل المحرك أو ناقل الحركة إذ تناثر كل شيء إلى أشلاء. هل سيطول الأمر أكثر من ذلك؟

عدَّل رويس ماكتافش في وضعية الجلوس، وهمس: «امسك هذا». كما لو كان ميكانيكي يحمل مفكًّا بين أسنانه، ثم دفع ماكتافش باتجاهي. ترددت للحظة قبل أن أضيف بصماتي إلى مسرح جريمة، ولكن الجثة قد مالت نحوي، وفكرت أنه بعد أن وضع رويس يده على لسانه وأصابعه، فقد تجاوزنا هذه القرارات. تقدمت وأمسكت بكتفيه لأبقيه منحنيًا إلى الأمام، بينما راح رويس يتلاعب بمعطفه ويطلب مني رفع يد هنا وأخرى هناك.

بعد خلع معطفه، بدت على ماكتافش علامات الموت بوضوح أكبر. برزت عروق رقبته مثل أنهار زرقاء. بدأ رويس برفع أكمام ماكتافش، ولاحظت أن جلد ذراعه اليسرى مموج ولامع، مثل الجلد المتبقع الناتج عن حروق شفيت منذ زمن. امتدت هذه الحروق حتى جانب رقبته، وربما أيضًا إلى ساقه. حفرت حادثة السيارة التي نجا منها أثرها في ذاكرته الجلدية.

نظر رويس إلى طيَّات مرفقيه. ثم نهض واقفًا. قال: «أحتاج إلى رؤية غرفته. والقارورة».

نظر آرون إلى ساعته مجددًا. لقد أتاح لنا فرصة النظر إلى الجثة تحت ستار أمن الركاب، لكن الآن تبقى أقل من خمس وأربعين دقيقة قبل أن تصعد الشرطة الحقيقية إلى القطار، وبدأ يستعيد حذره مرة أخرى.

دخل رويس إلى الحمام ونادى بصوت مرتفع فوق صوت صنبور الماء في أثناء غسل يديه: «أعتقد أن سبب الوفاة جرعة زائدة من المخدرات. أعتذر لو سببنا لك القلق، لكن الحذر من الحكمة. أحتاج فقط إلى فحص غرفته للتحقق مما إذا كانت هناك عوامل بيئية، أو أدوات تعاطي مخدرات وما شابه، يمكن أن تدعم استنتاجاتي».

هذا المزيج من الحقيقة المتمثلة في سبب الوفاة، والكذب المتمثل في سبب تفقدنا غرفة ماكتافش، كان خدعة ماهرة للغاية، وتضاعف تأثيرها بفعل الطريقة العفوية التي عبر بها رويس عن ذلك وهو يجفف يديه، محولًا تكتيكات التخويف لدينا إلى ما أراد آرون سماعه بالضبط. لقد أعطى رويس لآرون الفرصة ليثبت صحة حدسه، واقتنص آرون الفرصة.

خرجنا من المقصورة L1 وأغلق آرون الباب وعلَّق اللافتة الورقية التي تقول: «ششش – ما زلت نائمًا» في ظل غياب قفل الباب، وهو أمر بدا لي مثيرًا للسخرية. تبعناه عبر الممر وفي المساحة المهتزَّة بين العربات المكتومة بفعل صوت اصطكاك الحديد وصفير الرياح عبر الفجوات، همست إلى رويس: «لم أكن أعرف أنك تحب الأقدام».

هز رأسه وقال: «عادة ما يحقن المدمنون في أذرعهم، لكن إذا انهارت تلك الأوردة، أو إذا حاولوا إخفاء إدمانهم، فإنهم يحقنون في أماكن سرية، جانب العين أو بين أصابع القدم».

استنتجت قائلًا: «إنه نظيف».

– مخمور؟ نعم. مدمن؟ لا. قُتل؟ بالتأكيد.

فتح آرون باب عربة الرئيس، وعندما فتحه، قاطعت صيحته المفاجأة حديثي أنا ورويس، فالتفتنا لنسمعه يقول وهو يدلف إلى غرفة ماكتافش: «ما الذي تفعلينه هنا بحق الجحيم؟».

الفصل الخامس عشر

طارت يدا بروك في الهواء وكأننا دخلنا موجهين السلاح نحوها. لم يغادر الدم وجهها فحسب، بل كأنه سُحب عبر ساقيها، مرورًا بالأرض وصولًا إلى القضبان الحديدية، تاركًا وجهها شاحبًا كالخزف وشفتيها الرقيقتين باهتتين ومتقوستين في اندهاش.

قال آرون: «هذه الغرفة خاصة».

قلت: «هذا مسرح جريمة».

قال رويس: «من أنتِ؟».

اندهشت كثيرًا لرؤية بروك لدرجة أنني لم أدرك مدى فخامة عربة الرئيس. رغم أن اسمها يوحي بذلك، فلم أدرك أن غرفة هنري عبارة عن عربة كاملة. دخلنا إلى غرفة جلوس خاصة تستوعب عشرة أشخاص تقريبًا بسهولة. امتدت أريكة جلدية صفراء على شكل نصف دائرة بطول الجدار الشرقي، تواجهها طاولة مكدسة بالأوراق المبعثرة. كان هناك تلفاز معلق على الحائط المقابل. لفت هذا التفصيل انتباهي أكثر من غيره؛ أن تكون ثريًّا بما يكفي لتحمل هذه المقصورة، لكن غير مكترث للمنظر الذي تدفع من أجله. مؤشر آخر على الترف فضحته

كومة صغيرة من الرماد على السجادة عند قدمي، خرق فاضح لقانون منع التدخين. لكن الرائحة لم تكن رائحة سجائر، بل نفحة خفيفة من التوت الأزرق في الجو. كان تصميم الأثاث أشبه بأي ردهة فندق: لوحات خشبية (ليست مزيفة كالتي في غرفتي)، وحواف مطلية بالذهب، وحتى الثريا البراقة. جعلتني الغرفة أشعر وكأنني في فيلم اختطاف طائرة الرئيس.

أمسك رويس بزجاجة ويسكي نصف ملآنة وأطلق صفيرًا.

سألت: «باهظة الثمن؟» كان هناك رقم على جانب الزجاجة أقدم من عمرى. مما أجاب عن سؤالي.

كان ألبوم قصاصات بروك بجوار كومة الأوراق المبعثرة، وأدركت أن الأوراق لم تكن في حالة فوضى لأن ماكتافش تركها هكذا، بل لأننا قاطعناها وهي تفتش فيها. رأت نظرتي وهي تستقر على الأوراق، وتبدل الذعر الذي تشكل على وجهها لحظة إدراكها ما قلته.

قالت بدهشة: «مسرح جريمة؟ هل تظنون أن هنري...». رفعت يدها إلى فمها. «يا إلهي، أرجوكم لا تظنوا أنني..».

قال آرون: «لا تستمعي إليهما، إنهما فقط... حسنًا، من المفترض أنهما يقدمان المساعدة، لكنني لم أقرر بعد. لا أحد يتهمك بأي شيء. باستثناء اقتحام العربة على ما أظن».

نظرت بروك إلى حذائها، وعادت الدماء تتدفق في خدَّيها كأنها قفزت بمظلة مطاطية.

استنتجت قائلًا: «لقد أعطاك مفتاحًا، الليلة الماضية». لقد أخبر ماكتافش بروك صباح ذلك اليوم أنه من المؤسف أنه اضطر إلى شرب ذلك الويسكي الثمين بمفرده، ملمحًا إلى دعوة قوبلت بالرفض.

أومأتْ بإيماءة بالكاد تُرى، وقالت: «لم أكن أنوي الذهاب، لم أكن لأفعل ذلك».

سأل رويس: «لماذا أخذته إذن؟» بات من الواضح تمامًا أنه ينظر إلى المشتبهات من النساء بناء على دافع واحد فقط -الجنس- ولم يدرك أن الموافقة يمكن أن تُمنح وأن تُسحب.

قالت بروك: «كان هنري ماكتافش بطلي. لذلك أجل، تحمست قليلًا عندما اقترب مني الليلة الماضية. هذا ما أردته، لكنني أردته كقارئة، كمعجبة. أردت أن نتواصل حول كتبه وما منحتني إياه».

تذكرت سؤالها في الندوة، إذ كان محيرًا بالنسبة إليَّ، لكنه صيغ بعناية لإثارة إعجاب ماكتافش. كانت سيمون قد قالت إنك يجب أن تتحدث إليه بالألغاز والأحجيات. آرتشي بنش. لقد قطعت كل تلك المسافة لكي تحظى بفرصة أن تقول له: «أنا أفهم كتبك أكثر من أي أحد آخر». ليس الأمر مجرد إعجاب سطحي أو بغرض الإغواء.

تابعت بشفتين مرتجفتين: «ثم أجده يقترب مني، وأفكر أن هذه هي اللحظة التي انتظرتها. يميل نحوي ورائحة أنفاسه تفوح بالكحول، ويدس مفتاح غرفته في يدي. لم يقل شيئًا، فقط أعطاني المفتاح. تلك النظرة التي على وجهه، وكأنها جائزة، وكأنني استحققتها». كادت تختنق قليلًا تحت تأثير الذكرى. «تجمدت. وما إن استعدت قدرتي على استيعاب ما حدث، كان قد ابتعد بالفعل. رحت أقبض على المفتاح بيدي حتى كاد يجرح كفي».

قال رويس بينما يصفق ببطء ساخرًا: «أداء جميل يا عزيزتي». ورغم بعض الفائدة منه من ناحية الطب الشرعي، فإن بصيرته النفسية ضعيفة، كنت بحاجة إلى إس إف ماجورز من أجل ذلك.

تذكرت صوت المرأة الذي سمعه رويس من خلف الباب، فسألتها: «إذن لم تأتِ إلى هنا البارحة؟» لقد ظن فقط أنها ليزا، لكنه لم يرها فعليًّا.

- بالطبع لا، نمت في غرفتي.

سألت حتى أتمكن من رسم مخطط لاحقًا: «أين هي؟».

- في مقصورة الضيوف.

انتظرت المزيد من التفاصيل، لكنها ترددت. أدركتُ أنني أخبرتها للتو وجود قاتل محتمل في القطار. كان لديها كل الحق في الحذر عندما يسألها شخص غريب عن مكان نومها.

قالت أخيرًا: «عربة رقم 1 ...N. اسمع، كنت سأكلمه بعد الندوة. لم أنم جيدًا، كنت قلقة من أنه ربما أكون قد أسأت الفهم. أردت توضيح الأمر بقدر الإمكان، على الأقل أعيد له المفتاح. لذلك ذهبت إلى فقرة الأسئلة والأجوبة، لكن ذلك الناشر لم يسمح لي».

تذكرت وايت وهو يبعدها جانبًا ويخبرها أن التوقيعات ستكون بعد الجلسة.

تحركت عيناها جانبًا، أول كذبة واضحة منها، قالت: «ثم أصيب بنوبة قلبية، ففكرت أن أعيد المفتاح بنفسي». اعتدلت ووضعت يديها على فخذيها. «لا أعلم لماذا تتصرفون وكأن هذا تحقيق».

لم يقل أحدنا أي شيء. حكَّ آرون مؤخرة ساقه بإصبع قدمه.

انفجرت بروك ضاحكة: «يا إلهي! إنه استجواب حقًّا! أنتما تظنان نفسيكما محققين حقيقيين. يا للعجب. هذا رائع. هيا أخبراني، من هو هولمز ومن هو واطسون؟ انتظرا، دعاني أحزر». أشارت إلى رويس ثم تجعد أنفها باستهزاء: «أنت المساعد».

تقدم رويس خطوة نحوها، ولكن آرون مد ذراعه ليوقفه، وقال: «اعتقدت أننا هنا لتأكيد سبب الوفاة، وليس لإزعاج الضيوف».

انطلقت أنا ورويس، بدافع الخوف من إلغاء إذننا في البحث، في تمثيل رائع بحثًا عن أدلة، نحني ظهرينا ونحك ذقنينا. تفحصت سلة المهملات، التي حوت كتلة من المناديل الملطخة بالدماء وبطاقة صغيرة بيضاء كُتب عليها «من معجب شديد». ترددت كلمات بروك في ذهني: «كان ماكتافش بطلي».

يوجد ممر يمتد من الصالة لا يختلف عن صالات النزلاء العادية، يقود إلى أربع مقصورات منفصلة. بدت اثنتان منها كأنهما لم يُمسا قبلًا. أُعدَّت الثالثة كمكتب صغير: مكتب كتابة حقيقي أمام المقعد، وقلم تخطيط وحيد عليه. أما الغرفة الأكبر فكانت في نهاية الممر، غرفة نوم ماكتافش. أكبر من حجم المقصورات العادي بما يزيد على الضعف، ومزودة بسرير مزدوج مبعثر في وسط الغرفة، وكرسي منفصل مواجه للنافذة، وحقيبة ماكتافش مفتوحة على الأرض، تتدلى أكمام السترة من الحواف وكأنها تلعق السجادة.

قلت متفحصًا: «أين آلته الكاتبة؟».

قال رويس: «هاه؟» هز كتفيه ثم رفع المرتبة، المكان التقليدي لإخفاء المخدرات. كانت نظيفة.

قلت: «ماكتافش، ألم يكن يكتب جميع مسوداته على آلة كاتبة؟ لديه مكتب في الغرفة الأخرى. لا توجد آلة كاتبة، ولا حبر».

أسقط رويس المرتبة، وقال: «حسنًا، لا بد أن لديه قلمًا، أليس كذلك؟» ثم جثا على ركبتيه وحاول أن ينظر أسفل السرير. عبث هناك لدقيقة، ثم نهض ومسح صدره وكأنه كان يستكشف عليَّة مسكونة بالأشباح وليس

عربة قطار خمس نجوم. قال: «قد تشير المناديل التي في سلة المهملات إلى نزيف أنفي، وهو أمر غير نادر بين مدمني الهيروين».

كنت أعلم أنه يكذب، لا يمكن لرويس، مهما طالت فترة ابتعاده عن المهنة، أن يغفل الزرقة على مقدمة أنف ماكتافش. لقد رأيتها حتى قبل وفاته، لم تكن تلك المناديل في السلة نتيجة تعاطٍ، بل ضربه شخص ما على أنفه الليلة الماضية.

لكن تلك الكذبة كانت محتملة بالنسبة إليَّ، إذ كانت الكذبة نفسها التي قالها رويس لآرون في المقصورة L1، أراد رويس أن يعتقد آرون أن فضولنا مفيد، ولم يرغب أيضًا في أن يسرق أحد الأضواء منه. أما الكذبة التي لم أستطع تجاهلها، هي عندما رأيت لمحة من ورقة تختفي في جيبه عند قيامه. لقد وجد شيئًا تحت السرير.

إن تدمير الأدلة أمر شائع بالنسبة إلى الطرف المذنب، وقد خطر لي أن رويس أخفى شيئًا يدينه. لكن رويس، بعكس كتبه، كان سهل القراءة. كنت متأكدًا أن وصف بروك له بأنه المساعد قد جرح كبرياءه، وأراد إثبات أنه هو هولمز وأنا واطسون، وليس العكس. راودني شك في أنه يسرق الأدلة لمجرد أن يصل إلى الحل قبلي.

تلاقت نظراتنا لثانية وبدا واضحًا أن زواجنا المؤقت من أجل المصلحة قد وصل إلى طلاق سريع. أعتذر لمحبي النمط التقليدي، لا توجد صداقة بطولية هنا.

قال رويس لآرون: «ما زلت بحاجة لرؤية القارورة، قد تكون بها آثار».

فك آرون جهاز اللاسلكي من حزامه وأرسل نداء: «سينثيا، هل ما زالت القارورة التي يشرب منها المتوفى بحوزتك؟».

جاء صوت سينثيا عبر اللاسلكي: «نعم».

- هل يمكنك الاحتفاظ بها؟ أعتقد أننا قد نحتاج إلى بعض الفحوصات الجنائية.

- جنائية؟ أتعتقد أن...

- لست متأكدًا، لكن الحذر أفضل من الندم.

جاء صوتها خافتًا، وكأنه عن قصد: «آسفة يا رويس، لقد غسلتها». تخيلتها تدير خصلة من شعرها حول إصبعها. «هل كان من المفترض ألا أفعل ذلك أم ماذا؟».

أدار رويس عينيه متأففًا. أود أن أشير أن سينثيا هي أيضًا من غسلت السجادة حيث انسكبت القارورة، وبما أنني ذكرت سابقًا أن تدمير الأدلة أمر يستحق الانتباه له، يمكن اعتبارها مشتبهًا فيه. لكنني اعتقدت أيضًا أن من الغطرسة أن ينتقدها رويس إلى حد ما، خاصة بينما يخفي دليلًا في جيبه. لذا، أنا فقط أشير إلى ذلك لأن من الإنصاف أن تقال الحقيقة.

انحنى رويس نحو جهاز آرون اللاسلكي، وقال: «أيتها الحمقاء، لقد عرضتِ التحقيق كله للخطر».

قال آرون: «يجب أن أضغط على الزر حتى تسمعني، هكذا».

قال رويس: «أنتِ، أوه... انسي الأمر» تنهد، من الصعب استدعاء الغضب مرتين، أضاف: «شكرًا يا سينثيا».

تقطع صوت سينثيا عبر الجهاز: «من كان ذلك؟».

قال آرون: «آلان رويس».

- الأخرق؟

- هذا جهاز لاسلكي يا سينثيا.

بدأ الأمر يستحيل مهزلة، فقلت إنني سأقوم بجولة أخرى في الصالة. أراد آلان تفتيش الغرفتين غير المستخدمتين مرة أخرى، فذهبت بمفردي

بسرور. كانت بروك لا تزال جالسة على الأريكة. لم أكن متأكدًا مما إذا قد طلب منها آرون الانتظار أو أنها بقيت بدافع الفضول، لكنني اعتبرت ذلك فوزًا، إذا استطاع رويس إخفاء أدلة عني، فيمكنني إخفاء مقابلة عنه.

قلت وأنا ألتقط بعض الأوراق عن الطاولة: «ليس مظهرًا جيدًا، أنت تعرفين ذلك، صحيح؟».

حكَّت ذراعها اليمنى، التي احترقت من الشمس من جهة واحدة بسبب جلوسها بجانب النافذة في مقصورتها لفترة طويلة على ما أعتقد. قالت: «لم أكن أعلم أنها جريمة قتل إلا قبل عشر دقائق».

تفحصت الأوراق في يدي. بالكاد احتوت ملاحظات ماكتافش على أي مضمون، وكان خطه متقلبًا لدرجة يمكن معها تمييز اللحظات التي كان فيها صاحيًا عن تلك التي كان فيها مخمورًا، بناء على وضوح الكتابة. إحدى الصفحات كُتب عليها: «قطع الرأس- نجاة؟ بحث» بأحرف ضخمة. وصفحة أخرى: «موربند. اجتماع فيلم. هيو جاكمان. هل هذا فيلم موسيقي؟ رايان راينولدز. هذا فيلم كوميدي؟».

قلت لها وأنا أضرب الصفحات على الطاولة: «بحقك. هذا ليس سبب وجودك هنا».

أشارت نحوي بإصبعها لأعلى وأسفل، ثم زمت شفتيها، وقالت: «هل تحاول أن تلعب دور المحقق؟».

- إنك تتجنبين السؤال.

- ماذا تريدني أن أقول؟ لقد قلت الحقيقة.

- لم تخبريني بالحقيقة. وأنا لا أتهمك بالقتل، بالمناسبة. لكنه كاتبك المفضل، وقد أنهى للتو سلسلة تضم شخصيتك المفضلة.

والآن انتهى هو نفسه من السلسلة. لذا إنني أفكر فيما يمكن أن أفعله، كمعجب، للحصول على قطعة أخيرة.

ألقت حفنة من الأوراق على الطاولة، طارت واحدة على السجادة، وقالت: «حسنًا، طيب. أحسنت. لقد جئت للحصول على تذكار، حسنًا؟ شيء فقط، أي شيء كتبه».

التقطت الورقة من الأرض، وقلت: «مثل هذه؟» إحدى مزايا إصابتي كانت أنني حتى لو لم أكن أرتدي قفازًا، فإنني أشك في وجود بصمات أصابع لي، لذا عكفت على استخدام يدي اليمنى في أي شيء اعتبرته دليلًا. حملت الورقة صورة جمل أحمر في أسفلها، تمامًا مثل الملاحظة التي كانت لدي أنا وجوليت في غرفتنا. كُتب في أعلاها أرشيبالد بنش، وأسفلها سلسلة من الخطوط في دلالة على حروف ناقصة، كما لو كنا نلعب لعبة الرجل المشنوق. تلتها مجموعة من الحروف العشوائية، ثم كلمة آرتشي! تتبعها علامة تعجب متحمسة، أسفلها كلمة رايخ، وتحتها خط. كان الخط ما بين خط ماكتافش الصاحي وخطه المخمور، وبما أنها بدت كمحاولة لحل لغز خاص به، استنتجت أن الخط لم يكن خطه أصلًا، بل ربما سقطت الورقة من ألبوم قصاصات بروك. هكذا راحت تجمع خيوطَ شخصية أرشيبالد بنش.

انتزعت بروك الورقة مني، وقالت: «ربما».

قلت: «مخطوطته ليست هنا، وهو ما كنت تبحثين عنه فعليًّا».

- هذا غير صحيح.

قالت ذلك ببراءة مصطنعة مثل زوج خائن، لكن فضولها غلبها، قالت: «كيف عرفت ذلك؟».

- سمعت ماكتافش وهو يسلمها إلى لويد الليلة الماضية. ستكون في مقصورته.

- وماذا في ذلك؟ أبحث عن رواية، هل هذا سيئ للغاية؟

- على حسب. شعرت بالأسف لأن كتابك قد تضرر. رواية بؤس، صحيح؟ هل تريدين أن أخبرك نهايته؟

ظهر تعبير مصدوم على وجه بروك أشبه بمظهر محظية راودها أحدهم للتو بعرض غير لائق، قالت: «أبدًا».

- لا أعلم إن كنتِ قد وصلتِ إلى آني ويلكس...

قاطعتني قائلة: «إنك تسحب الأمور بعيدًا جدًّا».

هذا أوقف تساؤلاتي. كان لدي الآن ثلاث نظريات تتعلق ببروك، الأولى: ربما ازداد غضبها من ماكتافش لأنه قتل بطلها المفضل، فاندفعت لكي تلقنه درسًا. الثانية: ربما كانت مستاءة للغاية، محطمة، بسبب عرضه غير اللائق لها مما جعلها تقرر أن تلقنه درسًا. الثالثة: ربما اكتشفت شيئًا عن أرشيبالد بنش، ودونته في دفترها، وأخبرت ماكتافش عن معرفتها به صبح ذلك اليوم في الندوة بشكل مشفر. قد لا تحمل دعوته لها إلى مقصورته طابعًا جنسيًّا على الإطلاق، ربما اعتقد أنها تعرف شيئًا لا ينبغي لها معرفته. ربما أراد التحدث معها عن أرشيبالد بنش، وربما حتى حاول إسكاتها. اثنتان من تلك المواجهات ربما تنتهيان بالدفاع عن النفس على نحو منطقي. أنف مكسور وسلة ممتلئة بالمناديل الملطخة بالدماء. لم أكن متأكدًا إن كانت أي منها يشير إلى جريمة قتل.

بدت النظرية الثانية الأكثر منطقية، خاصة مع ما يحتفظ به رويس في جيبه. لكن بالطبع لا أعرف ما هو بعد، لذا لا يمكنك معرفته بدورك.

قالت بروك: «حسنًا، الآن دوري. نوبة قلبية، هاه؟».

أجبتها: «أعتقد أنه من الجلي أنني أشك في أمر آخر».

- وهل أنا المشتبه فيه الوحيد حتى الآن؟

- حسنًا، أنت الوحيدة التي وُجدتْ في مسرح الجريمة، لذا وفقًا لذلك، نعم.

أمسكت بروك دفتر قصاصاتها وراحت تقلب صفحاته. كان يتألف من مجموعة مقالات وصور ملصقة بغير إتقان. هنري ماكتافش وهو يتسلم جائزة، شهادة تحمل كلمات «جيش موربند». توقفت عند مقال قديم من صحيفة مصفرة ودفعت الألبوم نحوي.

أول ما لاحظته كان التاريخ: أغسطس 2003. بدت بروك وكأنها في أواخر مراهقتها أو أوائل العشرينات. قلت: «لا بد أنك لم تجمعي هذا في طفولتك، أليس كذلك؟».

- لم أكن وُلدت حتى يا صديقي. إنك تشك في أنني معجبة كبيرة بما يكفي لقتل أحدهم، ولكن ليس بما يكفي لطباعة صحيفة موسمية من المكتبة؟ يا إلهي، إنك تحتاج إلى المساعدة من كل النواحي. اقرأ الشيء اللعين.

نجوم المستقبل.

بقلم أوليفر رايت، 19 أغسطس 2003، إدنبرة.

بعد عام من نشر روايته الأولى التي أصبحت من الأكثر مبيعًا عالميًّا، يعود هنري ماكتافش مع جريمة مستحيلة أخرى لا يمكن حلها إلا بعبقرية الاسكتلندي المنعزل.

كان النصف التالي من المقال مراجعة لرواية هنري ماكتافش الثانية، *غارق في المتاعب*، حيث تغيرت نبرة المراجع بعد الجملة التمهيدية وأصبحت أكثر انتقادًا. كان من الواضح أنه معجب بالكتاب الأول بما يكفي لعدم تحطيم الثاني بالكامل، لكن ذلك كان السبب الوحيد الذي منعه من شن الهجوم الكامل.

اختُتمت المراجعة بأن المحاولة الثانية لماكتافش كانت مخيبة للآمال في مجملها، وانتهى المقال بمراجعة سريعة لروايتين أخريين لمؤلفين ظهرا مع ماكتافش في جلسة مناقشة بمهرجان إدنبرة للكتاب...

التفتُّ إلى بروك، وقلت: «هل تمزحين؟».

أشارت إلى المقال، فنظرت مرة أخرى. كانت هناك صورة صغيرة، بحجم بوصة مربعة، محشورة بين الفقرتين الأخيرتين. في الصورة كان هناك ثلاثة أشخاص، مبتسمون في بار. استطعت التعرف عليهم جميعًا، كُتب عليها: «الكاتب الشهير في أدب الجريمة هنري ماكتافش يجتمع بالكاتبتين الصاعدتين ليزا فولتون (على اليسار) وإس إف ماجورز (على اليمين) في مهرجان إدنبرة للكتاب».

التُقطت الصورة في مقصورة ذات إضاءة سيئة في حانة ذات إضاءة أسوأ –وأقصد ذلك حرفيًّا، حيث وفقًا لأبحاثي حاول مالكها حرقها للحصول على تعويض التأمين في عام 2015، لكنه فشل– لكنها كانت واضحة بما يكفي. وضع ماكتافش ذراعه حول كتف ليزا، وكلاهما يضحكان، بينما تنظر إس إف ماجورز مباشرة نحو الكاميرا. كان أمامهم جميعًا كؤوس بيرة ملآنة بالرغوة، وابتسامات مشرقة وطبيعية. لم تبدُ كصورة لصحيفة، بل كانت تحمل روح الرفقة التي تجدها في كتب تذكارات المدرسة الثانوية، وتجعلك تشعر بالحنين إلى الشباب.

ثلاثتهم في المهرجان نفسه، قبل عشرين عامًا. إليك تلك العبارة مجددًا. والآن جميعهم على متن قطار واحد. علمت أنني لا ينبغي أن أعتبرها أمرًا عابرًا.

سألتها: «لماذا تريني هذا؟».

قالت: «لأنه إذا كان أفضل ما لديك هو بعض النظريات حول لماذا قد أكون قادرة على القتل، فظننت أنك قد ترغب في معرفة من يملك

الدافع الحقيقي لقتله». أشارت بإصبعها إلى الصفحة وأضافت: «أُخذت هذه الصورة مباشرة بعد نشر هنري لرواية *غارق في المتاعب*، الرواية الثانية في سلسلة موربند، والتي فشلت. وبعدها بعام، نشر..».

تركت لي تكملة الجملة، قلت: «الخروج عن المسار». وهي الرواية الثالثة في سلسلة موربند. بدأت أفهم ببطء ما تحاول بروك قوله لي. «هذا هو الكتاب الذي ذكرته ماجورز في الجلسة التقديمية. الكتاب الذي قالت إنه يستند إلى أحداث حقيقية».

قالت، ومع كل كلمة كانت تضغط بإصبعها على ابتسامة ماجورز العريضة: «بالضبط! أترى؟ لقد زعمت فيما مضى أنها ذكرت تلك القصة لأول مرة. في. هذا. المهرجان. تحديدًا».

حاولت أن أستحضر الصورة في مخيلتي وكأنها مشهد ينبض بالحياة: صوت ارتطام الكؤوس، الهمسات المتبادلة، المواساة على المراجعات، والخجل إزاء مبيعات فاقت التوقعات. غرفة مليئة بأشخاص يفهمون كل شيء. الكتابة وظيفة أحلام الكثيرين، لكنها وظيفة، وأحيانًا يكون من الجميل أن تكون محاطًا بأشخاص يشاركونك الرأي بأن حبر الورق ورهاناته هي مسألة حياة أو موت. الكتابة عمل منفرد إلى حد كبير، لذا فإن غرفة مليئة ببؤس مشترك هي ترياق يعترف قليلون بقدرته على إعادة الإحياء بشرط ألا يقتلون بعضهم بعضًا بالطبع.

يتطلب وجود مجموعة من الكُتّاب في غرفة اسم جمع لا تمتلكه اللغة الإنجليزية. ربما عزاء أو مواساة. إنها أشبه بمستشفى حربي للكلمة المكتوبة.

تذكرت ما أملته في الأصل من هذه الرحلة، حلمي بأن أقيم صداقة مع ماكتافش. والآن تخيلت ليزا وماكتافش وماجورز مجتمعين معًا، يتشاركون أحلامهم وإلهامهم وأفكارهم.

ماذا قالت ماجورز في الندوة؟ ما هو لون رواية الخروج عن المسار؟ وماذا كان رد هنري الذي صاحبته ابتسامة مفعمة بالزهو؟ أخضر.

إنها الغيرة.

قلت: «هل تعتقد ماجورز أن ماكتافش سرق فكرتها لرواية الخروج عن المسار؟».

أجابت بروك: «ها أنت ذا. تمامًا. هي لم تنس الأمر قط. تقول إنهم كانوا يشربون ويتشاركون الأفكار، محادثة عادية إلى حد كبير، إبداعية قليلًا. أنت تعرف كيف تسير هذه الأمور، قليل من «ماذا تقرأ؟» وقليل من «على ماذا تعمل حاليًّا؟» ثم بعد سنة تقريبًا، نرى كتاب هنري الجديد على الرفوف». قلدت انفجارًا صغيرًا بحركة من يديها.

- كيف لم أسمع بهذا من قبل؟ أنا لست من «الجيش» بالتأكيد، لكني معجب بما يكفي لألحظ ظهور اتهامات في الصحافة. كيف تعرفين بكل هذا؟

قالت بروك: «على ماجورز أن تتوخى كثيرًا من الحذر فيما تقول. لقد مثَّل وايت لويد... دعني لا أقول تهديدًا، ولكنه مشاكس قانوني عنيف يمكنني القول. بالإضافة إلى ذلك، إذا قلت لك غدًا إنني سأكتب رواية عن هنري الثامن، فهذا لا يعني أنني صرت أملك الحق الحصري لذلك الموضوع. إنها قصة عامة، في متناول الجميع، لذا فإن كتابتي عنها لا تمنع أي شخص آخر من خوض التجربة. وبالتفكير في الأمر، (رفعت إصبعها بينما تفكر) أظن أن شخصًا ما قد قُتل في هذا القطار؟».

تذكرت شيئًا قاله ماكتافش وظل يتردد في ذهني: «إذا كنت تعرفين شخصًا مات أو تأذى بطريقة مشابهة..».

- إليك سؤالًا مختلفًا إذن. من هو أرشيبالد بنش؟

انفجرت ضاحكة، قالت: «من الأفضل لك أن تتقمص شخصية آني ويلكس[1] وتواصل البحث بنفسك».

- ماذا؟

- أرشيبالد بنش هو السبب لعدم قتلي إياه. حاول بجهد أكبر.

حاولت مجددًا، قلت: «حسنًا، هل كانت ماجورز تعرف الأشخاص المعنيين بالقصة الحقيقية وراء رواية الخروج عن المسار؟».

هزت بروك رأسها بطريقة غير واضحة، أقرب إلى كيف لي أن أعرف أكثر من لا أعرف.

عدت إلى المقال، قلت: «احتفظتِ بهذا، مما يعني أنك اعتقدتِ أنه ذو أهمية. هناك ولاؤك لأعماله بالطبع. لذلك من الطبيعي أن تميلي إلى تصديق أنه لم يسرق الفكرة، في ظني. لكنك صدقتِ الشائعة رغم ذلك؟».

تنهدت بروك، وقالت: «من الواضح أنني احتفظت به لسبب ما. أعني، إنه حدث مهم من ناحية سيرته الذاتية، بغض النظر عمَّن تصدقه. ومثل أي شائعة متقنة، ليست بالضرورة معلومة عامة، ولكنها ليست سرية تمامًا كذلك. إن معظم الجيش يعرف بها، على الأقل. وتظهر أحيانًا في هذا البودكاست أو ذاك، لكنها ليست خبرًا أو ما شابه». بدا ذلك تفسيرًا مفرطًا، لم أسمع بهذه الاتهامات من قبل. أضافت: «لطالما أنكرها ماكتافش. ولطالما صدقته. لكنك محق، احتفظت بالمقال. والآن، بعد أن قابلته..». ربتت على ذراعي. «إنك تقرأ كتب الناس وتظن أنك تعرفهم. إنهم يتحاورون معك على مدى مئات الصفحات، وهناك نوع من الألفة التي تنشأ من تلقاء نفسها. لقد أحببت هنري ماكتافش حقًّا،

(1) شخصية في رواية بؤس، لستيفن كينج. (المترجمة)

ثم جئت إلى هنا، ورأيت الشُرب، والإسراف، ونظرة عينيه وهو يعطيني المفتاح. ربما أظن الآن أن فكرتي عنه كانت خاطئة. ربما أعتقد الآن أنه رجل يحب المتعة لكنه لا يريد أن يبذل جهدًا للحصول عليها. وربما هذا يجعلني أتساءل إن كان يجدر بي أن أصدقها منذ البداية».

تقبلت ذلك. بدا وصفًا مناسبًا لماكتافش، رجل يريد أن تُهدى إليه ملذاته، أو يأخذها أخذًا.

سألتها: «ماذا عن ليزا؟ لم تؤكد تلك الادعاءات، أليس كذلك؟» تذكرت كيف توقعت ماجورز أن تدافع ليزا عنها في الندوة، وخيبة أملها عندما لم تفعل، والتوتر الذي نشأ عندما اكتشفت أن ليزا حصلت على ثناء من ماكتافش على غلاف كتابها. يمكن بسهولة اعتبار ذلك بأن ليزا اختارت جانبًا معينًا. ربما كان هذا ما عرضه ماكتافش مقابل صمتها.

هزت بروك رأسها، ولكن عينيها توجهتا نحو الأرض.

ترددت كلمات رويس في رأسي: «ثمة طرق عديدة للحصول على توصية». حتى أدركت أن الصوت لم يكن ذكرى مزعجة، بل كان رويس فعليًّا بعد أن انتهى من تفتيش بقية الغرف وكان متكئًا على إطار التليفزيون. بدا واثقًا من نفسه، كمن غشَّ في الاختبار ويعرف الإجابات كلها. قال بنبرة ساخرة: «تتحدثان عن هنري وليزا؟ لقد حصل بينهما شيء. قال هنري إنها قنبلة».

كادت بروك تتقيأ من وصفه.

قلت بابتسامة مصطنعة: «هل تفتقد شيئًا؟ كاللباقة مثلًا؟».

- أراهن أنك تتمنى أن تعرف. وما الذي يحدث هنا، هل تجري مقابلات مع المشتبه فيهم من دوني؟

قلت: «هي ليست مشتبهًا فيه بنسبة كبيرة».

لوح بإصبعه نحوي، وقال: «هذا يجعلها مشتبهًا فيه محتملًا بنسبة كبيرة. يجب أن تعرف هذا يا إرنست، المتشبه فيه الأقل احتمالًا يكون واضحًا للغاية، يجب أن تضعه في أول القائمة».

أجبته: «سأحرص على هذا».

قال، متخذًا وضعية جسد توحي بأن هذه أعظم ملاحظة توصل إليها: «وبالمناسبة، ربما لم تلاحظ، ولكنني حاد الملاحظة بعض الشيء، لقد كانت تقرأ رواية بؤس خلال هذه الرحلة. لماذا يستغرق هذا الرجل وقتًا طويلًا؟» جاء صوت تدفق المياه من الحمام ليجيب عن سؤاله، ولكنه نادى على أي حال: «آرون؟».

التفتت بروك نحوي وقالت: «رواية بؤس ليست عن الهوس، على الأقل ليس عندما تنظر إليها من منظور آني ويلكس، إنها تتناول موضوعًا أكثر بساطة».

وقفتْ، ورغم أن رويس لم يكن يسد طريقها نحو الباب فعليًّا، فإنها تمكنت من ضربه بكتفها في أثناء مرورها. رفعت مفتاح عربة الرئيس، وقالت وهي تضعه على الطاولة: «لا تلتقِ بأبطالك أبدًا».

خرج آرون من الحمام وهو يمسح يديه المبللتين في مقدمة سترته، بينما اهتز قطار الغان ثم توقف فجأة. اختل توازننا جميعًا مع تغير السرعة.

قال آرون وهو يصفع رويس على كتفه: «حسنًا، يبدو أن تحقيقكما قد انتهى، حمدًا للرب على نعمة وجود المتخصصين. مرحبًا بكم في أليس سبرينجز».

الفصل السادس عشر

أجبرونا على البقاء في القطار بينما ينزلون الجثة. عدت إلى الغرفة كالحمل الوديع، حيث نظرت جولييت إلي ثم إلى ساعتها فيما معناه (لقد غبت لوقت طويل) وقالت: «أشبعت فضولك؟».

أومأت وربتُّ على ساقها، السبيل لأقل مقاومة.

ربما كانت ستصدقني لو تمكنتُ من إبعاد نظري عن المسعفين وهم يأنون بينما يحملون جثة ماكتافش مثل دمية قماشية ملفوفة بالبلاستيك وينزلون بها عبر الدرج إلى الرصيف. كان المشهد عاديًّا، عمليًّا، لا يختلف عن نقل غسالة إلى طابق آخر، بلا أي احترام لهيبة الجثة.

لطالما ظننت أنني أكتب لأتذكَّر، لكن جزءًا مني يكتب ليُذكر. أدركت بينما أشاهدهم يكافحون مع الجثة أن الأمر لا يتعلق بعدد الأسماء على أغلفة الكتب التي تركتها، في النهاية، قد يقتصر إرثك على مجرد لحم في كيس بلاستيكي أسود.

لقد عزمت على الاستمتاع بوقتي في أليس سبرينجز بقدر ما عزمت جولييت على إبعادي عن التفكير في ماكتافش. لحسن الحظ، ألغيت جلسات الكُتَّاب اليوم، مما منحنا حرية اختيار الأنشطة المقدمة لعامة

الضيوف أو التجول بحرية في البلدة. انتهيت أنا وجولييت إلى الخيار الثاني (وأخبرتني ماجورز عن أفضل مكان للحصول على كعك الفانيليا الأسترالية) ثم أصرَّت جولييت على الانضمام إلى جولة الحافلة إلى ممر سيمبسون الجبلي حيث شقَّ الزمن والطقس منحدرات حمراء شاهقة ليترك واديًا مذهلًا.

كنت آمل أن أتمكن من طرح بعض الأسئلة على سيمون، لكنني بالغت في تقدير رغبتها في مشاهدة المعالم؛ فقد قررت البقاء في القطار (أخبرونا أن البار قد فُتح مجددًا). على أي حال، استحوذ عليَّ المشهد الرائع للصخور العميقة ذات اللون الأحمر الداكن مقابل السماء الزرقاء الصافية، وسرعان ما نسيت أي أفكار لدي حول استجواب أي شخص.

جلستُ على الرمل عند نقطة كان الوادي فيها نصفه مضاء بالشمس ونصفه الآخر مغمور بظل الجرف، ووضعت جولييت رأسها على كتفي، نصف وجهها في النور والنصف الآخر في الظل. الصخور أمامنا كانت موجودة منذ ملايين الأعمار وستظل هنا حتى تتحول عظامنا إلى غبار وكتبنا إلى تبن. نحن نقاط عابرة. لكن نقطتين أكبر من نقطة واحدة. أعتقد أنك تعرف أنك محظوظ عندما يمكنك الاعتذار دون الحاجة إلى الكلام.

كان كل شيء جميلًا بما يكفي لأبقي نصف انتباهي فقط على ما يفعله الآخرون.

راحا هارييت وجاسبر يلتقطان الصور لنفسيهما كأنهما في شهر عسل. اختار فولفجانج قطعة مسطحة من الصخر في مكان مرتفع وجلس يتأمل. ابتهجت سيدات نادي الكتاب بمراقبة الكناغر الصغيرة. راحت إس إف ماجورز تتسلى برمي الحجارة في بركة ماء في منتصف الوادي بينما راحت بروك المغامرة بحس الشباب تقفز من صخر إلى صخر على طول حافة الماء بكل طاقتها. بقيت ليزا في الخلف بين الظل،

تخبر بروك أن تتوخى الحذر، ثم لاحقًا ساعدت بروك في وضع كريم الصبار على ذراعها المحترقة. جلس رويس بجوار طاولة المشروبات التي أعدها الطاقم ويشرب البيرة. انشغلت سينثيا بمراقبتنا والصراخ بين الحين والآخر لتذكرنا بالوقت المتبقي.

لاحظت هارييت وجاسبر بينما يكافحان لالتقاط صورة سيلفي تشمل الوادي بأكمله، فتوجهت إليهما، وقلت مازحًا: «هل ألتقط لكما الصورة؟ أؤكد لكما أنني خبير في تصوير الإنستجرام بفضل حبيبتي، سألتقط لقطات عديدة، وسأعيد الصورة من دون أي تذمر».

ضحكت هارييت وسلمتني الكاميرا بحماس. خرجت الصور جيدة، رغم أنني لاحظت أن ابتساماتهما كانت متوترة قليلًا، تعكس شفاههما أثر نقاش حديث. أمكنني رؤية أن هارييت أرادت مني المحاولة مرة أخرى، ولكن جاسبر لم يسمح لها.

ابتعدت ببطء لألتقط بعض التفاصيل بأذني.

قال جاسبر: «إنه مبلغ كبير من المال، لا يمكنني أن أقول لا ببساطة».

ردت هارييت: «لا نحتاج إليه».

- هل دفعتِ أنتِ ثمن هذه الرحلة؟ صدقيني، سيفيدنا.

لم يعجب هارييت ذلك، فمشت مبتعدة نحو البار. تبعها جاسبر وهو ينادي باسمها مرارًا: «هارييت! هارييت؟! هارييت؟» كان الأمر مألوفًا لأي شخص في علاقة طويلة الأمد، إذ يعكس كل نداء معنى مختلفًا: *هيا، حقًّا؟، آسف!*

لم ينضم وايت إلينا في الرحلة. آخر مرة رأيته كان على الرصيف يصيح في هاتفه؛ افترضت أن هناك بعض الأوراق لتجهيزها عند وفاة كاتب. أما دوجلاس، فقد اختار هو أيضًا البقاء.

توقفت عن التفكير في جريمة القتل أو في دوجلاس حتى عودتنا، كانت وجوهنا متوردة وأصبنا بدوار خفيف بفعل الشمس، باستثناء رويس الذي كان مخمورًا فعليًّا. حينها لاحظت دوجلاس وهو يحث خطاه على الرصيف. لم تكن مصادفة أن نكون هناك في الوقت نفسه، فقد طُلب منا العودة إلى القطار بحلول الساعة الخامسة مساء. في البداية، افترضت أن دوجلاس قلق من التأخير، لكنني لاحظت أنه يدير رأسه يمينًا ويسارًا، وكأنه يتحقق مما إذا كان أحدهم يتبعه.

راقبته بينما وصل إلى سلة المهملات، ولف حقيبته إلى الأمام، ومع آخر تفحص حوله، وضع شيئًا من حقيبته داخل السلة. وفي حركة واحدة انطلق مبتعدًا.

نظرت حول العربة. الناس كانوا يتحدثون ويضحكون، منتشين من الرحلة. كانت جولييت نائمة على كتفي. وكنت الوحيد الذي رأى ما حدث.

نزلت من القطار واخترعت عذرًا للتوجه نحو سلة المهملات، متظاهرًا بأنني أنفث أنفي في منديل، آملًا ألا تلاحظ جولييت أنني تجاوزت سلتين أقرب. داخل السلة كانت هناك بقايا الطعام المعتادة من أغلفة فارغة وزجاجات مياه فارغة وقلب تفاح وقشور موز، لكن في المنتصف توجد جريدة مطوية. بدا لي من الغريب التخلص من شيء كهذا بتلك الطريقة المريبة. انحنيت نحو السلة وفتحت الجريدة.

فوجئت برؤية سلاح قاتل.

ليس سلاح الجريمة، بالطبع. لكنه سلاح لم يكن بالإمكان إحضاره إلى القطار إلا بنية القتل. كان هناك مسدس فضي لامع ملفوف في وسط الجريدة.

نفسي

الفصل السابع عشر

كان العشاء في محطة التلغراف، إحدى أقدم المزارع النائية في البلاد. تقع تقريبًا في منتصف الطريق في خط وسط أستراليا، واستُخدمت سابقًا كنقطة ترحيل لرسائل مورس بين مدينتي أديلايد وداروين. كنا، نحن الكتّاب، نسير على المسار نفسه الذي سلكته رسائل التواصل قبل مئة عام. كان خط القطار بمنزلة خط تلجراف.

تألفت المحطة نفسها من مجموعة من الأكواخ الحجرية التاريخية التي حُولت إلى متحف، مع حاجز زجاجي يحمي الغرف التي تحوي طعامًا بلاستيكيًّا معدًّا على طاولات عشاء تعود إلى العصر الاستعماري. أحاطت الأكواخ بساحة ترابية زُينت بطاولات مغطاة بالأقمشة البيضاء كأنها حفل زفاف، وأحواض حمام معدنية مليئة بزجاجات النبيذ الأبيض والبيرة التي برزت أعناقها كأنها ألغام بحرية، ومنصة غنى عليها عازف جيتار وعازف بانجو ألحانًا من موسيقى الريف. انتشرت رائحة اللحم المشوي في الأجواء، حيث طهي على لهب مفتوح بعيد بما يكفي ليمنح العشاء طابعًا ريفيًّا، ولكن ليس قريبًا بحيث يجعلنا نشعر وكأننا في المطبخ.

قبل الرحلة، طُلب منا إحضار زي رسمي خصيصًا لهذا العشاء، لذا ارتديت سترة العشاء التي غطت القميص المجعد الذي نسيت تعليقه. كان غروب الشمس مذهلًا، بلونه الذهبي الخيالي وكأنه مصمم لالتقاط الصور بالذات. اصطفت الحوامل والعدسات على طول السياج الخلفي كجيش يدافع عن الخط.

ورغم كل جمال الغروب، لم أستطع إبعاد عيني عن دوجلاس. لا أعرف الكثير عن الأسلحة، لكنني أعرف أن النوع الذي تخلص منه (مسدس صغير ذو فوهة قصيرة، النوع الذي تدير فيه الأسطوانة للعب الروليت الروسي) مثل معظم الأسلحة، غير قانوني في أستراليا. إنه ليس من الأشياء التي يملك المرء عذرًا جاهزًا لحملها. لم أعرف كيف تمكن من إحضاره على متن الطائرة من تكساس، لذا افترضت أنه حصل عليه في داروين. صحيح أن الأسلحة غير قانونية في أستراليا، لكنها ليست صعبة المنال، وداروين بها الكثير من الأراضي الزراعية حيث تُستخدم الأسلحة النارية القانونية، لكنه كان بحاجة إلى دافع قوي للحصول على سلاح كهذا. ولو أنه بذل هذا الجهد، فلماذا يتخلص منه دون إطلاق رصاصة واحدة؟

بدا دوجلاس، على النقيض من توتره وقلقه في محطة القطار، مرتاحًا ومبتهجًا بينما يرقص مع سيدات نادي الكتاب أمام الفرقة الموسيقية. بدا كأن ثمة ما يقيم احتفالًا من أجله. وليس هذا اتهامًا، فجو الحزن كان شبه معدوم. ثلاثة أرباع ركاب القطار لم يعرفوا ما حدث، ومن بين من عرفوا، اعتبر معظمهم الأمر مجرد مأساة غير متوقعة. بمعنى آخر، كان الجميع مصممًا على الاستمتاع بوقتهم.

كان العشاء عبارة عن قطع من لحم الضأن المشوي على اللهب، والحلوى كعكة بالشوكولاتة. كان لكل منا مقعد محدد، وبطاقات وضعت

بعناية لتفصلنا عن مرافقينا في الرحلة وتشجعنا على إجراء المحادثات، لذا جلست جولييت وأنا بعيدًا عن بعضنا. رغم ذلك، فكانت إس إف ماجورز على طاولتي. بعد تناول الطبق الرئيسي، عندما بدأ الناس يتجمعون حول مواقد النار أو دلاء الثلج، تحركت للجلوس بجانبها.

مددت يدي، وقلت: «أعتقد أننا لم نتحدث كما يجب قبلًا. شكرًا على دعوتي لحضور هذه الحفلة».

رفعت ماجورز حاجبيها، وكأنها توشك أن تقول شيئًا، ثم ضحكت نصف ضحكة وهزت رأسها. قالت بامتعاض وهي تكرر كلمة الحفلة: «هذه الحفلة كارثة بكل المقاييس». ثم فركت صدغَيها. «إذا رأيت وايت قادمًا، أخبرني. أفضل أن أتجنبه».

- ما حدث ليس خطأك.

- قل ذلك لمحامي دار جيميناي. حتى وإن يوشك وايت على تحويل شركته إلى كومة من المال من هذا، سيرغبون في إيجاد كبش فداء. حتى أنا سأخسر مقعدي في مجلس إدارة المهرجان، وربما حتى في جمعية كُتَّاب الجريمة بأكملها. لقد قتلنا هنري ماكتافش، لا بد أن هناك الكثير من الكُتَّاب ممن سيرغبون في الانضمام الآن.

قلت متظاهرًا بالجهل: «ظننت أنها نوبة قلبية؟».

تجرعت ما يكفي من النبيذ لكي تتحملني، وقالت: «أنت تعرف الحقيقة، أنا مختصة نفسية يا إرنست، أستطيع قراءتك. فقط اسألني ما جئت إلى هنا لتسأله».

كانت مقتضبة بما يكفي لأدرك أنه سُمح لي بسؤال واحد فقط. لذا ملئتُ كأسها حتى أقرر سؤالي. لم تبد متأثرة باللفتة، لكنها شربت منه على أي حال. سألتها: «كيف يكون الشخص المهووس؟ الشخص الذي يطارد شخصًا آخر؟».

قالت ماجورز، فارغة الصبر لتتحمل مراوغتي: «أو معجب متيم. إن الإعجاب العادي لا مشكلة فيه. ولكن المسألة هي متى يتجاوز الحد ليصير غير صحي. الأمر هو المطارِد أكثر من الشخص الذي يطارده. قد يتخيل المطارِد وجود علاقة معينة تجمعه بهذا الشخص. اتصال لا يراه سواه. يدمج نفسه في عالم لا ينتمي إليه فعلًا. ويبرر أفعاله بطرق غير معقولة، على سبيل المثال: كنت أتأكد من أنك بأمان وأنا أتابعك إلى المنزل. يفتقد الشخص القدرة على التمييز بين رغباته ورغبات الضحية، ويفسر اللطف على أنه مغازلة، أو الترحيب على أنه احتياج. وأشياء من هذا النوع».

- الأمر إذن يتعلق بمنظوره الخاطئ. لأن قرارات الضحية قد تبدو وكأنها تؤثر عليه أو حتى تستهدفه، رغم أنها لا علاقة لها به؟

- بالضبط. لنفترض أنني حصلت على وظيفة أحلامي وانتقلت عبر البلاد. هذا مشروع بالكليَّة، وشخصي بالكليَّة. شخص مثل هذا قد يرى ذلك كإهانة له. هم لا يحبون التغيير.

التغيير، فكرت، مثل التوقف عن كتابة كتب معينة، ربما. كان أمرًا يستحق التفكير. تسلل شيء آخر قالته إلى ذهني. فسألت: «ماذا قصدتِ عندما قلتِ إن وايت سيجني الكثير من المال؟».

قالت: «أوه، سيجني أكياسًا منه. إن مبيعات كتب هنري عالية بالطبع، لكن هذا سيجعل روايته الأخيرة حدثًا أدبيًا. الأمر مثل عندما يكتشفون نصف مخطوطة لكاتب مات منذ زمن، مثلما حدث مع هاربر لي أو ستيج لارسون الذي توفي قبل إنهاء سلسلة ميلينيوم. تلك هي النقلة. هذه هي الأخيرة. لا مزيد بعدها. لا بد من قراءتها، بالإضافة إلى...». لوحت بيدها «الإصدارات الجديدة والأغلفة الجديدة، والدعاية حول عبقرية الكاتب

الذي...». تلعثمت وهي تقول هذه الكلمة: «رحل مبكرًا. إنها منجم ذهب. وفاة ماكتافش من أفضل الأشياء التي قد تحدث لوايت لويد».

- و...

- تمهل. هذا دوري.

قطعت قطعة من خبز الدامبر ووضعتها في فمي. كان طريًّا وغنيًّا بالزبدة، مثل كعكة السكون. قلت: «حسنًا».

- الأمر لا يتعلق بالعدالة. الأمر يتعلق بإثبات نفسك.

- هذا ليس سؤالًا.

- حقًّا؟ حسنًا، أنا محققة. لو أمكنني أن أنصحك بشيء... عليك أن تتوخى الحذر في طريقة رؤيتك لهذا الأمر بأكمله، لأنك الآن ترغب في أن تكون جريمة قتل. تريد ذلك بشدة، وقد تتجاهل الحقائق الواضحة لكي تتماشى الأمور مع ما تريده. وجزء من ذلك لأنك بحاجة إلى قصة، وهناك مئة ألف دولار على المحك...

رفعت يدي متسائلًا، وقلت: «كيف يعرف الجميع..»

- وجزء آخر هو أنك تريد أن تثبت نفسك لنا، ولفولفجانج ورويس، لأولئك الذين يعتقدون أنك كاتب تجاري أو مجرد محظوظ.

أمالت كأسها نحوي فملأته لها من الزجاجة الموضوعة في منتصف الطاولة.

- لكن السبب الأهم هو أنك بحاجة لأن تكون مفيدًا. لأنك لو لم تنجُ مما حدث لك العام الماضي لكي تساعد شخصًا آخر، فلماذا نجوت؟ هذا هو سبب كتابتك لكتابك الأول أصلًا. لتجد معنى لما حدث. إليك سؤالك إذن، هل أنا محققة؟

أجابها صمتي، أومأت بما يعني أن بإمكاني متابعة أسئلتي.

قلت: «إنها مجموعة متنوعة لهذا المهرجان. هل اخترتهم بعناية؟».

- احتجت إلى الموازنة بين الأسماء الكبيرة والمواهب الصاعدة، وأولئك الذين يجذبون الانتباه. يفيد فولفجانج في الحصول على التمويل إذ تحب لجان المنح القليل من الوجاهة. رغم أنني لم أعتقد أننا قد نحصل على هذا الكم من العناوين الإخبارية بطبيعة الحال. أعتقد أنني أحسنت الاختيار، أليس كذلك؟

هكذا كان تفسير دعوة فولفجانج. لم نزل أنا ورويس من الشوارد الخارجية، قلت: «أليس لهذا علاقة بحضورك أنت وليزا وماكتافش مهرجان إدنبرة للكتاب عام 2003؟».

استقام ظهرها عند سماع هذا. توقفت الكأس عند شفتيها، وترك نفسها ضبابًا على الزجاج. قالت أخيرًا: «أعتقد أنه سيكون من غير الاحترام أن تناقش مثل هذه الأمور في مثل هذا الوقت».

- لماذا دعوتني إذن؟

أجابت بقسوة، بدا واضحًا أنها ترد على سؤالي السابق بنوع من الانتقام: «لم أدعُك».

تجاهلت نبرتها الحادة، لكنني تساءلت: إن لم تكن هي من دعتني، فمن فعل؟ قلت: «من الواضح أنكِ أردتِ ماكتافش هنا. هناك شائعة تقول إنه سرق فكرة رواية الخروج عن المسار منك. هل يوجد أي حقيقة في ذلك؟».

انتفضت غضبًا، وقالت: «لست أوشك على منحك دافعًا للجريمة، لكن هذا مثير للاهتمام، أنت تعتقد فعلًا أنها جريمة قتل إذن؟».

- يعتقد رويس أنه تسمم.

زفرت ضاحكة على هذا.

- ماذا؟

استخدمت إبهامها وسبابتها على كلتا يديها وتظاهرت برسم الكلام بداخل صندوق في الهواء، كما لو كان عنوانًا على لافتة مسرحية: «رويس يعتقد، مفارقة اليوم».

- لقد عمل طبيبًا شرعيًّا.

- هل هذا ما قاله لك؟

- هذا مكتوب في سيرته الذاتية.

- تعلم أن هذا لا يعني شيئًا، صحيح؟ يمكنك أن تضع أي شيء هناك.

- لكنه عمل في مختبر بالتأكيد؟ لديه شهادة؟ لا يمكنك الكذب بشأن هذا.

- نعم، لكنه كان، يعني، خريجًا أو متدربًا أو شيء من هذا القبيل. يصور الأوراق، يحضر القهوة، مجرد تسويق. أدرك وايت أن ذلك يبدو جيدًا، فاستغلوا الأمر في كتابه الأول، والآن، بعد أحد عشر كتابًا، صدق رويس ذلك على ما يبدو.

كنت قد بنيت تحقيقاتي بالكامل على استنتاج رويس بأن الهيروين هو أداة القتل، لذا جعلتني كلماتها أشعر وكأن معدتي تهوي. تمكنت من القول: «في الواقع، كان مفيدًا إلى حد كبير».

قالت: «هل تريد تحليلًا لشخصية رويس؟ لن يكفينا الوقت. لن نتمكن من فك عقدته النفسية، حتى لو استمررنا طوال الرحلة المتبقية. بالطبع هو مهتم بالجريمة؛ إنها فرصته أخيرًا ليعيش صورة عن نفسه كانت في الغالب مجرد كذبة. أنا مختصة نفسية مسجلة، حافظت على مؤهلاتي. بالتأكيد قد حصل رويس على بعض التدريب في مكان ما،

لكنني سأفكر مرتين قبل أن أسمح له بتشخيصي. إن البحث مجرد شيء نظري. هل تعتقد أن ليزا تجيد سرقة السيارات مثلما تفعل شخصيتها في الروايات؟».

في عقلي، كنت ما زلت أحاول إنقاذ مصداقية أدلتي. حتى لو أن رويس قد بالغ في مؤهلاته، فلا يمكن إنكار أنه أجرى أبحاثًا لكتابة إحدى عشرة رواية (وثلاث روايات قصيرة، لكيلا أنسى)، لذا لا بد أنه يتمتع بحاسة جيدة للعثور على الحقائق.

ذكر أيضًا أنه بحث في موضوع الهيروين تحديدًا من أجل أحد كتبه. هل يمكنني الوثوق في ذلك؟ أم أنني أرى ما أريد رؤيته؟ في هذا الشأن، كانت ماجورز محقة بلا شك: كنت يائسًا لكي أكون مفيدًا.

فتحت فمي لطرح سؤال آخر، لكنها ضمت يدها أمامي بإشارة قاطعة وقالت بنبرة غنائية، وكأنها تتحدث مع أحد مرضاها الأكثر جنونًا: «حسنًا، هنا تنتهي جلستنا لليوم يا سيد كانينجهام. أعتقد أنه سيكون من الأفضل أن نتابع تمارين تطورك في وقت لاحق». أشارت بيدها نحو باب وهمي في مكتب وهمي. «سأدعك تحجز موعدًا مع موظفة الاستقبال وأنت خارج».

أُشعلت النيران في طبال فولاذية حول محيط الأكواخ، ومع ارتفاع صوت الفرقة الموسيقية، ارتفع الغبار من ساحة الرقص مع الأقدام المضطربة بحماس. كانت النجوم رائعة، نقاط ضوء ساطعة في السماء الأكثر صفاءً التي رأيتها على الإطلاق. لم تكن جولييت عند طاولتها، ورحت أبحث عنها بالقرب من أحواض الثلج عندما شعرت بيد ثقيلة تسقط على كتفي. التفت لأرى دوجلاس بارسونز محمر الخدين، يلهث، وكأنه كان يربت على كتفي، لكنه في الحقيقة كان يتكئ عليَّ للبقاء واقفًا.

صاح بنبرة متفاجئة، وكأنني صديق قديم لمحه بالصدفة في السوق، وليس شخصًا اقترب منه بنفسه: «إرنست!».

أومأت قائلًا: «دوجلاس». إذ شعرت أن مرحبًا تبدو رسمية قليلًا، كما أن مناداته باسمه تمنحه ثقة إضافية بدا في حاجة إليها في الوقت الحالي.

قال دوجلاس: «هل تستمتع بوقتك؟».

- قمنا بجولة في الطبيعة. كيف كان يومك في المدينة؟ هل فعلت شيئًا مميزًا؟

كان من السُّكر بما يكفي لأسأله: هل أطلقت النار على أحد؟ لكنني امتنعت.

نظر إلى النجوم وكأنما ينغمس في لحظة روحانية. قال أخيرًا: «تجربة غيرت حياتي».

- سعدتُ بذلك.

- وأنت من يجب أن أشكره على ذلك. هذا ما أردت قوله، شكرًا لك.

ترددت، إذ إنني عوقبت في هذه الرحلة بسبب قبولي اعتذارات لم أفهمها، لكنني استسلمت لنظراته المنتظِرة، قلت: «على الرحب».

قال وهو ينتزع زجاجة من الثلج وكأنه يسحب سيفًا من غمده: «أنا أعني ذلك يا إرنست». انزلقت بعض قطع الثلج وسقطت في التراب. مد لي زجاجة بيرة، فأخذتها، غير متأكد أي جريمة أصبحت مشاركًا فيها.

- أستطيع أن أرى أنك ظننت أنني كذبت عليك في المرة الماضية، عندما التقينا. عندما قلت إنني أسافر وحدي.

لوحت بيدي، وقلت: «دعك من الأمر، لم أفكر بذلك».

- بل فكرت. ولا بأس بذلك، أفهمك. أنا أسافر وحدي، فعليًّا، ولكن شخصًا آخر معي، روحيًّا.

سأعيد التأكيد على القاعدة هنا: لا مكان للأشباح في روايات الألغاز النزيهة، وأوشكت أن أعتبر دوجلاس مجرد رجل مخمور يهلوس، لكنه تابع حديثه.

قال: «كنت أعيش هنا. أربي الماشية في بلدي وأردت بعض التغيير، وبدت لي أستراليا أفضل مكان لاستغلال تلك المهارات. كنت أنا ونوح، صديقي، نشاهد هذا القطار وهو يمر عبر شرفة بيتنا، كان يحبه. كان يتابع جدول مواعيده وكل شيء عنه. منذ أن حولوه إلى قطار ركاب، رغبت في الذهاب فيه من أجله. حسنًا، ها نحن هنا، تحققت أحلامنا».

قلت: «لكنه ليس هنا معك، أليس كذلك؟» رغم معرفتي بالإجابة مسبقًا. كأسان من الشمبانيا، ونخب منفرد.

- لقد مات.

- آسف جدًّا.

ابتسم دوجلاس، وقال: «لا تأسف. هذا ما أحاول أن أشكرك عليه. لقد هربت عندما حدث ذلك. عبر المحيط. وبقيت هناك، محاولًا نسيان كل شيء. لكنني نثرت رماده اليوم، استطعت أن أودعه. بعد اثنين وثلاثين عامًا. بسبب ما فعلته أنت، أنا حر!» رفع رأسه إلى السماء وأطلق ما يشبه العواء. لاحظت قطرات من البيرة عالقة في لحيته مثل الندى على أوراق السرخس في الغابة. أو، كمثال أقل لطفًا، فك كلب مسعور. كان من الصعب معرفة ما إذا كان منتشيًا أو مخبولًا.

تذكرت محادثتي القصيرة مع دوجلاس، لقد سألني كيف يكون شعور قتل شخص ما. أراد أن يعرف ما إذا كان الانتقام مرًّا أم حلوًا.

حتى بالنظر إلى أحداث كتابي الأول، كانت تلك الأسئلة ثقيلة على نحو خاص.

مهلًا! ماذا قال للتو؟ بسبب *ما فعلته أنت*. أعلم أنني أعود إلى جملة قيلت قبل فقرتين، لكنها مهمة. بدأت القطع تتجمع. وترابطت ثلاثة أحداث بعضها ببعض.

أحضر دوجلاس مسدسًا معه إلى الرحلة.

مات هنري ماكتافش.

تخلص دوجلاس من المسدس.

لم يكن دوجلاس ليبذل كل هذا الجهد للحصول على مسدس ليستخدم الهيروين في الجريمة. السبب الوحيد للتخلص من المسدس هو إذا لم يعد بحاجة إليه بعد الآن. مما يعني منطقيًّا أن الرجل الذي جاء لقتله قد مات بالفعل. هل كان يتهمني بقتل ماكتافش؟ أيشكرني على أنني جنبته عناء ذلك؟

قلت: «آسف للسؤال، لكنك قلت إنك احتفظت برماد نوح لاثنين وثلاثين عامًا. كيف توفي صديقك؟».

لمعت عيناه، أقسم إنني رأيت ذلك بوضوح. قال: «أوه، إنك ماهر، لماذا لا تروي القصة؟ لتظهر المشهد في كتابك بصورة أفضل. كأنك تشرح ما حدث».

قبلت الدعوة. لقد علمت أن مأساة ما قد وقعت قبل اثنين وثلاثين عامًا. قلت: «أعتقد أن نوح كان معلمًا، أليس كذلك؟».

- ليس مجرد معلم، بل معلم جيد، عظيم، كان يعرف طلابه. المدارس هنا، مختلفة.

هنا لا يوجد تدريس من دون اهتمام، بل يعرف المعلم أطفاله. كان بإمكان نوح أن يلاحظ وجود خطب ما، لكنه مجرد حدس، والحدس لا يكفي، خاصة في التسعينيات وفي المناطق النائية، صدقني. لا أريد أن أخوض في تفاصيل ما كان يفعله ذلك الرجل، لكن بعض الناس وحوش. رغم ذلك، فقد لاحظ نوح فتاة في فصله، عادة ما تكون مشرقة وسعيدة، أصبحت هادئة فجأة. تمكن من إقناعها بأن تخبره بما يحدث، وقد عزم على مساعدتها بإخبار الشرطة. لا أعرف كيف علم الرجل بأنه على وشك أن يُكشف، لكنه عرف. لذا كان عليه أن يجد طريقة لإسكاتهم. كل من يعرفون حقيقته.

معلم، وطفلة تعرضت للإساءة. وشخص مسيء يوشك أن يُفضح أمره. أربعة أطفال ومعلم قتلوا في حادث قطار.

قلت: «سائق الحافلة، كان سائق الحافلة. كان يتحرش بالأطفال».

تذكرت ما قاله آرون: «كان من الصعب سؤال السائق، إذ كان مساويًا بالأرض». تمامًا مثل حبكة كتاب معين.

أومأ دوجلاس برزانة، قال: «أوقف حافلة المدرسة تلك على القضبان مباشرة. أغلق الأبواب. رماد نوح مجرد رمزية وليس حقيقة. لذا دعني أسألك الآتي: هل تعتقد أنك تستطيع التعرف على جثة في وسط تلك الفوضى؟».

تخيلت مرة أخرى تلك الأيادي الصغيرة المضغوطة على الزجاج، وسحابة الغبار المتصاعدة. ولكن هذه المرة، رأيت ظلًّا وحيدًا يركض بعيدًا عن القضبان، ويداه تنزلقان على باب مغلق، بينما ضم دوجلاس يديه معًا محدثًا صوتًا عاليًا.

الفصل الثامن عشر

بالمناسبة، اسم سائق الحافلة ليس أرشيبالد بنش. كان ذلك أول شيء بحثت عنه في جوجل، بالطبع.

منحتني أليس سبرينجز هدية وجود استقبال للإنترنت، وكان اصطدام قطار شحن بحافلة مدرسية حادثة تستحق الظهور بسرعة في البحث. وجدت قائمة بأسماء الضحايا: أربعة أطفال ومعلم، نوح ويتروك، والسائق، تروي فيرث. لم يُشِر المقال إلى أي اتهامات موجهة لتروي، أو أن أحدًا كان مسؤولًا مباشرةً عن الحادث: كان مجرد حادث مأساوي ولا شيء أكثر. لكن القصة بحد ذاتها، عند مزجها مع رواية دوجلاس للأحداث، كانت تتطابق بشكل مذهل مع حبكة الخروج عن المسار، الكتاب الذي اتهمت ماجورز ماكتافش بسرقته منها. باستبدال الآباء بسائق الحافلة، والسيارة بالحافلة، كانت الطريقة نفسها تقريبًا لارتكاب الجريمة. والطريقة نفسها للإفلات منها.

تركني دوجلاس ليعود إلى حلبة الرقص. مررت بين الطاولات، وعندما تجاوزت وايت، أمسكني من ساقي.

قال وهو يسحبني من بنطالي: «أهلًا، أخذت شال سيمون في ذلك اليوم. أعتقد أن زوجتك نسيته. هلا أخبرت سيمون أنه معي؟».

من شأن ذلك أن يُطمئن جولييت. تحدثنا كلمتين وشكرته. انحنى وصفعني على ظهري، ولكن لأنه جالس، كانت الضربة أقرب لوخزة في الكلى. بدا في أوج مرحه بالنسبة إلى شخص فقد كاتبه، وأفترض صديقه، للتو. لكنني ذكَّرت نفسي بأنه سيجني الكثير من المال من وراء وفاته. بدا عليه الانزعاج بسبب مخطوطة ماكتافش الليلة الماضية عندما سمعته في الممر، لأنها لم تكن رواية لموربند، ويبدو أن الشهرة بعد الوفاة عوضت قيمة المحتوى الأدنى من المتوقع.

ضحك وايت، وقال: «سأعيده إليها عندما أراها، سيخفف عنها همًّا واحدًا على الأقل. هي لا تحب أن تفقد شيئًا أبدًا».

قلت: «أعتقد أن حتى سيمون تفهم أن وفاة أحدهم لا تعني أنها فقدت عميلًا».

أشار وايت إلى أحد الطبال المشتعلة حيث أمكنني أن أرى سيمون جالسة مع فولفجانج، وقال: «سأدفع المال لأراك تخبرها بذلك. لم تخرج خالية الوفاض على أي حال. أعطيتها جائزة ترضية. ليس الأمر وكأنها ستستخدمها للتوقيع مع أي أحد». راح يضحك على نكتته، رغم أنني لم أكن متأكدًا مما يقصده.

تابع: «كما أنها لم تخسر هنري لأنه مات، كلا، الأمر أكثر إهانة من ذلك. لقد قدمت عرضها، وتخلت عنك بالمناسبة، لكنه رفض. ثم مات. هذا هو القدر». رسم علامة الصليب بارتباك لدرجة أن المسيح نفسه قد يحتاج إلى معالج يدوي للتصحيح. ثم صاح مجددًا، لكن هذه المرة إلى شخص خلفي: «جاسبر! شمبانيا؟ لدينا الكثير لنحتفل به». رفع كأسه وسكب نصفه.

كان جاسبر في طريقه إلى هارييت على حلبة الرقص. لكن نداء وايت جذبه نحونا، وبدت عليه علامات الامتعاض عندما دُفعت كأس إلى يده. بدا وايت عازمًا على الاحتفال بنجاحاته مع أي شخص يمر بجانبه. ضحيت بجاسبر لأبقي وايت مشغولًا كما لو أتحاشى لغمًا أرضيًّا أو كأنني في مهمة تبديل صنم ذهبي مثل إنديانا جونز، وتسللت مبتعدًا، متجهًا نحو سيمون وفولفجانج.

حياني فولفجانج بابتسامة باردة كإشارة لمعرفته بوجودي، ولم أستطع التأكد إذا انزعج لوجودي أم أنه اضطر إلى معرفتي. حمل كلاهما سيخًا معدنيًّا طويلًا يشويان بهما حلوى المارشملو من وعاء قريب. اكتفى فولفجانج بتحميصها بشكل خفيف، أما سيمون فتركتها تحترق وتتحول إلى كرة نارية بينما تتساقط قطرات السكر المحترق على الجمر.

قلت: «يبدو الجميع في مزاج جيد على نحو مدهش بالنظر إلى أحداث اليوم».

التهم فولفجانج طبقة المارشملو المحترقة بأسنانه وقال: «نقصنا كاتب متواضع، من الذي يشتكي؟».

ضحكت سيمون بشدة. أجل، تلك عبارة ظريفة، أعلم هذا.

قلت: «هذا قاسٍ بعض الشيء. أراهن أنك لم تقرأ له حتى».

فوجئت عندما قال فولفجانج: «بالفعل قرأت له كتابه الأول. هراء بالطبع. قواعده النحوية مرعبة. يستخدم الفواصل كأنها ضفادع القصب، تتكاثر في كل الصفحات، يعشق استخدام الفواصل حقًّا».

لم أرغب في الدخول في نقاش عن الكتابة الرديئة مع فولفجانج، لأنني كنت واثقًا من أن الأمر سينتهي بإهانتي، لذا غيرت الموضوع، قلت: «كيف تسير أعمالك الفنية؟».

- أعمالي الفنية؟

- أجل، لوحتك، أو أيًّا كانت. موت الأدب.

ضحك فولفجانج ضحكة جافة، وقال: «تسير على ما يرام، شكرًا لك. لكنها ليست لوحة، بل تجربة».

قلت: «هذا يستحق أن تبقى على قيد الحياة حتى نصل إلى أديلايد على الأقل».

جعد فولفجانج شفتيه في تكشيرة، عكست النار ظلًّا على أنفه وحتى أسفل ذقنه أشبه بقطع طويل وقال: «إذا استطعت أن تصل إلى هناك. يمكن لهذه الرحلة أن تكون خطرة عليك. لو كنت مكانك، لقلقت».

هل كان ذلك تهديدًا؟ هل كان يعرف أنني أتجسس وألعب دور المحقق؟ قلت متلعثمًا: «أنا؟».

انفرجت شفتاه بابتسامة، لكنها من النوع الذي يصاحب مقلبًا خبيثًا وليس مزحة حقيقية، قال: «يوجد شخص يستهدف الكتاب السيئين، لو كنت مكانك لأقفلت الباب».

لكمته سيمون على كتفه مازحة، وهي ما بدت لي حركة أقل عنفًا بالنسبة إلى عمولتها التي تبلغ خمسة عشر بالمئة. التقت نظراتها بتعبيري المتجهم، وقالت: «ابتهج يا إرن».

- إنها ليست طريقة لطيفة ليُذكر المرء بها، هذا كل ما في الأمر.

قال فولفجانج متهكمًا: «أليس كذلك؟ هل تظن أننا نحيي ذكرى موتانا بالإعجاب؟ دعني أعطيك درسًا في التاريخ. في نعي إدجار آلان بو في صحيفة واشنطن بوست، قالوا إن إعلان وفاته سيدهش الكثيرين لكنه لن يُحزن أحدًا. وقد كان عبقريًّا بحق. كل كُتَّاب الجريمة مدينون له بمسيرتهم، إنكم تتحدثون عن كريستي وكونان دويل وتنسون بو».

فاجئني إلمام فولفجانج بنوع أدبي يفترض أنه يحتقره، تمامًا كما فاجئني بقراءته لماكتافش. في الحقيقة، جعلني ذلك أقدره قليلًا؛ على الأقل يبذل جهدًا في الإلمام بالأمور التي يرغب في نقدها.

تابع قائلًا: «ويفترض بي الآن أن أحزن على كاتب اسكتلندي عادي فقط لأنه باع بعض الكتب؟ من فضلك. إنني أحترمه بما يكفي لأعامله بالازدراء الذي يستحقه فنان عظيم. كيف نقيس قيمة الرجل؟ قد يكون بغيضًا وكريهًا، لكن إذا كانت كلماته ذات قيمة، فستحيا من بعده».

قلت: «أرى أنك عازم على أن تحيا وفقًا لهذا المبدأ».

تبدلت ملامح فولفجانج لتشبه حلوى مارشملو سيمون المحترقة، راحت تذوب وتتدلى، ثم رفع كأسه نحو سيمون متجاهلًا وجودي، واختفى في الظلام.

قالت سيمون بينما تنكز الجمر: «إنك بمزاج سيئ». توهجت نهاية سيخها الفضية المغطاة ببقايا السكر المحترق بلون برتقالي.

سألتها: «ألا تظنين أن أمرًا مريبًا هنا؟ يبدو الجميع سعداء بموت ماكتافش».

ردت بعينين تعكسان لهيب النار: «فقط لأن الجميع سعداء بوفاته لا يعني أن أحدهم قتله». ثم توهجت عيناها بذاتهما، وتجعدت شفتاها بابتسامة. «لديك سبب لتكون سعيدًا أيضًا! لقد حصلت على كتابك! لا بد أن ذلك يبعث على الارتياح».

- بالحديث عن الكتاب، كيف للجميع أن يعرف عن الدفعة المقدمة للكتاب؟

حافظت سيمون على وجهها الخالي من التعبيرات، اكتفت بهز كتفيها، وقالت: «تعرف الثرثرة».

علمت بفضل خبرتي أن التجهم يُقابل بلسعات سامة من سيمون، لذا قررت تركه جانبًا والاستفادة من مزاجها الجيد. بما أنها كانت مسرورة من أنني وجدت ما أكتب عنه أخيرًا، فكرت في أنها سترحب بمساعدتي في بعض التفاصيل. قلت: «لنفترض أن هذا ما سأكتب عنه فعلًا. مديني ببعض التفاصيل. كنت تعملين مع ماكتافش، صحيح؟ كيف حصل ذلك؟».

- عملت في بعثة تبادلية إلى المملكة المتحدة ضمن قسم التحرير في جيميناي. كان ذلك في الوقت الذي تكافح فيه الدار قليلًا، قبل أن تملأ سلسلة موربند خزائنها، لكنني قفزت نحو الفرصة من أجل بعض التغيير. ثم جندني هنري لأصبح مساعدته بدوام كامل بعد أن لاقى أول كتاب في سلسلة موربند نجاحًا.

قلت: «هل كانت وظيفة جيدة؟».

أجابت: «أفضل العمل مع وايت. كان الراتب جيدًا، وساعات العمل مناسبة. أود أن أقول إن التحرش كان أقل، ولكن في الحقيقة لا فرق كبير بين الاثنين». تنهدت. «رباه، كان ذلك في أوائل الألفينات».

- آسف لسماع أن الأمور كانت سيئة لهذا الدرجة آنذاك.

قالت ساخرة: «آنذاك؟ ما زالت الأمور نفسها تحدث الآن. بعض أولئك الأشخاص السيئين قد «أُلغوا»، يعتذرون، ويختفون لفترة، ثم يعودون بمبيعات أكثر من أي وقت مضى، يظهرون على شاشات التليفزيون ويملؤون المدرجات. المشكلة أعمق من ذلك، وكل من يتوهم أننا حللناها لأن أحدًا لم يعد يصفع مؤخرتي في العمل، فهو يتجاهل المشكلات المتأصلة في أساسها».

قلت: «يبدو أنك على علاقة جيدة بوايت، وكنت تنوين توقيع عقد مع ماكتافش».

أخرجت رأس السيخ المتوهج من الجمر ورفعته في الهواء، وقالت: «إنه رجل شجاع من يتهم امرأة تنادي بحقوق المرأة بازدواجية المعايير يا إرنست».

- لم أقصد...

- أعرف أنك لم تقصد. لكنك لا تملك حق قول أشياء كهذه لأنك لا تضطر إلى اتخاذ تلك القرارت. مثلما سبق أن قلت، مثل أولئك الرجال لا يتوقفون. عليَّ أن ألعب اللعبة مثل أي شخص آخر. أعتقد أنه يجب أن آخذ بعضًا من أموالهم بينما تتسنى لي الفرصة. تلك هي النسوية إذا فكرت في الأمر.

اندهشت وأنا أرى هذا الجانب من سيمون، لمحة عن هشاشتها. كبرياؤها الصلبة وثقتها جعلتها تبدو دائمًا وكأنها فوق كل شيء، لكنني رأيت الآن كيف تمكر وأي التضحيات تقدم على حساب ذاتها الحقيقية؛ اضطرت أن تبدو صلبة كالصخر لتواجه أمثال ماكتافش ووايت.

فكرت في ماكتافش. ما الذي اقترفه حتى يستحق أن يواجه هذا المصير؟ تذكرت سؤال بروك في الندوة والملاحظة التي في غرفة ماكتافش. ماذا لو كان أرشيبالد بنش اتهامًا علنيًّا، وليس محاولة إثارة إعجاب؟ سألتها: «هل كان لدى هنري أي علاقات، لنقُل، كراهية؟».

- ماذا تقصد بذلك؟

- جماعات كراهية؟ هذا النوع من الأشياء.

- ليس على حد علمي، لماذا؟

- لقد وجدت كلمة رايخ في بعض الأوراق.

ضحكت سيمون، وقالت: «أحب أنك تحاول حل الألغاز والرموز، لأن هذا ما يبيع الكتب. الكثير منها. تستحق خمس نجوم على مجهودك». ثم

غمزت، كما لو تحاول أن تخبرني شيئًا، لكنني لم أكن متأكدًا مما تعنيه. «لكن، لا، لو كان هنري نازيًّا، فقد أخفى الأمر جيدًا. لا أظن أنه تورط في شيء مثل هذا. النساء الشابات الجميلات كن نقطة ضعفه. وهو ليس الوحيد في ذلك».

أومأت، وقلت: «أخبرتني ماجورز أن ماكتافش كان على علاقة بليزا فولتون».

قالت سيمون: «هل كانت تعرف؟» راحت تنظر حولها بحثًا عن ماجورز، التي كانت تصرخ في دوجلاس بارسونز دونًا عن الجميع في ظل أحد البيوت. بدا دوجلاس مرتبكًا ودلَّت لغة جسده على أنه في وضعية دفاع، ويداه ممدودتان في إشارة إلى «ليس لدي فكرة عما تتحدثين عنه». تساءلت إن كانا يعرفان بعضهما. أضافت: «يبدو أنها تكنُّ ضغينة إلى ليزا منذ إدنبرة».

- لأنها لم تدعم مزاعمها حول السرقة الأدبية؟

رأيت سيمون منبهرة لأول مرة، قالت: «حسنًا، حسنًا، حسنًا، يبدو أن ثمة كتابًا في جعبتك حقًّا. أجل، لقد أصبت في ذلك، تصر ماجورز على أن ليزا كان يجب أن تدافع عنها، وتؤكد أن ليزا امتنعت عن ذلك لأنها كانت مع هنري تلك الليلة».

- إذن تتغازل هي وهنري ثم لا تكتب أي كتاب لمدة عشرين عامًا تقريبًا؟ صحيح؟

قالت: «لا أعرف بشأن الكتابة». أخفضت سيمون صوتها. «الأمر سري جدًّا هذه الأيام، لكن إحدى مهامي كمساعدة لهنري كانت معرفتي بجميع حساباته، كلمة السر نفسها لكل شيء، الأمر نفسه للشفرات والألغاز بالمناسبة، كنت مسؤولة عن بريده الإلكتروني وموقعه. رأيت ما كان يرسله. أشياء بذيئة جدًّا. بما في ذلك إلى ليزا، بعد تلك الليلة».

- هل ما زال بإمكانك الدخول إليها؟

قالت: «بالطبع لا، كيف سأتذكر كلمات المرور؟ لكنني أتذكر ما قاله. لقد وصفها، لو أمكنني التذكر، بأنها «قنبلة في السرير». جفلت بعد نطقها تلك الكلمات. «أعجب من نفسي كيف تحملت العمل في ذلك المكان كل تلك الفترة كلما فكرت في الأمر».

- لماذا تركت العمل إذن؟

- لم أمكث سوى سنة ونصف. تراجعت المبيعات بعد كتابه الثاني «غارق في المتاعب» لم يكن كتابًا جيدًا، فالكتاب الثاني دائمًا ما يشكل تحديًا، ثم تعرض لحادثه. جعلته المسكنات شاردًا حتى في أفضل الأوقات، واستطعت أنْ أرى أن الكتاب الثالث كان يخرج منه كخروج حصوة كلوية. شعرت بأنني يجب أن أغادر قبل أن يدرك هنري أنه لم يعد يستطيع تحمُّل تكلفة مساعد شخصي. بالإضافة، كما تعلم، رأيت أن كل الأمور تدور حول ماجورز. فضلت العمل من أجل الأدب الحقيقي. جمعت بعض المدخرات وعُدت إلى ملبورن لأفتح وكالتي. كان ذلك خطأً كبيرًا بالطبع، خاصةً بالنظر إلى مدى شعبية رواية الخروج عن المسار، بالنظر إلى أنه قد وافق على عقد يضم العديد من المكافآت لإغرائي بالعمل معه بدلًا من جيميناي. لكن، كما تعلم –قرصت وجنتي بخفة– أعمل معك الآن، أليس كذلك؟

- لكنك ما زلت تشعرين بأنه مدين لك، ولهذا أردت أن يكون عميلًا لديك؟

ضحكت سيمون، وقالت: «يبدو أنك تفرط في تحليل الأمور. لا، ليس بالضبط. أخبرتك الأسباب التي جعلتني أرغب في توقيع عقد مع هنري،

إنه يساوي الكثير من المال، وأردت حصة من ذلك. لكن، أجل، ربما في لا وعيي شعرت أنه مدين لي بشيء بعد تحملي العمل معه لسنة ونصف».

- وكانت فرصتك أن وايت لم يُسر بكتاب ماكتافش الثاني؟ أراد أحدهما إنهاء السلسلة وأراد الآخر استمرارها. كان ذلك هو سبب التوتر بينهما. من دون وكيل، أفترضُ أن وايت يتحكم في أمور مثل حقوق الأفلام والتسويق، والأمور الأخرى التي لا يتدخل فيها الناشر عادة. هذا يعني أموالًا طائلة. كانت قيمة ماكتافش تفوق مبيعات الكتب فقط بالنسبة إلى وايت.

أكدت قائلة: «جيد جدًّا. يبدو أنك تعمل بجد».

- كيف شعرت عندما رفض هنري عرضك؟

ظننت أنها توشك أن تطعنني بنظرة حادة، لكنها اخترقت حبة مارشملو أخرى بسيخها، قالت: «من أين سمعت ذلك؟».

- تعرفين الثرثرة.

ضمَّت وجنتيها إلى الداخل، وقالت: «إذن، سأكون موجودة في الكتاب؟».

- في أي كتاب؟

- الكتاب.

- أعتقد هذا.

- ستجعلني من ضمن المشتبه فيهم؟

- هذا يتوقف على شعورك تجاه رفض هنري.

ضحكت بسخرية وقالت: «يا إلهي. هذا مبرر واهٍ. بالإضافة إلى أنه لا يمكنك أن تستنكر سلوك الجميع هنا وتتجاهل سلوكك أنت. وكأنك لست ممتنًّا ولو قليلًا. ضمنت إلهامك للكتاب الثاني. لقد وقعت الفرصة في حجرك تمامًا. إن هذه الجرائم هي بالضبط ما تحتاج إليه. إنك محظوظ جدًّا، هاه؟ (مالت نحوي قليلًا) العفو.

كررت: «العفو؟» بدا لي قولها غريبًا.

أضافت ببطء وكأنها تتوقع شكرًا أكبر، وهي تمدد الكلمات كأنها قطعة من العلكة: «لإجبارك على الخروج من منطقة راحتك. العفو».

- لم تجيبي عن سؤالي.

دوى هتاف عال من طاولة نادي الكتاب، فالتفتت سيمون ناحيتهم. حدقت إليهم لفترة ثم التفتت إلي مجددًا. قالت: «إليك الحقيقة. يفكر أمثال هنري و-اللعنة- آلان رويس، أنهما الوحيدان. حقيقة الأمر هي أن ثمة الكثير من الناس الآن أكثر جوعًا منهما، يتحينون الفرصة. إذن، ماذا لو لم أحصل على توقيع هنري؟ سيأتي هنري آخر. سيأتي شخص مثلك. وبرغم ما يظنه فولفجانج، سيأتي فولفجانج آخر. ولديه كل جوائز الدنيا، ولكني رأيت كشوفات عائداته». رفعت إصبعيها الإبهام والسبابة لتشكل فراغًا صغيرًا بينهما، فيما معناه بيني وبينك. «أما الآن، فإن الشيء الذي قد أقتل لأجله..». أشارت إلى نادي الكتاب. «هو واحد من كتب إريكا ماثيسون. أعلم أن الكتاب يبدو من نوع الاسم الأول والاسم الأخير، لكن الأرقام..». صفرت بإعجاب. «لا بد أن وايت سعيد بذلك».

سألتها بارتباك: «اسم أول واسم أخير؟».

قالت: «تعرف هذا، عندما تضع اسم الشخصية الكامل في العنوان؟ ثم تضيف رقمًا إليه من باب الأناقة. هذه هي الموضة الآن. مثل: إحدى عشر نشوة لديبورا وينستوك، خمس حيوات لإيرين أوليري، أربعة أبناء عمومة لباربارا التي لا تكترث. الكتب من هذا النوع موجودة في كل مكان. ربما عليك التفكير في هذا بغض النظر عما سيؤول إليه».

قلت: «سأفكر في الأمر». ورأيت جولييت أخيرًا. بالقرب من مكان ركوب الجمال، تتحدث مع هارييت. «لقد رأيت جولييت. أرجو المعذرة. بالمناسبة، شالك الأزرق مع وايت، وسيعيده إليك. أشكرك على الحديث».

لكن قبل ألتفت، أمسكت سيمون بذراعي، وربتت عليه برفق وببعض الحزم، وقالت: «أنت على الطريق الصحيح يا إرنست، وتسرني رؤية عودتك للتفكير والكتابة. أنا فخورة بك، حقًّا، وأريدك أن تكتب هذا الكتاب. لكن فقط، كما تعلم، اتركني خارج هذا الأمر، ممكن؟».

بدا الأمر أشبه بطلب أكثر من كونه رجاء. أومأتُ، ليس من باب الموافقة بقدر ما هو الالتزام، لكنها بدت راضية.

قالت: «هكذا، أحسنت. وإذا قدر لهذا الكتاب أن يرى النور، فعليك أن تضفي إليه بعض التشويق. لا يشترط أن يكون كل شيء حقيقيًّا. أضف بعض الرومانسية. لدي قائمتك التي أعطيتني إياها عن بناء الرواية. يبدو أن الرحلة تسير وفقها بشكل جيد حتى الآن. إعداد المشتبه فيهم كلهم ودوافعهم أمر رائع، لكنك ربما تحتاج إلى بعض الحركة». تفاجأت من احتفاظها بملاحظتي العشوائية، بل واهتمت بها بجدية. لمعت عيناها بالحماس، وأضافت: «إن ما تحتاج إليه يا صديقي هو جريمة قتل ثانية».

لم تكن مخطئة. نحن على وشك الوصول إلى حاجز الستين ألف كلمة، مما يعني أنني في حاجة إلى جثة أخرى. ورغم أن العالم الحقيقي لا يتبع مخططاتي الروائية، فالأمور حتى الآن كانت تسير بشكل غريب وفق ما أتمناه، فربما كان حظًّا كونيًّا.

أخذت أقلب كلمات سيمون في ذهني بينما ألوح لجولييت. لم ينفك الصندوق الذي في جيبي يحتك بساقي. لم أستطع استحضار جثة أخرى، بل في الحقيقة، كنت أفضل منع حدوثها. لكن الرومانسية أمر يمكنني فعله.

أدهشتني سيمون بمدى صراحتها، شعرت أنني عرفت الكثير عن ماكتافش، لكن ما لم أعرفه حتى وقت لاحق هو أنها كذبت علي، مرتين.

كذبتان لسيمون موريسون، يمكنك القول.

الفصل التاسع عشر

الرومانسية أمر يمكنني فعله.

رحت أرددها في رأسي كالتعويذة بينما أسير نحو جولييت، حتى أدركت أنني كنت متحمسًا للغاية لدرجة أنني كنت أسير بخطوات عسكرية. حاولت أن أمشي بخطوات أكثر عفوية، ولكن انتهى بي الأمر مترنحًا وكأنني متسلخ.

ضحكت جولييت: «هل أفرطت في الشرب؟».

قالت هارييت بنبرة تدل على معرفتها بأننا تشاجرنا مؤخرًا: «أرى زوجي هناك، من الأفضل أن ألحق به قبل أن يسلك الطريق نفسه». كان انسحابًا لبقًا وسريعًا.

تركتنا وحدنا أنا وجولييت، التي التزمت بقواعد اللبس بعناية، وبدت جميلة في فستان برتقالي بطول الركبة، مفرود ومكوي بعناية.

كنا تحت أكثر سماء صافية تضيئها النجوم رأيتها في حياتي، في منتصف واحدة من أروع رحلات القطارات، في قلب صحراء أشبه بمعجزة طبيعية. حرى بالمشهد أن يكون مثاليًّا، إلا أن بقايا خلافنا كانت حاضرة، أكثر بريقًا من النجوم. رغم أننا قضينا اليوم في الوادي،

لم أتمكن بعد من قول كلمة آسف. تمنيت لو معي بعض القطع من المارشملو لأبقي يدي مشغولتين.

قلت: «مرحبًا».

- مرحبًا.

هذا عادل. أرادتني أن أستحق عفوها.

أومأت باتجاه هارييت، وقلت: «عمَّ تحدثتما؟».

- الرجال.

- أوه، هل قلتم أشياء جيدة؟

كما يعلم أي رجل يعيش مع حبيبته، أحيانًا ما تجيب أسئلتك عن نفسها.

قلت: «آسف لو أنني تماديت قليلًا».

أخذتْ نفسًا عميقًا، وقالتْ: «لو؟».

حاولت مرة أخرى: «آسف لأنني تماديت قليلًا».

ابتسمت وأمسكت بيدي، وأمالت رأسها إلى الخلف، ثم قالت: «جيد هكذا».

تبعت خطواتها وتوقفنا لبعض الوقت إلى جانب بعضنا، ننظر إلى ظلام الليل. قالت: «لم أقصد أن أكون سلبية إلى هذا الحد. أنا سعيدة لأنك متحمس. وسعيدة لأنك حصلت على فكرة كتاب جديد. لكنني أيضًا أريدك أن تكون هنا معي. إذا قضيت وقتك في البحث عن دلائل، ستفوتك النجوم».

- ماذا لو كانت النجوم هي الدلائل؟

- معك حق، القوس هو الجاني.

لم أكن أعلم أي مجموعة من النجوم تمثل برج القوس، لكنني بحثت للحظة على أي حال. قلت: «أنا أحبك، هل تعلمين ذلك؟».

- أعلم. وأنا أيضًا أحبك.

رحت أتحسس العلبة في جيبي بيدي، أداعبها عبر القماش. قلت: «أفكر أننا يمكن أن نقضي وقتًا أطول معًا».

ظنت أنني ما زلت أعتذر عن انشغالي بالتحقيقات، قالت: «هذه بداية لطيفة».

- أقصد كل يوم.

- إننا عالقان معًا في قطار. أظننا سنقضي الكثير من الوقت معًا.

- حسنًا، لم نر بعضنا كثيرًا في نصف الرحلة الأول.

- ومن يتحمل مسؤولية ذلك؟

- لم أقصد... اسمعي، أحاول أن أقول شيئًا آخر. سأفعل أي شيء من أجلك.

- وأنا أيضًا سأفعل أي شيء من أجلك يا إرنست، هل أنت بخير؟

- أنت نقطتي.

أنزلت عينيها عن السماء ونظرت إلي بتساؤل ودهشة: «ما الذي تتحدث عنه بحق السماء؟».

نزلت على إحدى ركبتي، لا أعلم إن كان ذلك لأنني لم أعرف ماذا أفعل غير ذلك، أم لأن الأمور كانت تسير بشكل سيئ لدرجة أن توازني اختل.

قالت: «يا إلهي».

قلت: «أعلم أننا لم نستغل هذه الرحلة كما ينبغي. كنت مشتتًا، ولم نقض وقتًا كافيًا مع بعضنا. لم أتمكن من مرافقتك في رحلة الوادي، ثم بقيت مستيقظًا بينما نمتِ مبكرًا..». توقفت للحظة إثر خاطر جاءني.

قالت جولييت: «مقدمة طويلة بالنسبة إلى رجل لا يحب المقدمات».

- هل ذهبت للنوم مباشرة ليلة البارحة؟

فتحت فمها لثوانٍ من دون أن تقول كلمة، ثم قالت: «هل هذا ما نزلت على ركبتك لتسألني عنه؟ هل... تستجوبني؟».

- كلا. إنه سؤال عفوي فقط، عندما قلتِ إنك ستفعلين أي شيء من أجلي...

قالت: «يا إلهي!» كانت هذه مختلفة تمامًا عن «يا إلهي» الأولى.

- لا، آسف، أردت أن أسألك...

- لا يهمني ما تريد أن تسأل عنه، يهمني ما سألته بالفعل. هل تتحقق من صحة حجتي؟

- الأمر فقط خطر ببالي.

قالت: «حقًّا». لم يكن هذا سؤالًا.

لاحظ الناس عند طاولات الطعام أنني جالس على ركبة واحدة. استطعت أن أرى أنهم بدأوا يستديرون ويشاهدون وهم بعيدون بما يكفي لعدم سماع كلماتنا، بدا لهم أن الأمور تسير على ما يرام، فاجتمعوا في مجموعات متحمسة. حمل الهواء همساتهم كأنها أمواج ترتطم بالشاطئ.

حسنًا، انظر، لست فخورًا بما سيحدث الآن. لكنني قد وعدتك بالحقيقة، بكل ما فيها من حماقة، لذا قاومت الرغبة في أن أعدل من مظهري لأبدو أكثر، لنقُل، أكثر أناقة.

قالت جولييت: «أنا لست مشتبهًا فيه فعلًا؟».

- أعني، الجميع مشتبه فيه.

- وأنت؟

- حسنًا... لا.

- لم لا؟

- لأنني الراوي.

همّت برفع يديها في الهواء، لكنها أدركت أيضًا أن الجميع كانوا يراقبوننا، فأبقتهما بجانبها بتوتر مكبوت، وارتسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة. تحدثت من خلف أسنانها: «هذا كلام فارغ وأنت تعلم ذلك. مجرد أنك تكتب ما يحدث لا يمنحك حصانة خاصة. هذه الحياة الواقعية، لا تتبع قواعد رواية بوليسية. إنك تتجول وكأنك لا تُقهر، وهذا سيقودك للهلاك. رويس يكتب ما يحدث أيضًا، عبقري، وأراهن أنه ليس الشرير في كتابه».

- أنا فقط أطرح الأسئلة. هذه القضية مهمة.

هزت رأسها، وقالت: «قضية؟ قضية؟! أنت لست محققًا يا إرن. علمت أنني لم يكن ينبغي لي أن آتي».

انهمرت الدموع على خديها، ومسحتها بسرعة بظهر يدها. أزعجني أن أحد المتفرجين المتحمسين اعتقد أنها سعيدة. انطلق فلاش إحدى الكاميرات.

سألت، مذهولًا بمدى الألم الذي سببه لي ذلك: «ألم تريدي المجيء؟».

- لا أعرف كيف أشرح لك. لقد أصابتك حالة من الكآبة منذ جرائم القتل. أتفهم ذلك، أجل. واعتقدت أن هذا الكتاب الذي كتبته سيعرِّفك، سيمنحك نوعًا من المعنى لما حدث. لقد عرَّفتَ نفسك من خلاله بدرجة كبيرة. ظننت أن القدوم إلى هنا سيعيد لك شيئًا من الثقة. وأنت لا تأخذ ولو حتى خمس ثوان من يومك لتقدر ذلك.

- أقدر ماذا؟

- أنت لم تُدعَ إلى هذا المهرجان يا إرن. أنا من دُعيت.

كما لو أن النجوم قد انطفأت. بدأت رؤيتي تتشوش حتى أظلمت. مرت محادثتي مع ماجورز في عقلي، كيف نظرت لي عندما شكرتها على الدعوة: *أنا لم أدعُك*. قلت: «لكن ماجورز...».

- دعتني أنا. نوع من المقايضة مقابل الدعم الذي أرادته. قلت لا، واقترحتك أنت بدلًا مني. ظننت أنك بحاجة لذلك ليجعلك تشعر بالتقدير. وبدلًا من ذلك، وجدت نفسي مجرد دور ثانوي في عرض إرنست كانينجهام، وكأنني شخصية هامشية في قصتي الخاصة. لا تنفك تقول إنني أنتظر مغامرتي القادمة، لكن متى أخبرتك ذلك؟ ربما أرغب في فتح منتجع جديد، ربما أرغب في كتابة كتاب آخر. لكنك لا تسألني أبدًا، لأننا نتحدث عنك دائمًا. أعلم أن ما مررت به حطمك، وأعلم أن التعامل معه كان صعبًا. لكن منزلي احترق العام الماضي، وفقدت مصدر رزقي. مع ذلك، أهديتك هذه الدعوة. أنا لا أجلس مكتوفة الأيدي «أنتظر مغامرتي القادمة»، أنا أنتظرك أنت. لكنني الآن أدركت أن هذا ربما كل ما أكونه بالنسبة إليك. مجرد جزء من قصتك. (أخذت نفسًا) وهذا يخيفني.

قلت ببساطة: «أنا آسف». إذ لم أجد ما أقوله سوى هذا. لم أدع إلى الرحلة حتى. لقد قامت بهذه اللفتة الكبيرة في صمت من أجلي، وها أنا أعاملها بهذه الطريقة؟ اشتعل الخجل في داخلي. شعرت بخشونة الأرض تحت ركبتي. تزايدت همسات الحشد، معتقدين أن هذا أطول عرض زواج شاهدوه على الإطلاق. فعرض الزواج عكس العلاقة الحميمة من حيث المدة، كلما كان أسرع كان أفضل.

قالت جولييت: «تأخر أسفك. لقد ظننت أنني الفاعلة».

- لم أظن...

شهقت شهيقًا متقطعًا وهي تقول: «حتى لو للحظة، مجرد أن الفكرة عبرت ذهنك، هذا كافٍ. هيا، أمتعني، لماذا قد أفعلها في رأيك؟».

الآن، من أعظم الفضائل أن تفهم متى يكون السؤال بلاغيًّا. وهذه فضيلة أدركت أنني لا أمتلكها.

كان يجب عليَّ أن أترك الأمر.

بالتأكيد ما كان يجب أن أستمع إلى صوت سيمون في رأسي: «وكأنك لست ممتنًّا ولو قليلًا... لقد وقعت الفرصة في حجرك».

قلت: «ربما أردتِ مساعدتي..». إنك تتمنى أن أتوقف، ولكن، لسوء الحظ، أنا لا أتوقف. إن الأمر يبدو الآن في غاية الغباء مثلما كان حينذاك. «... لكي أكتب الكتاب».

نظرت إليَّ مثلما تنظر إلى نادل أخطأ طلبها، قالت: «أتظن هذا دافعًا إلى القتل؟».

لست أدري لماذا لم ينفك فمي يتحرك. جفلت بينما أقول: «كما أنه منحني ذلك التقييم السيئ».

قالت: «هذا ضرب من الهراء حول التعصب الجنسي الذي ولى زمانه يا إرن. ليس كل النساء يقتلن لمجرد أن كبرياء حبيبهن تعرض لخدش بسيط». كانت تضحك الآن. «أقتل هنري ماكتافش لأنك حصلت على تقييم سيئ! عجبًا. أنت حقًّا تعتقد أن هذا ما ستكتب عنه؟».

أخذت نفسًا عميقًا، وقلت: «جولييت، أرجوك. أنا آسف. لم أكن أفكر. كنت متوترًا. إن لساني منفلت. أرجوك، فقط دعيني أبدأ من جديد».

أخرجت العلبة من جيبي، فتحتها ومددت الخاتم نحوها. هنا تعالت هتافات الحشد.

الفصل العشرون

لقد قالت لا.

الفصل الحادي والعشرون

الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك.

من حيث عروض الزواج الفاشلة، فإن اتهام حبيبتك بالقتل في منتصف عرض الزواج لا بد أنه يعتبر خطأ عظيمًا. قلت من قبل إن الأحمق وحده من سيتهم جولييت بأنها القاتلة. وهذا الأحمق، كما تبين، هو أنا.

ما زلت جاثيًا على ركبتي، والخاتم ممدود في الهواء. أخذت أوتار ساقي تئن، إذ لم أخطط للبقاء في هذه الوضعية طويلًا. نصيحة لمن يخطط للزواج، عليكم بتمرين القرفصاء أولًا. قالت جولييت: «أنا عائدة إلى البيت».

- ماذا؟ الآن؟ لا يمكنك الرحيل هكذا.

- ليست رحلة مدرسية، يمكنني أن أفعل ما أريد.

- لكن القطار...

- سأبيت الليلة في نزل، وأعود بالطائرة غدًا.

- أرجوك.

- لا تعني «لا» رفضًا تامًّا. الأمر فقط أنه ليس الآن.

كررت: «ليس الآن؟ متى؟».

قالت: «ثمة الكثير لتفهمه من هنا إلى أديلايد. وليس المقصود جريمة القتل. حينما تعرف لمن هذه القصة حقًّا. عندها سيحين الوقت. ولكن الآن..». أمسكت بيدي وأنهضتني. «دعنا نجنِّب أنفسنا الإحراج. الجميع يراقبنا. يجب أن نمنحهم عرضًا».

قبلتني. وارتفعت الهتافات وصيحات التشجيع وانطلقت فلاشات الكاميرات. كانت شفاهها باردة وجافة، ضغطتها على شفتي كأننا نلتقط صورة للصحافة. حتى إنها وجهت خاصرتها نحوهم ورفعت كعبها في الهواء.

بينما أكتب ذلك الآن - توقف الزمن بالقبلة بفضل تلك الكلمات والصورة التي أرسلتها لي ليزا فولتون قبل أن... حسنًا، سنصل إلى ذلك- أجد نفسي أفكر مجددًا في سؤال جولييت: لمن هذه القصة حقًّا؟

لا يعتبر أنني أحرق الأحداث لو أخبرتك أنني أكتب هذا كله لأن هوية المذنبين قد كُشفت وتعاملنا معهم. وهذا يقودني إلى القاعدة الأساسية التي أتمسك بها بقوة، وهي لأنني أروي القصة بصيغة المتكلم، فإنني قد نجوت من أحداثها. ولكن فقط لأنني أكتبها، لا يعني ذلك أنها قصتي، أو أنها انتهت. بإمكاني أن أكتب هذه الجملة، على سبيل المثال، في اللحظة التي يدفع أحدهم باب غرفة فندقي في أديلايد ويضع رصاصة في دماغي. ليست الكتابة ما تروي القصة، بل القراءة.

حفنة من الكلمات على صفحة لا تُعد إرثًا إلى أن تُقرأ.

فماذا إذن لو كنت أكتب هذا، وما زالت القصة مستمرة؟

تعرضت لمهرجان من التربيت على ظهري بينما أبحث عن مشروب، حتى وجدت أملي متجسدًا في جاسبر مردوخ، الذي جاء حاملًا كأسًا من الشمبانيا وكأنه الخطاف الذي يلتقط الطائرات الحربية من على متن

السفن الحربية. لو أنه فكر أنه من الغريب أن أحتفل بمفردي، فقد كان مهذبًا بما يكفي لئلا يعلق.

قال بينما أرشف الكأس وأجلس باندفاع إلى طاولته: «أعتقد أننا نتشارك التهاني». أساء فهم إحباطي وأعاد ملء كأسي. «يا صديقي، أفهم شعورك. أتذكر عندما تقدمت للزواج بهارييت، شعرت وكأنني ركضت في ماراثون».

قلت: «لا يصبح الأمر أكثر سهولة في المرة الثانية».

- أوه.

بدا أنه لم يكن يعلم عن زواجي السابق، مما يعني أن كتابي الأول كان على طاولة سريره من دون أن يُفتح. احمر وجهه قليلًا، ثم قال بلطف: «بالتأكيد أسهل من الطلاق».

رفعت كأسي بسخرية، ضربت الشمبانيا في رأسي مباشرة، قلت: «نخب الإنجازات الصغيرة. إنك أفضل مني في أمور الحب. رأيت بتلات الورود عند باب غرفتك الليلة الماضية. كانت غرفتك، أليس كذلك، التي بجانب غرفة وايت؟ لفتات أنيقة».

ضحك جاسبر، وقال: «عدا أنها جعلت وايت يعطس. ذلك كله من تدبير هارييت على كل حال». أخذ يقلد لهجتها الأيرلندية: «لنضيف البهجة على المكان».

تأملته هنيهة، وقلت: «كيف تفعل ذلك؟».

- أفعل ماذا؟

- ألا تأخذ كل شيء بجدية.

تنهد جاسبر: «ما زلت تفكر في هنري؟».

- لو قلتُ لا، هل ستصدقني؟

أمال رأسه مقرًّا، وقال: «عادة ما يكون الكُتَّاب أفضل في الكذب منك».

- أتعلم ذلك بسرعة.

- إن التقييمات السيئة جزء لا يتجزأ من كونك كاتبًا. جميعنا نحصل عليها. حصلت على واحد ذات مرة، وأجبت على ناشرة التقييم. ثم تزوجتها.

- لا أصدق! هارييت؟

أومأ، وقال: «نعم، كانت صحفية في مجال الفن، منذ زمن. اسمع، لا سر في هذا. هل تكتب هذا النوع من الأشياء لكي يقرأه الناس، لكي يستمتعوا، أم فقط لكي يُسلط الضوء على اسمك؟ هذا هو الأمر ببساطة».

استمددت ثقة من حديثي مع ماجورز لأجرب تحليلًا نفسيًّا بنفسي. كان هذا القطار يعج بالغرور والتقريظات والأمجاد، في حين بدا جاسبر غير مكترث على نحو غريب بأن يكون معروفًا في خضم ذلك كله. بدا واضحًا أن هارييت لا توافقه الرأي. ولكن ربما لم يكن تواضعًا، ربما كان ضرورة. تذكرت وايت، الذي بالكاد رأيت وجهه مبتسمًا طوال الرحلة، وهو يتمنى مشاركته مشروب احتفال، مما عزز ثقتي في استنتاجي.

قلت: «يسهل قول ذلك لمن ليس اسمه على الغلاف».

تلاشت ابتسامة جاسبر تمامًا، واضطر إلى استعادتها بصعوبة. تمتم أخيرًا: «لا أعرف عما تتحدث».

غمزت، وقلت: «بالطبع لا تعرف».

رأيت جاسبر بينما يصارع الفكرة، ثم تقبل اكتشافي، وقال: «لا تخبر أحدًا فقط. أنا جاد. إن قيمتها الوحيدة في أن أحدًا لا يعلم الأمر».

لم يكن هذا أفضل استنتاجاتي على الإطلاق. كان لدى فيرونيكا توقيع شخصي على نسختها: إلى «ف» وهي نسخة أعلم أنها اشترتها في داروين، في بداية الرحلة. من غير الممكن توقيعها إلا في الأيام الثلاثة الماضية. لم يكن هناك حل آخر: إريكا ماثيسون كانت على متن القطار.

قلت: «إنك تحقق نجاحًا مذهلًا. لا عجب أن وايت كان يبتسم. أنت هنا لتتفاوض على صفقة جديدة. يبدو أنك حصلت على شيء لتحتفل به بالفعل؟».

قرأ التعبير الذي على وجهي، وقال: «أنا؟ نعم. هارييت؟ ستتقبل الأمر. هي سعيدة من أجلي بالطبع. لكنها تفضل أن أنشر باسمي الحقيقي».

تذكرت جدالهما حول المال. أصبح الأمر منطقيًّا الآن: تشعر هارييت بخيبة أمل لأنه يقوم بذلك فقط من أجل المال. أرادت منه أن يفعله لنفسه، وكانت تحاول إقناعه بأن الأمر يستحق التضحية المالية. أرادت أن تراه في الطرف الآخر من تلك الندوات التي جاءا هنا لمشاهدتها.

قال: «لكنني نشرت باسمي سابقًا. ولم يكن الأمر كما يروج له. وأنا سعيد، خاصة إذا استمر وايت بمضاعفة دفعاتي المقدمة. أفكر أحيانًا أن الأمر قد يكون لطيفًا...» أدركت أنه كان يحدق في الساحة، حيث كانت هارييت ترقص في الغبار، ذراعاها مرفوعتان، تتمايل مع دفق الموسيقى. «ثم أتذكر أن لدي أشياء أفضل لأضع اسمي عليها». وأشار إليها. «هذا الذي هناك، هذا ما ينتظرك. نحن نحاول التبني. اسمي هناك، سيتناقله أطفاله ويستمر، هكذا سيحيا ويستمر أكثر من أي كتاب».

تمتمت محدقًا إلى حذائي: «أجل».

التفت إلي مرة أخرى، وقال: «من الجميل أن يكون هناك شخص آخر يمكنني التحدث معه عن هذا ولو لمرة».

- بما أننا نتحدث بصراحة، أعتقد أنني أفسدت الأمور مع جولييت.
- هذا رقم قياسي بالتأكيد. لقد خطبتما قبل عشرين دقيقة.
- أظن أنني جيد في الكذب أكثر مما تظن.
- لماذا بحق الجحيم تجلس هنا معي وتشرب إذن؟

نهضت واقفًا، وقلت: «هذه نقطة ممتازة». مددت يدي واتخذت نبرة رسمية مبالغًا فيها. «سررت بمقابلتك يا آنسة ماثيسون».

ضحك، وبدت في صوته راحة كبيرة. انكشف سره، وخف عبؤه. ضغط يدي، وقلد لهجتي المتكلفة، وقال: «أفضل جاسبر مردوخ لو سمحت».

الفصل الثاني والعشرون

عليك أن تقرأ لإريكا ماثيسون إذا أردت مشهدًا من الركض إلى المطار ونهاية رومانسية (بالإضافة إلى موعد في الحمامات، لو أن ذلك النوع من الكتب يستهويك)، لأنه لم تمض عشر دقائق بعد مغادرتي لجاسبر، حتى حشد الجميع إلى الحافلات التي تقودنا عائدين إلى قطار الغان. قيل لي إن جولييت قد أخذت سيارة أجرة بالفعل إلى المدينة. لم ترد على هاتفها، ظللت أحاول طوال طريق العودة. على الرصيف، نظر آرون في ساعته بقلق وزمَّ شفتيه، وقال: «أنا آسف يا سيدي. طلبتْ مني ألا أخبرك إلى أين ذهبت. سنغادر خلال خمس دقائق».

نظرت حولي على الرصيف، آملًا أن تظهر جولييت فجأة، وقد غيرت رأيها. لاحظت أنه لم يكن هناك سيارات شرطة في الساحة بعد الآن.

- هل سينضم إلينا أي ضباط في الجزء الثاني من الرحلة؟

بدا آرون متفاجئًا، قال: «لا. لماذا ينضمون؟».

- للحماية؟

- ممَّ سيحموننا؟ لقد أخذوا الجثة، وأنت وصديقك قلتما بنفسيكما إنه لا يوجد شيء مريب. اسمع، أعلم أن الليلة كانت صعبة، لكن إما أن تصعد إلى القطار وإما أن تبقى هنا.

ألقت أضواء البلدة هالة باهتة في الليل. لقد انهارت آمالي لهذه الرحلة، كلها مجرد حلم. كان الخيار بين العودة إلى القطار أو التجول على أبواب غرف نزل أليس سبرينجز كلها حتى بزوغ الفجر.

أدركت بينما أكتب كل هذا الآن، أنه من السهل رؤية كم أخطأت في العديد من الأمور حتى اللحظة، سواء في استنتاجاتي أو في مشاعري، وها هو خطأ آخر يُضاف إلى القائمة.

اخترت القطار.

الفصل الثالث والعشرون

أول شيء حاولت فعله عندما صعدت إلى القطار هو ارتكاب جريمة.

السرقة، بالتحديد. كان الجميع في مزاج جيد بعد الطعام والشراب، وأكمل أغلبهم السهرة في عربة البار. طلب دوجلاس من سينثيا كوبًا من الشاي، متذمرًا من أن الغلاية الملقاة في السلة في الممر غير ذات فائدة. تقدمت إلى هناك للحصول على مشروب أيضًا بنية إغراق، لا، هذا ليس كافيًا، بل تعذيب أحزاني. لكني ما إن دخلت رأيت آلان رويس جالسًا مباعدًا ساقيه كما يجلس سماسرة البورصة في المواصلات العامة، فتراجعت فورًا إلى الممر. ليس الأمر أنني أتجنب رويس، بل لأنه بدَّل ملابسه.

تذكَّر، إن الأقفال محدودة في أبواب قطار الغان، وهكذا اقتحمت غرفة رويس بسرعة. وبالطبع، لم يزل غير مكترث بترتيب الأشياء. سترته المجعدة من فترة الظهيرة ملقاة على السرير. وعلى الأرض تكوم بنطاله كما لو أنه خلعه في مكانه. ها قد وجدت ما أبحث عنه.

أعلم، هذا ليس تصرفًا لطيفًا، حتى مع شخص مثل رويس. لكنني أعتقد أنه بعد طباعة أحداث هذا الكتاب، لن يكون في وضع يسمح له بتقديم شكوى بشأن شيء صغير مثل السرقة. ليس بعد ما فعله.

بعد ذلك، شققت طريقي بين العربات إلى مؤخرة القطار، حيث كانت هناك شرفة تدخين خارجية. كانت صغيرة، بالكاد تكفي لثلاثة أو أربعة أشخاص، محاطة بسياج من الحديد المزخرف لحماية الضيوف من السقوط، وبها مظلة صغيرة. كان صوت احتكاك القطار مرتفعًا هنا، ميكانيكيًّا وغريبًا في مواجهة هدوء الليل الصحراوي. أخذت القضبان المتناظرة تندفع من تحت العربة، تُقاس رحلتنا بدقة عبر خطوطها، مترًا بعد متر ينكشف مع زيادة السرعة. راقبت أليس سبرينجز وكل ما فيها يبتعد عنّا في الأفق.

ثم فتحت الورقة التي أخذتها من جيب رويس، تلك التي أخفاها عندما كان يفتش في غرفة ماكتافش. كانت شيكًا، حسنًا، نصف شيك. لقد كان محروقًا، يبدأ الاحتراق من الزاوية السفلية اليمنى، والتهمت النار كل التفاصيل التعريفية باستثناء اسم البنك والمبلغ: 25,000 دولار. تذكرت الرماد على أرضية غرفة ماكتافش وافتراضي أنه خالف قاعدة عدم التدخين. هذا واحدٌ من المواضع التي أخطأت فيها.

انفتح الباب من خلفي، فأسرعت أعيد الشيك إلى جيبي، واستدرت لأجد ليزا فولتون واقفة هناك. ارتدت ثوب سهرة أزرق بلون الياقوت يصل إلى الأرض، وهو أنيق للغاية بالنسبة إلى قواعد اللبس الرسمي للسهرة وفق دليل الرحلة. غُطت حاشية الفستان بالأوساخ والغبار من ساحة الوادي، ورأيت كدمة خفيفة فوق مرفقها الأيمن، مما بعث فيَّ شعورًا بالارتياح لأنني تجاهلت الرقص الصاخب.

قالت وهي تحمي سيجارتها من الرياح بينما تشعلها بالولاعة: «تهانيَّ».

استغرقت لحظة لأستنتج سبب تهنئتها. استطعت رؤية وهج أليس سبرينجز البعيد وهو يتلاشى من خلفنا.

- شكرًا لكِ، نحن سعيدان جدًّا.

- سعيدان لدرجة أنك تسافر وحدك؟

ظننت أنني سأحظى بمزيد من الوقت قبل أن يلاحظ الناس أن جولييت لم تصعد إلى القطار معي. حاولت أن أختلق عذرًا سريعًا.

قلت: «الأمر كله غير مخطط له تمامًا. فكرنا أن نتم الأمر بسرعة. يعني، بسرعة مثل نهاية الأسبوع القادم. هناك الكثير من الترتيبات». لم تبدُ ليزا مقتنعة، لذا، كما هو الحال مع الأكاذيب المتهاوية، قمت بتعزيزها. قلت ضاحكًا: «كما أن عدد الجثث كان أكثر من اللازم بالنسبة إلى عطلتها المثالية».

- يا لها من ضعيفة، إنها واحدة فقط.

- واحدة تكفي بالتأكيد.

- هذا يعتمد على مكان قضاء العطلة. بالمناسبة، التقطت صورة لك وأنت تقدم عرض الزواج. أعطني بريدك الإلكتروني وسأرسلها لك قبل أن نفقد الإشارة.

أعطيتها بريدي الإلكتروني، وبعد دقيقة، مع ضعف الإشارة كلما تحركنا، وصلني إشعار على الهاتف. بدت الصورة رومانسية تمامًا لمن لا يعرف الحقيقة، سماء مليئة بالنجوم، توهج نيران المارشملو، لكن كل ما استطعت رؤيته كان التوتر في فكي، والبريق في عيني جولييت.

قلت: «إنها..». فتشت عن كلمة مناسبة، ثم قنصتها من السماء: «مميزة. شكرًا لكِ».

- على الرحب. والآن، ما هذا الذي أسمعه عنكما أنت وآلان حول شكوككما المتعلقة بوفاة هنري؟

كان هذا موضوعًا أكثر راحة لي. قلت: «أعتقد أن الظروف تستدعي مستوى معينًا من الاستقصاء. وفي ظني أن كثيرًا من الناس لديهم أسبابهم ليبغضوا ماكتافش».

- الكثير من الناس؟

- في الحقيقة، الجميع.

التفتت عن القضبان ونظرت إليَّ بتمعن، قالت: «حتى أنا؟».

ترددت قبل أن أقول: «سمعت أنِ هناك شعلة حب قديمة بينك وبين ماكتافش».

ضغطت بيديها على الدرابزين، قالت: «كانت شمعة أكثر منها شعلة. استمرت لفترة قصيرة للغاية».

- لكن يبدو أنك تركت أثرًا عليه، فقد كتب لك ذلك التقريظ. وكنت الوحيدة التي تخلفت عن حضور ندوته في الصباح التالي.

تنهدت وقالت: «لقد كان شعورًا غامرًا بعض الشيء. على أي حال، أنا ممتنة لأنني لم أحضرها».

- لقد كان مشهدًا بشعًا، إنك محظوظة لأنك فوتِّه.

- إنك تبحث جيدًا في ظني.

- أتمنى أن يتوقف الناس عن قول ذلك.

أخذت الآن تمضغ فلتر سيجارتها، بدت غير مرتاحة بوضوح. لكنها لم تغادر، وكأنها أرادت مني أن أسألها شيئًا. مثل سر جاسبر، يتحرق بيأس لكي ينكشف، بطريقة ما. أو ربما أرادت معرفة مقدار ما أعرفه. كنت سعيدًا بتلك اللعبة.

- سمعك رويس في غرفة ماكتافش ليلة البارحة.

زفرت ليزا، وقالت: «رويس رجل مخمور».

- لم تكوني في غرفته إذن؟ أشك أنه سيسمح لماجورن بالدخول. هاربيت لها لهجة أيرلندية. سينثيا وبروك صغيرتان جدًّا، وسيمون صاخبة جدًّا. لدي شعور بأن حتى رويس المخمور لم يخلط بين كل تلك الأصوات.

كانت صامتة. أخرجتُ الشيك المحترق من جيبي وأريته لها. قلت: «أتساءل إن كان هذا المبلغ كافيًا لشراء تقريظ؟».

ضحكت ليزا لتخفف من الموقف، لكنني شعرت بأنها تفاجأت قليلًا، قالت: «إذا كنت تعتقد أنني أربح من مبيعات الكتب ما يكفي لدفع خمسة وعشرين ألف دولار مقابل تقريظ، فأنت واهم. إلى جانب ذلك، هذا المبلغ لن يحرك حتى قلب هنري».

- ربما طرق أخرى للدفع.

ارتسمت على وجهها ملامح استياء، قالت: «أخذت ذلك من رويس، أليس كذلك؟».

رحت أحدق إلى القضبان. بالفعل استعرت ذلك من رويس، وإنني شعرت حقًّا بالمرارة على لساني وأنا أنطق بها، قلت: «أجل، أنا آسف. هذا ليس أنا. لكنك تريدين أن تخبريني شيئًا، لهذا السبب تبعتني إلى هنا. أنت أول شخص تقريبًا يطلب مني أن أستجوبه. ربما أسأل الأسئلة الخاطئة، ما الذي تريدين إخباري به؟».

كانت هذه استراتيجية أفضل. أخذتْ نفسًا عميقًا، وقالت: «لم أقتله، لكن غدًا، ستظن أنني فعلت. وأعتقد أنني فقط أردت أن أقول ذلك لشخص ما. أفترض أنك بصدد كتابة كتاب عن ذلك. هل ستضعه كما هو، بالضبط هكذا؟».

- ما الذي سيحدث غدًا؟

- هذا هو السؤال الخطأ.

- لكنك كنت في غرفته؟

- لو كان ذلك سيرضيك، أجل، ذهبت إليه لأشكره، بالكلمات، من أجل التوصية. كاد رويس يسحق الباب لذا اضطررت إلى البقاء هناك حتى تغادرا. هذا كل شيء.

فكرت مليًّا لثوانٍ، وقلت: «لم تضربيه؟ لقد وجدنا مناديل عليها دماء في السلة».

- كلا.

قلت: «دعيني أطرح سيناريو، تذهبين إلى غرفته لشكره على التوصية، بالكلمات». أومأت مؤكدة. «لكن ربما الكلمات ليست كافية. ربما أراد ماكتافش شكرًا مختلفًا. كلنا نعرف كيف كان. ربما أمسكك من ذراعك، بقوة كافية ليترك كدمة هناك، فوق مرفقك مباشرة. ربما أجبته بضربة في أنفه. هذا ليس قتلًا. فلماذا تخفين الأمر؟ هل اقتربتُ من الحقيقة؟».

استدارت للذهاب. مددت يدي نحوها لكني تراجعت، لم أرد أن أكون الرجل الذي يمسك بالنساء. قلت: «أنا أصدقك».

التفتت إليَّ من نفسها. قلت: «كان ماكتافش متحرشًا. مهما كان ما تخشينه غدًا، ربما يمكننا أن نستبق الأمور، إذا ساعدنا بعضنا».

لم تُجب، لكنني استطعت أن أرى أنها تضغط على أسنانها من تجعد وجنتها.

- لديكِ خبرة قانونية، قد تكون مفيدة في الواقع.

لمعت أسنانها في شبه ابتسامة، قالت: «أهذا ما كنت تفعله؟ رويس للطب الشرعي؟ وماجورز للتحليل النفسي؟ وأنا للقانون؟ وفولفجانج لـ، ماذا، ليكون وغدًا؟ كل تخصصاتنا مجتمعة في المحقق الخارق؟ مثل مورفن العظيم في باور رينجرز؟».

تورد وجهي، قلت: «يبدو الأمر غبيًّا عندما تقولينه بهذه الطريقة».

- هو غبي بالفعل. نحن كتَّاب. أنا لم أمارس القانون منذ... لحظة، كيف حللتني ماجورز بالضبط؟

قلت: «عاشقة مرفوضة».

لا تقلق، ذاكرتك ليست سيئة ولم تتخطَّ أي صفحات. لم تقدم لي ماجورز تحليلًا عن ليزا. اعتقدت أنني قد أستفز ردة فعلها إذا اخترعت شيئًا. ونجح الأمر.

تميزت ليزا غضبًا، وقالت: «أنانية حقيــ... لا تستمع لها. إنها تحمل لي الضغينة».

- لماذا لم تدعميها بخصوص إدنبرة؟

بلغت ليزا من الغضب حد أنها نسيت أنني أتحرى. قالت: «لم أستطع، هي تعرف ذلك. يا إلهي، ليس وكأنها كانت على منصة الشهود. وبعد عام، عندما صدرت الخروج عن المسار... (طقطقت أصابعها). أصبح الأمر مشكلتي فجأة. يا للسخف. (نظرت إلي مجددًا). أنا لم أقتل هنري. يقتل الناس لسبب واحد فقط: الحب. ولم أكن أحبه، أبعد ما يكون عن ذلك».

قلت: «يقتل الناس لسببين، الحب والمال».

هزت رأسها، وقالت: «ربما يقتلون من أجل حب المال، لكن في النهاية، يرجع الأمر كله إلى الحب». فتحتْ الباب، فانسكب الضوء الدافئ من العربات ليضيء لنا مسار القضبان المتسارعة تحتنا. «مثلما تقول، الجميع لديه دافع. ربما الجميع فعلها».

- أعتقد أن هذه الفكرة قد استخدمت من قبل.

قالت: «لا شيء يتفوق على الكلاسيكيات». وأغلقت الباب خلفها.

الفصل الرابع والعشرون

من الابتذال والتضليل أن أقول إن سريري بدا فارغًا من دون جولييت، إذ إنه سرير بطابقين. لكن غيابها ترك فراغًا محسوسًا بالقدر ذاته. لقد رحلت بسرعة كبيرة، أو حرصت بشدة على تجنبي لدرجة أنها لم تعد إلى القطار لجمع أغراضها. ما زالت ملابسها معلقة على الشماعات وفرشاة أسنانها بجانب المغسلة. بدت المقصورة مكانًا مهجورًا بكل ما في الكلمة من معنى.

أجلت ذهابي للنوم، ورحت أطوي ملابسها بعناية وأغلق حقيبتها وأضعها على السرير العلوي. قاومت الرغبة في تفتيش الجيوب بحثًا عن أي زجاجات صغيرة. أردت ذلك، لكن كلماتها بقيت معلقة في ذهني: *حتى لو للحظة، مجرد أن هذه الفكرة عبرت ذهنك... هذا كافٍ.*

أخذت إشارة هاتفي تضعف تدريجيًّا حتى باتت خيطًا ضعيفًا في هذه اللحظة. أرسلت رسالة نصية إلى جولييت، وبريدًا إلكترونيًّا، ثم رسالة نصية أخرى.

ثم حاولت التنقيب عن تفاصيل القصة على جوجل. أعلم، أنه أسلوب كسول في التحقيق. لكن اعذروني قليلًا، دائمًا ما يضطر كتاب

الغموض هذه الأيام إلى إيجاد طريقة لإبعاد الهاتف عن أيدي محققيهم، وإلا سيجلس القارئ ويفكر طوال الوقت: «أبحث عنه في جوجل!» لم يضطر زملائي من العصر الذهبي للتعامل مع هذا، لم يكن هناك «تبًّا، لا يستطيع الوصول إلى موسوعات بريتانيكا لأن أحدهم أضاع مفتاح المكتبة!».

بدأت، لأن ثقتي في مؤهلات رويس الطبية بدأت تتلاشى، بالبحث عن أعراض جرعة زائدة من الهيروين. أكد جوجل (على مضض، أو ربما ذلك ما شعرت به فقط) الأعراض لصالح رويس. ثم بحثت عن «عرج هنري ماكتافش»، ولم أحصل على الكثير بهذا الخصوص (باستثناء مراجعات لكتابه الثاني، أسوأ المراجعات التي حصل عليها، حيث استخدمت كلمة الأعرج لوصفه)، ثم بحثت عن تفاصيل حادثه، والذي أثمر عن نتائج أكثر. ظهرت صورة لماكتافش بوجه مشوه ومتورم ومغطى بالأربطة على شاشة هاتفي وكأنها فاكس وارد. اضطر الجراحون إلى استبدال جلد ساقه كلها تقريبًا. كان ذلك في عام 2004، بين نشر روايته الثانية والثالثة. كيف وصفت سيمون كتابته للرواية الثالثة؟ بأنها حصوات كُلوية. مع التعافي من حادث مثل هذا، ليس من المستغرب أنها كانت فترة صعبة.

لم يأتِ أي شيء من جولييت بعد، بدأت أتساءل إذا كنت أستقبل تغطية الإنترنت فقط وليس الرسائل، لست متأكدًا تمامًا من صحة هذا الافتراض تقنيًّا، لكنه نجح في جعلي أشعر بتحسن مؤقت حتى رن هاتفي وأثبت عدم صحته. للأسف، كانت رسالة من آندي.

«أنهيت قائمة المتهمين. من الناحية الإحصائية، من الأرجح أن يكون الزوج السابق».

أجبته: «أجل، يبدو ذلك معقولًا. الغيرة. الغضب. جميعها دوافع جيدة».

رد آندي بسرعة: «رائع. المشكلة أنها ليس لديها زوج سابق. لكنها لديها زوج».

أجبته: «إذا ليس لديها زوج سابق، لماذا هو على قائمة المشتبه فيهم إذن؟».

تأخر آندي، باركه الرب، بينما يفكر، ثم أجاب: «يبدو أنه محتمل».

أجبته: «محتمل؟».

أرسل لي رابطًا، وقال: «لقد أدخلت كل التفاصيل هنا، وهذا كان الاحتمال الأكبر».

ضغطتُ على الرابط فأخذني إلى ChatGPT، برنامج الذكاء الاصطناعي مفتوح المصدر الذي غزا العالم فجأة، مما أثار قلق الجامعات في كل مكان، حيث استخدمه الطلاب لكتابة مقالاتهم. وعلى الرغم من أنه كان حقًّا قطعة برمجية مذهلة، فقد أثار مخاوف كبيرة، سواء لأولئك الذين ترتبط حياتهم المهنية بكتابة الكلمات، أو لأولئك الذين شاهدوا فيلم The Terminator. يمكنك أن تطرح عليه أي شيء، وسيعطيك إجابة، من «اكتب لي مقالة من خمسمئة كلمة عن مصر القديمة» إلى، في حالة آندي، كتابة نبذة على موقعه أو «من سرق محل زهور المرأة العجوزة؟» بالطبع، كان من الطبيعي أن ينخرط آندي في الذكاء الاصطناعي؛ فهو قادر على الحفاظ على وجهه جادًّا في أثناء استخدام كلمة «قابل للاستبدال»، كما أنه يعلن أن العملات الرقمية هي المستقبل بينما يصيح لأن أحدهم احتال عليه في العملات المعدنية في المقهى. شعرت بالإغراء بأن أكتب: كيف أصف عمي بالأحمق، ولكن بطريقة تبدو

بنَّاءة؟ لكنني لم أعتقد أن الذكاء الاصطناعي يملك مجموعة الشتائم التي أملت بها.

أرسلت له: «الذكاء الاصطناعي لا يستبدل العقل البشري يا آندي. ولكن أتحفني، ما هي قائمة المشتبه فيهم لدى سكاي نايت أيضًا؟».

الأمر الجيد في إهانة آندي أن كل ما عليك فعله أحيانًا هو أن تجعله يفعل ذلك بنفسه. رد: «عميل سري في مكتب التحقيقات الفيدرالي... ثم طائفة عبادة الموت الشيطانية».

توقف قليلًا، ثم أرسل آندي مجددًا: «حسنًا، فهمت وجهة نظرك. تصبح على خير».

تباطأت شبكة الإنترنت عندي ثم عادت. أعدت تركيزي إلى بحثي مجددًا. توجهت هذه المرة إلى منتدى «جيش موربند» على ريديت. كان المنشور الأحدث بعنوان: بزوغ الفجر- نقاش يحوي حرق أحداث. توقعت أن ينتشر خبر وفاة ماكتافش، لكن يبدو أنه لم يصل بعد.

تصفحت عبر المناقشة. أخذ الناس يناقشون الإصدار الأخير، وعبَّر العديد منهم عن أسى نهاية شخصية المحقق موربند. لفت انتباهي منشور معين:

راعي الجيش22 (مسؤول):

يا إلهي، يا جماعة. موربند هو حياتي. أنا حرفيًّا مستلقية هنا وأصرخ. سأضطر لشراء نسخة أخرى، لأن هذه ملطخة بالدموع. إذا كانت هذه هي النهاية... لا أعلم ماذا سأفعل...

كانت المستخدمة مسؤولة في المنتدى، وهذا قد يناسب شخصًا مشاركًا في الدور التنظيمي بين جيش موربند: الرئيسة، ربما. بدا لي هذا الأسلوب مشابهًا جدًّا لأسلوب بروك. رحت أتصفح عبر الردود،

التي كانت مزيجًا من المواساة لراعي الجيش22، وإنكارًا قاطعًا لفكرة موت موربند. ونشر أحدهم منشورًا مقلقًا يقول: كل ما نحتاج إليه هو الوصول إلى ماكتافش. أنا متأكد من أننا نستطيع... إقناعه... بالدافع المناسب. وأضاف رمزًا تعبيريًّا على شكل مطرقة.

أرهقني سيل التعليقات وانتقلت إلى ملف راعي الجيش22 الشخصي. كانت صورته نسخة كارتونية من موربند نفسه، أو هكذا افترضت، بالنظر إلى ملامحه الاسكتلندية الحادة، وحدد موقعه في أستراليا، لكن بخلاف ذلك كان مجهولًا.

ظهرت جميع تعليقات راعي الجيش22 الحديثة بالأسفل، نقرت على أحدها عشوائيًّا:

هل يمكنني أن أقول شيئًا؟ أحب هذه الكتب لأنني أشعر وكأنه يتحدث إلي. تعلمون؟ كأنها كُتبت خصيصًا لي. كأنها قصة قبل النوم أو مكافأة خاصة. أعلم أنكم جميعًا تحبون الكتب بقدر ما أحبها، لكن هذا هو الشعور عندما أقرأها. كأنه أنا وهو فقط. أخبروني لماذا تقرأون كتب موربند. أحب سماع آرائكم جميعًا☺.

ما الذي قالته ماجورز عن الهوس؟ إنه القدرة على جعل تجربة الآخر تتمحور حول نفسك؟ ينطبق هذا الوصف تمامًا.

عدت إلى صفحة ملف راعي الجيش22 الشخصي وفتحت التعليق الأحدث، فقط لأرى إن كان قد ذكر قطار الغان. كان التعليق منشورًا منذ ثلاثة أيام في مناقشة: بزوغ الفجر- يحوي حرق أحداث: «تراجعوا. أكرر. تراجعوا. أستطيع التنفس مرة أخرى. **آرتشي بنش اللعين!**».

أتت التعليقات التالية من نوعية: «من هو آرتشي بنش؟»، «لا أفهم؟ ما الأمر بالضبط؟»، ولكن راعي الجيش22 لم يكتب أي شيء بعد ذلك. كان التوقيت مناسبًا تمامًا مع صعودها إلى القطار في المناطق النائية

حيث إشارة الهاتف المحدودة. لم أستطع تخيل أن يكون هذا الشخص أي أحد غير بروك.

تراجعوا. هل كانت عبارة مجازية أم حرفية؟ يبدو كل شيء على الإنترنت حرفيًّا هذه الأيام، كل شيء حرفيًّا، لذا كان من الصعب تحديد المقصود. تراجعوا عن ماذا؟

بدافع الفضول، جربت البحث عن «مشروع فولفجانج الفني». لكن البحث كان غامضًا للغاية، وجدت نفسي بين صفحات وصفحات عن قرينه الذي يحمل الاسم نفسه، الموسيقي النمساوي الشهير. تساءلت إذا يتحدث فولفجانج الألمانية، وإذا كان بمقدوره مساعدتي في كلمة «رايخ».

رحت بعد ذلك أجرب جميع التراكيب الممكنة لاسم فولفجانج مع كلمات مثل: كاتب، فن، تفاعلي، تجربة. كل ما حصلت عليه كان نتائج تتعلق بهذا المهرجان تحديدًا، مع العبارة نفسها التي تتكرر في نهاية كل نبذة: مشروعه القادم هو مشروع فني تفاعلي بعنوان: موت الأدب.

مرت فكرة خاطفة في ذهني -إلى أي درجة مشروعك تفاعلي يا فولفجانج؟- ثم تلاشت.

كان هاتفي يعاني مع الإشارة. ضغطت محاولًا إجراء بحث أخير، استغرق خمس دقائق كاملة للتحميل، وعلمت أن هذا سيكون آخر ما أتمكن من الحصول عليه من مساعدة القرن الواحد والعشرين. لكن هذا لم يكن بحثًا عن دليل، بل مجرد فضول بحت. كان المقال من نيويورك تايمز في عام 2009، بعنوان: الكاتب الصاعد جاسبر مردوخ لا يمكنه مجاراة عمالقة أدب الجريمة. بقلم هارييت سايكس، كاتبة مستقلة من ملبورن، أستراليا.

بصراحة، عندما قرأته، تفاجأت أنه تزوجها. كانت المراجعة قاسية للغاية. وعلى الرغم من أنها لم تركز كثيرًا على تفاصيل الكتاب، فقد

صممت على مقارنته بأعمدة الأدب في هذا النوع — كتَّاب محترفون، وأصحاب الملايين. لم تستطع هارييت تقبل أنه لم يصل لمستواهم، ومزقته بالنقد لهذا السبب: يتمنى مردوخ لو كان بإمكانه الكتابة مثل ماكتافش، وهناك لمحات من الإمكانات في عمله، ولكن للأسف، يفشل في الوصول إلى المستوى العالي الذي وضعه الكاتب الاسكتلندي المحبوب.

لا عجب أن جاسبر لم يعد يكتب روايات الجريمة. لكنني تذكرت نظرة عينيه وهو يراقب هارييت ترقص. لو أن هذه المراجعة قد جمعت بينهما (تخيلته يجمع شجاعته ليكتب لصاحبة المراجعة بريدًا إلكترونيًّا، ربما يعرض عليها فنجان قهوة ليشرح لها ما كان يحاول تحقيقه من خلال روايته، أو ربما يشرب نصف زجاجة من النبيذ الأبيض ويقتحم الأمر بفيض من الشتائم المبتكرة)، فمن المحتمل أنه لم يمانع ذلك إطلاقًا. أعدت قراءة المراجعة من منظور *الروحانية الهادئة* التي يتحلى بها جاسبر، ولم تبدُ قاسية بهذا الشكل. وعند التمرير، لاحظت أيضًا أن هارييت هي كاتبة الجملة الشهيرة التي اقتُبست من نيويورك *تايمز* للإشادة بماكتافش -«عمل استثنائي لا يمكنك أن تضعه من يدك. إن ماكتافش لا يضاهى»- المأخوذة من مراجعتها لروايته الخامسة في عام 2006.

أرسلت رسالة نصية أخرى إلى جولييت، وارتفع لدي الأمل للحظة حين سمعت صوت الرنين الفوري، حتى أدركت أنها كانت علامة تعجب حمراء تشير إلى أن الرسالة لم تُرسل.

وضعت الهاتف جانبًا وأغمضت عيني، لكن صوت جاسبر ظل يتردد في رأسي. لكنه الآن كان يقول شيئًا آخر: *خاصة إذا استمر وايت*

بمضاعفة *دفعاتي المقدمة*. تذكرت وايت وهو على الهاتف في المحطة، ربما يحاول الاتفاق على بند في صفقة ما؟

في البداية، لم أنتبه لذلك؛ افترضت أن الصفقة الجديدة لجاسبر كانت من أجل كتاب لإريكا ماثيسون. لكن إذا كانت تلك المراجعة تحمل ثقلًا، وأن جاسبر يُعتبر مجرد نسخة رخيصة من ماكتافش فعلًا، فستظل الكتب التي تحمل اسمه مجرد تقليد. حتى نجاح كتاب إحدى عشرة نشوة لديبورا وينستوك لن يغطي على هذا الشعور، أنه مجرد طامح عالق في المرتبة الثانية خلف كاتب أفضل منه. ربما كانت إحدى الطرق للتغلب على المقارنة هي إزالتها تمامًا.

نمت وأنا أفكر في أمرين:

لم يكن هنري ماكتافش يريد الاستمرار في كتابة روايات المحقق موربند.

وربما كان، بالنسبة إلى وايت لويد، وجود نسخة مخففة من ماكتافش أفضل من عدم وجود ماكتافش على الإطلاق.

الفصل الخامس والعشرون

لم أملك أي فكرة عن الوقت الذي قضيته نائمًا، لكنني عرفت من الضربات على الباب من صاحب تلك القبضة الهمجية، فلم أتفاجأ مطلقًا لرؤية رويس في الممر. ما فاجئني هو صف الناس الذي امتد من خلفه.

قال: «هيا». وانتقل ليطرق الباب التالي قبل أن أتمكن من فتح عيني الناعستين. ظل يتحرك على طول الصف مثل آمر السجن وهو يوقظ السجناء.

تسللت إلى الصف بين سيمون وفولفجانج. الجميع بملابس النوم، بينما بدوت أنيقًا بتيشيرت فرقة قديم وبنطلون رياضي. ارتدت سيمون قميصًا وبنطالًا متماثلين من الحرير باللون البنفسجي، مع الحرفين س.م مطرزين على جيب الصدر. الأمر الأكثر إثارة للدهشة هو فولفجانج، الذي ارتدى بيجامة من قماش الفلانيل المخطط باللونين الأزرق والأبيض بالكامل. تخيلته ينام ببدلة من ثلاث قطع. خلف فولفجانج كانت إس إف ماجورز، لا تزال ترتدي ملابس السهرة منذ العشاء، مما يعني أنها إما استغرقت وقتًا لترتديها وإما أنها لم تذهب للنوم بعد. تحركنا ببطء نحو الباب التالي، نظرت إلى الساعة: الثالثة صباحًا.

ربتُّ على كتف سيمون، سألتها: «ما الذي يحدث؟».

همست: «حل رويس القضية. يريدنا جميعًا في عربة البار».

لو كنت أحمل مشروبًا، لكنت بصقته وأنا أقول: «ماذا؟ رويس؟».

- ليس وكأنك لم تحصل على فرص كافية. تبًّا يا إرنست، كان من المفترض أن تصل أنت إلى هذا أولًا.

- حسنًا، وما كل هذا إذن؟

- لا تكن حقودًا، تعرف أنه يجب أن يجمع كل المشتبه فيهم من أجل الكشف الكبير. هذا ما كنت ستفعله، أليس كذلك؟

قلت متجهمًا: «أعرف كيف تكون الخاتمة[1]».

قال فولفجانج من خلفي، يلقنني الكلمة الفرنسية بنبرة تصحيحية على نطقي الخاطئ مثل صب العسل: «دي-نو-موه. وليس دي-ناو-منت».

تمتمت بغضب، رافضًا الالتفات لمواجهته: «ميرسي». في المقدمة، خرجت ليزا من غرفتها، وأغلقت الباب بسرعة من خلفها، وكأنها لا تريد أن يرى أحد الداخل، ثم انضمت إلى الصف.

صفعت يد ثقيلة كتفي، كان فولفجانج مجددًا. لم أستطع أن أرى وجهه، ولكن أمكنني الشعور بابتسامته تحرق مؤخر رقبتي. قال: «يبدو أنه سبقك يا صديقي. سيكون كتابك مجرد ملحق الآن».

كان جمهور رويس أكثر نعاسًا وأقل عددًا مما توقع. ترهلنا على الكراسي والأرائك بينما وقف رويس بجانب البار، يسحب حمالتي بنطاله ويعدُّنا بعينيه. جميع الكتاب كانوا هناك، وإن لم يكن هناك الكثير غيرهم، فقط هارييت، التي بدا أنها استيقظت بسبب الموكب المار

(1) كُتبت بالفرنسية في النص الأصلي: denouement. (المترجمة)

قرب غرفتهما (تخيلت مباراة حجر ورقة مقص بين هارييت وجاسبر ليقررا من سيذهب للتحقق من الجلبة)، وسيمون. غاب كل من جاسبر ودوجلاس ووايت، وكذلك طائفة إريكا ماثيسون. كانت غرفتا آرون وسينثيا على الجانب الآخر من المطعم، وبدا أن رويس لم يوقظهما، ربما لم يعتقد أنهما مهمان.

تردد رويس في البدء، واصل إصبعه النقر في الهواء وهو يحصي الحضور مرة أخرى. أخيرًا، وقف فولفجانج ليغادر، مما دفع رويس إلى اتخاذ قراره، ثم تنحنح بصوت عال، وراح يقول، بدا كأنه قد تدرب على هذا: «أنا متأكد من أنكم تتساءلون لماذا جمعتكم هنا، خاصة في هذه الساعة المتأخرة».

علت همهمات عامة من الرفض. إذ كنا نعرف جميعًا لماذا نحن هنا بالضبط. لكن ذلك لم يثن رويس عن الاستمرار في نصه المحفوظ.

قال: «هذا قد يفاجئ بعضكم، ولكن هنري ماكتافش قد قُتل. وأحد الحاضرين في هذه الغرفة..». تلعثم قليلًا: «أقصد، على متن هذا القطار، هو القاتل».

لقد كشفه هذا التلعثم. لم يرغب رويس في البدء بخطابه لأن شخصًا مهمًّا لنظريته لم يكن موجودًا. يشمل ذلك جاسبر وسيدات نادي الكتاب ووايت وآرون وسينثيا ودوجلاس، وأعتقد أيضًا جولييت. قد يكون رويس غير مدرك أنها غادرت القطار. ذلك يشمل بروك أيضًا، لكنها دخلت الغرفة في اللحظة التي خطر لي فيها هذا، عيناها نصف مغمضتين بينما تحدق إلى المجموعة محاوِلة فهم ما يحدث. جلست بجانب ليزا، التي بدت منزعجة من جلوسها إلى جانبها وأمالت جسدها بعيدًا عنها.

قالت سيمون: «ادخل في الموضوع».

زاد ذلك من توتر رويس فقط.

لم أتمكن من مقاومة السخرية، قلت: «هل تحتاج إلى بعض النصائح؟ لدي خبرة سابقة».

اعتصر قبضتيه إلى جانبه وأخذ نفسًا، ثم قال: «هلا فقط... شكرًا لك يا إرنست، سأتولى الأمر من هنا». راح يعبث في جيبه، وأخرج دفتر ملاحظاته بشيء من الهزيمة، وأزال قلمه من دار جيميناي واستخدمه لتتبع موضعه في خطابه. «العديد منا هنا لديه أسباب ليكره هنري ماكتافش. ربما سعد البعض بمقتله، ولكن هناك شخصًا واحدًا فقط... آه، أجل، واحد فقط». بالتأكيد أن ذلك كُتب بجانب عبارة «وقفة درامية». قال: «شخص واحد فقط مستعد فعلًا لفعلها».

تثاءبت سيمون بصوت عال. وتصاعد الاحمرار من تحت ياقة رويس.

تابع رويس: «لننظر حولنا. لدينا الكاتبة الزميلة التي تعتقد أن هنري سرق إحدى أفكارهاَ. ولدينا الوكيل الأدبي الذي أراد قطعة من أرباح ماكتافش ثم تُرك عند المذبح المجازي». لوح بقلمه باتجاه المتهمين، فعبس كلاهما. وللإنصاف، كانت نظريات رويس معقولة حتى الآن، لقد فكرت في كليهما. «ولدينا الأديب الذي يكره الأدب التجاري».

قال فولفجانج ساخرًا: «هذا هو الدافع الذي اخترته لي؟ لم أقتله».

توقف رويس للحظة، وفكر، ثم مرر قلمه في دفتر ملاحظاته بخط أفقي واضح. بدا أن مجرد معارضته كافٍ ليشطبك رويس من قائمة المشتبه فيهم.

استقر قلمه عليَّ، وقال: «ثم لدينا الكاتب المتعثر. يتحرق بيأس للحصول على سيناريو جديد لكتابه الثاني. ربما يكون قد صنع واحدًا لنفسه. كما أن ثمة مبلغًا من المال على المحك. وربما هناك شخص آخر يريد له النجاح، شخص قريب منه، مثل..». دار رأس رويس بحثًا عن جولييت.

قلت: «هي نائمة». ألقت ليزا نظرة عليَّ كأنها متفاجئة من أنني أكذب. وضعت كلتا يديَّ على خديَّ في حركة متفاجئة ساخرة. «إلا إذا... ربما... ربما هي في الخارج تقتل الناس». شهقت وكأنني اكتشفت شيئًا مفاجئًا.

- إذا كنت لا تنوي أن تأخذ الأمر بجدية...

عقدت حاجبيَّ في تمثيل درامي، وقلت: «الكاتب المتعثر يأخذ الأمر بجدية كبيرة».

رفعت ليزا يدها، وقالت: «هل أنا مشتبه فيها؟ فلتخبرهم لماذا أعتبر مشتبهًا فيها يا آلان».

- حسنًا، إنني أشتبه في علاقة حب قديمة...

قالت ماجورز: «في الواقع، يبدو ذلك محتملًا جدًّا، من زاوية التحليل النفسي».

وجه رويس كلامه إلى ليزا بأسنانه مطبقة، وقال: «تبدين لي كشخص يمكنه أن يتخطى عشرين عامًا كأنها لم تكن». بدا حريصًا بشدة على تجنب ذكر أي دافع محتمل لها، ربما بشكل متعمد للغاية. «لذا، لا أظنك مشتبهًا فيه محتملًا».

سألت ليزا: «هل يمكنني الذهاب للنوم إذن؟».

قال رويس غاضبًا بينما يتطاير البصاق من بين شفتيه: «لا. لم أخبركم بعد..».

قاطعه فولفجانج: «يجب أن أشكرك على هذا يا رويس، عادة ما تفيدني كلماتك في إصابتي بالنعاس. ولكن هذا ممتع إلى حد مفاجئ».

سألت: «وماذا عنك؟ لماذا لستَ مشتبهًا فيه؟».

تعثر رويس بينما يقول: «كان هنري... آه... صديقي».

سألت: «ما رأيك يا ماجورز؟».

- أعتقد أن العلاقة الشخصية المقربة ترفع مستوى الاحتمالية، من ناحية التحليل النفسي.

قلت: «كنت غاضبًا جدًّا لأنه لم يمنحك ذلك الثناء. أخبرتني أنه مدين لك، وبشكل كبير».

شحب وجه رويس، وقال: «لم أقل ذلك».

- بلى، قلت. كنت في حالة سكر شديد حينها. رأيتك وأنت ذاهب لزيارته لتعبر عن رأيك. ربما فعلت له شيئًا آخر غير ذلك.

أخذ رويس نفسًا وقال: «هل يمكن للجميع أن يصمتوا للحظة... الأمور لا تسير هكذا، حسنًا؟ ما يحدث هو أن أحوم في الغرفة، أطعن ادعاءاتكم، ثم أكشف عن القاتل. عادة لا يوجد هذا القدر من المقاطعات في *الخاتمة*».

قلت أنا وفولفجانج في صوت واحد: «دي-نو-موه».

لو كان قطار الغان يعمل بالبخار، لأصبحت أذنا رويس كافيتين لتشغيله. قال: «هناك شخص واحد فقط لديه الدافع الحقيقي. شخص زار هنري في غرفته، واقترب بما يكفي ليضع شيئًا في قارورة مشروبه. شخص غاضب من المبلغ الذي كان على وشك خسارته مع الكتاب القادم لهنري. شخص قدّم لهنري شيكًا بخمسة وعشرين ألفًا ليغيّر النهاية، فرفض هنري العرض، وأحرق الشيك أمام القاتل. أراهن أنك لم تعرف أن لدي هذه الأدلة، أليس كذلك يا إرنست؟» ربَّت جيوبه، باحثًا عن الشيك المحترق ليعرضه، والذي، بالطبع، لم يستطع إيجاده.

أخفيت ابتسامتي.

تابع: «لقد تشاجرا، مما أدى إلى إصابة هنري بنزيف في أنفه. أدرك هذا الشخص أن الكتاب القادم لهنري سيكون أكثر قابلية للتسويق مرتين إذا كان ميتًا بدلًا من أن يكون حيًّا. هذا الشخص كان..».

سريعًا فقط، دعنا نلقي نظرة على عدد مرات ذكر الأسماء، قد يساعدك ذلك في تكوين فكرة عن الشخصيات الرئيسية حتى الآن:

- هنري ماكتافش: 286
- آلان رويس: 220
- سيمون موريسون: 96
- وايت لويد: 90
- إس إف ماجورز: 86
- ليزا فولتون: 83
- فولفجانج: 77
- آرون: 59
- بروك: 56
- جاسبر مردوخ: 55
- هارييت مردوخ: 35
- نادي الكتاب/فيرونيكا بلايث/صاحبة الشعر الفضي: 26
- سينثيا: 25
- أرشيبالد بنش: 24
- إريكا ماثيسون: 11
- تروي فيرث: 3
- جولييت: مستثناة.

- نوح ويتروك: مستثنى (إذ ظهر في منتصف القصة، مما يجعله متأخرًا جدًّا عن أن يكون قاتلًا في لغز نزيه كهذا)

تصعد ماجورز بشكل ملحوظ في الترتيب، بينما هناك تقدم طفيف من الشخصيات المتأخرة في السرد مثل آرون وجاسبر وهارييت وبروك، ليصبحوا متقاربين بشكل متساوٍ تقريبًا. تجاوز رويس الحد الذي يجعله «واضحًا للغاية»، وبالإضافة إلى ذلك، لماذا ينظم هذا الكشف الكبير إذا كان هو القاتل حقًّا؟ يبدو أن بعض الشخصيات ترتفع في الترتيب، ولكن يجدر ملاحظة أن فولفجانج لم يضف سوى سبعٍ وثلاثين مرة منذ آخر إحصاء، لذا فإن أي شيء قد يحدث. ولا تنسَ حساب الهويات المتعددة معًا.

حسنًا، انتهى الفاصل. سأترك رويس لينهي جملته...

«... وايت لويد!».

ساد صمت بينما نستوعب الأمر. لم تكن هناك صرخات دهشة بقدر ما كان هناك حيرة. وبناءً على الإحصاءات، بعد ذكر اسمه الآن ثلاثًا وتسعين مرة، يبدو أن وايت قد أصبح بالتأكيد من بين المشتبه فيهم.

كسرت بروك الصمت بأن سألت بلهجة متشككة: «هل هذا منطقي؟».

رحت أعيد ترتيب الأدلة في ذهني. وايت كان لديه دافع قوي بالفعل، كان رويس محقًّا بشأن الأمور المالية. لكنني سمعت الجدال بينه وبين ماكتافش في كابينة وايت، وليس في كابينة هنري، وهو ما لم يكن رويس على علم به. لذا، فإن حرق الشيك كان سيحدث هناك. وأيضًا، كنت متأكدًا أن ليزا هي التي تسببت في إصابة هنري بنزيف في أنفه.

زمجر رويس بغضب، مصممًا على نظريته: «بالطبع هذا منطقي!».

رفعت سيمون يدها، وقالت: «لست متأكدة من ذلك. أين وجدت الشيك؟».

قال فولفجانج: «خمسة وعشرون ألفًا لن تؤثر كثيرًا على هنري، لا بد أن دفعاته تصل إلى ستة أرقام».

سألت ماجورز: «هل كان لدى وايت كدمات على مفاصل يديه؟ لم ألحظ ذلك».

صاح رويس بأعلى صوته: «اسمعوا! أنا أخبركم ما حدث بالضبط. هنري ماكتافش قُتل. ووايت لويد، من دون أدنى شك في ذهني، هو القاتل بالتأكيد».

لم تمض حتى ثانية واحدة على انتهاء كلامه، حتى سمعنا صرخة من العربات الخلفية. لم يتحدث أحد أو يتحرك لثوانٍ معدودة. ثم اقتحم جاسبر الغرفة لاهثًا، وقال: «وايت لويد قُتل».

قانوني

الفصل السادس والعشرون

الكتاب. الدم. الجثة.

عمت الفوضى غرفة وايت. المرتبة السفلية مقلوبة، الملاءات ممزقة، والوسادة ملقاة على الأرض. طُبع أثر يد بالدم على باب الحمام. وعلى الطاولة التي تحت النافذة كانت كومة سميكة من الأوراق، وفي الأسفل، بين الطاولة والحمام، جلس وايت لويد.

وُضع وايت لويد في الزاوية بين الجدار والحمام ورأسه مائل إلى الأسفل. تدفقت الدماء من عنقه إلى قميصه، في شكل منديل مشبع باللون الأحمر القاتم، وفاضت لتتجمع في بركة بين ساقيه. كان يرتدي شورتًا أزرقَ من الساتان وقميصًا أبيض عاديًّا، ما أوحى أنه كان يستعد للنوم قبل أن يتعرض للهجوم. وأكثر من مشهد الدماء والموت، فإن وجوده بملابس النوم هو ما بدا غير لائق على نحو مهين.

قطعة قماش مغموسة بالدم ملفوفة حول إحدى يديه: شال سيمون الأزرق. وبرز مصدر النزيف من عنقه: ساق قلم دار جيميناي. تذكرت رويس وهو يلوح بقلمه أمامي، بطرفه الحاد كالموس. كان من السهل تخيل مشهد اختراق القلم للأنسجة الرقيقة في عنق وايت، ومحاولاته

للتشبث، يده على باب الحمام، وهو يمسك بأقرب قطعة قماش في محاولة يائسة لإيقاف النزيف.

تجمعنا حول إطار الباب، لا أحد منا يجرؤ على دخول الغرفة. تدافعت رؤوسنا لتحصل على نظرة واضحة، مما أدى إلى ازدحام الممر الضيق. كان رويس في الخلف، يقفز محاولًا رؤية المشهد، بدا منزعجًا من تحول المشتبه فيه الأول لديه إلى ضحية. ذهب جاسبر، بعد تنبيهنا، لاستدعاء آرون.

دفعتني سيمون جانبًا، ونظرت داخل الغرفة لبضع ثوانٍ، ثم استدارت سريعًا إلى الممر. دفنت رأسها بين يديها، وقالت: «يا للقرف، يا للخسارة».

أحطتها بذراعي، وقلت: «أعلم، لم يستحق هذا».

أبعدت ذراعي وكأنها قطعة طحالب، قالت: «يحتاج ذلك الشال إلى التنظيف الجاف فقط». وابتعدت وهي تهز رأسها.

قال رويس: «عذرًا؟ هل يمكنني أن أرى؟» كان لا يزال يحاول أن يدخل رأسه إلى الغرفة، وبسبب قصر قامته، كل ما استطاع فعله هو التدافع بين أكتافنا المتزاحمة. «هيا!».

قالت ليزا وهي تلتفت إليه: «ستلوث مسرح الجريمة».

قال رويس وهو يحاول دفع نفسه إلى الأمام: «أعتقد أنك ستستفيدين من خبرتي الطبية».

- هذا مشكوك فيه، نظرًا لأنك كنت تظنه القاتل.

اعترض رويس قائلًا: «ربما لم يحتمل العيش مع شعور الذنب».

قالت ماجورز: «أن يطعن نفسه في عنقه بقلم ليست طريقة انتحار متعارف عليها. كما أنني لا أعتقد أن كثيرًا من الناس قد يقلبون الغرفة

رأسًا على عقب ويحاولون وقف النزيف بكل استطاعتهم إذا كانوا هم من فعلوا ذلك بأنفسهم».

- دعوني أفحص الجثة وسأخبركم.

لم أتمكن من مقاومة الرد، تقدمت قليلًا أمام الباب لأمنعه من الدخول، وقلت: «رويس، لا أعتقد أنك يجب أن تفحص أي شيء هنا. سمعت أن سيرتك الذاتية كلها كذبة مختلقة. أنت لم تكن مختص علم أمراض قط، كنت مجرد متدرب. إن سيرتك الذاتية منفوخة بقدر غرورك المتضخم».

رد بغضب: «كنتَ سعيدًا بأخذ نصيحتي عندما ناسبك الأمر. لقد درست لعقود! لدي درجتان علميتان. لقد درست في الجامعة نفسها التي درس فيها آرثر كونان دويل، لعلمك فقط. هذه هي مؤهلاتي. وبالمناسبة...» تابع رويس تذمره. «قالت صحيفة صنداي تايمز أنني ملمٌّ جدًّا بالواقعية».

من الواضح أن صنداي تايمز لم تقابل رويس وجهًا لوجه.

- حسنًا، بما أن خبرتك الحقيقية تقتصر على مختبرات الأدلة الجنائية، إذا احتجنا إلى فنجان قهوة، سأحرص على إخبارك.

كان رويس يرتجف من الغضب، قال: «إذا استمررتم في معاملتي بهذا القدر من عدم الاحترام، سأ... سأ... سأمتنع عن تقديم تشخيصي بشأن سبب الوفاة».

قلت: «لديه قلم مغروز حتى نصفه في حلقه، أعتقد أننا سنتمكن من اكتشاف السبب».

عندها، استدار رويس بغضب وغادر، مما اضطر بروك إلى التحرك جانبًا إلى زاوية المطبخ الصغير بينما يمر. انضمت إلى مؤخرة

المجموعة، لكن ليزا وضعت يدها على كتفها وأبعدتها بلطف، قالت: «المنظر بشع للغاية هناك، أنتِ صغيرة جدًّا على رؤية هذا».

في النهاية، كان فولفجانج أول من دخل الغرفة. مرَّ فوق ساقيْ وايت ونظر إلى الورق الذي على المكتب. تبعته إلى الداخل بحثًا عن المزيد من الأدلة، ولكن نظرًا إلى حجم الغرفة، استطعت أن أرى معظم الأشياء المهمة من عند الباب بالفعل. لم أستطع أن أقرر ما إذا قُلبت الغرفة رأسًا على عقب بحثًا عن شيء ما، أم أن الفوضى نتجت عن الصراع العنيف. كانت حقيبة وايت مغلقة على الأرض، لو أن أحدهم يبحث عن شيء ما، فلم يبحث بدقة كافية.

استطعت رؤية الصفحة العلوية من الكومة على الطاولة من فوق كتف فولفجانج، كانت مخطوطة بعنوان: الحياة والموت والويسكي، مكتوبة بخط يشبه الآلة الكاتبة، مع الكلمات: المسودة الأولى وتاريخ انطلاق رحلتنا من داروين، مما يعني أن هنري قد أكملها، أو على الأقل كتب صفحة الغلاف، في اليوم الأول. أسفل ذلك، بخط يدوي أزرق: بقلم هنري ماكتافش. كانت القصة تروي نفسها: ماكتافش أنهى المخطوطة، ووقّعها، وسلمها إلى وايت، وهذا ما أشعل الجدال الذي سمعتُه في الليلة الأولى.

رفع فولفجانج نظره عن المخطوطة، وقال: «إنها ليست رواية من سلسلة موربند». تظاهرت بالدهشة، لم يكن يعلم أنني سمعت وايت يتذمر بشأن ذلك تحديدًا. «لكنها ليست رواية جريمة أيضًا، حسنًا، أدب روائي». رفع حاجبيه. «ليست سيئة».

لم يفُتني أن هذا ربما كان أول إطراء أسمعه من فولفجانج، وهو ما بدا أنه فاجأه هو أيضًا.

قالت ماجورز: «ماكتافش كان يكتب أدبًا روائيًّا؟».

قال فولفجانج: «أعني، إنه ماكتافش في النهاية. لن يتخلى عن كل عاداته، إن أسلوب الكاتب يشبه الوشم، بعض العادات يصعب التخلص منها. لكنه تحسن في بعض النواحي». بدا كأنه أدرك أنه كان لطيفًا جدًّا، فأضاف بلهجة أقل حماسة: «أعتقد ذلك».

فكرت في سيمون وهي تشكو من مبيعات فولفجانج، ولم أستغرب أن وايت كان منزعجًا من الرواية. لم يكن الأمر مجرد انحراف عن شخصية ماكتافش المعروفة، بل هو تحول إلى نوع أدبي أقل رواجًا وربما أقل مبيعًا أيضًا. لكنه تحول مثير للاهتمام، تحول جعلني أرى ماكتافش بصورة أكثر إنسانية. بعد كل الكتب التي باعها، أراد هو الآخر أن يُؤخذ على محمل الجد.

قلت: «حان الوقت لتظهري خبراتك يا ليزا. من هو صاحب رواية الحب والموت والويسكي الآن؟ قانونيًّا؟».

فكرت ليزا لثوانٍ، وقالت: «ما زال ملكًا لماكتافش، في الواقع، حتى لو كان ميتًا. حقوق الطبع والنشر عمومًا محفوظة للمؤلف لمدة سبعين عامًا بعد وفاته. لذا، ما زال أمامه سبعون عامًا في ظني».

- لكن وايت كان سيجني المال من هذا، وهذا ما جعل رويس يعتقد أنه وراء الجريمة. يقدم ماكتافش كتابًا خارج نوعه المعتاد، فيقتله وايت وفجأة ترتفع قيمته. صحيح؟

قالت ليزا: «نعم، لكن فقط بسبب زيادة المبيعات، حق وايت في نشر العمل لن يتغير على الإطلاق. إما أن يكون لديه عقد، والذي سيصبح الآن مع تركة ماكتافش، وإما ليس لديه عقد حالي، مما يعني أنه سيتعين عليه شراء الحقوق من التركة».

قال فولفجانج: «كان هنري أعزب طوال حياته. لا عائلة لديه».

- لمن ستؤول حقوق النشر إذن؟

قالت ليزا: «إما سيكون هناك مستفيدون في الوصية وإما أعتقد أنه سيُحوَّل الأمر إلى محكمة الوصايا، وسيجدون مستلمًا مناسبًا».

- ويمكن للناس أن يزعموا أنهم مستلمون مناسبون، أليس كذلك؟

قالت ليزا: «بلى، هذا هو معنى محكمة الوصايا، هم يديرون ذلك كله». هزت كتفيها. «لكن في حالة هنري، من يمكنه ذلك؟».

تمتم فولفجانج، لا يزال أنفه بين الصفحات: «إخوة مفقودون منذ زمن، إلخ إلخ. سيظهرون عندما يكون المال في الصورة».

- أليس وايت مطالبًا مناسبًا؟

- ليس لكونه ناشر هنري، لا.

قالت ماجورز وهي تقف بجانب مرآة التزيين والخزائن الصغيرة: «لكن لديهما علاقة دامت طويلًا. ليس غريبًا التفكير في أن يصبح وايت مستفيدًا من تركة هنري. أصدقاء العمر لديهم الحق في الوصية. هذا يعطي وايت دافعًا للقتل، مجددًا. لكن ما هو الدافع لقتل وايت؟ حسنًا، الشخص الأكثر احتمالًا للاستفادة من موته سيكون الثاني في ترتيب المشتبه فيهم. بالمناسبة، القلم المغروز في عنقه يحمل علامة جيميناي. من أين تحصل على واحد من هؤلاء؟».

قلت: «هدية نشر. رويس لديه واحد».

قال فولفجانج: «كان معه في أثناء حديثه القصير، لو أمكنني القول، لقد بذل جهدًا رهيبًا لكي نراه في يده». تخيلتُ رويس وهو يتنقل بيننا بعد أن جمعنا، يتأكد أن القلم يشير إلى كل واحد منا. كانت ملاحظة حادة.

قالت ليزا: «على الأرجح كان لدى ماكتافش واحد أيضًا. هل رأيت قلمًا مشابهًا في جناحه؟».

هززت رأسي. القلم الوحيد الذي رأيته كان قلم تحديد. لكن مرة أخرى، لم أكن أول من وصل هناك، ماذا قالت بروك؟ إنها جاءت هنا من أجل تذكار.

قال فولفجانج، اضطررت إلى تتبع نظرته لأرى من يخاطب، ليزا: «وأنت، قبل أن تغيري دار النشر».

قالت ليزا: «ربما لدي واحد في مكان ما. لا بد أنه مدفون في صندوق ما بالمنزل. لقد نشرت مع جيميناي منذ زمن».

قال فولفجانج: «هذا مريح».

أشارت ماجورز إلى الخزانة، حيث اصطفت صناديق خشبية بجانب الخزنة الصغيرة، التي كانت مفتوحة وفارغة. قالت: «وماذا عن هذا؟» فتحتْ أحد الصناديق. بداخله، فوق قطعة من الحرير الأبيض، كان هناك قلم من دار جيميناي. فتحت الصندوق الآخر، وحوى الشيء نفسه. لم أدرك من قبل، لكن صندوق القلم الفاخر يشبه التابوت إلى حد كبير. «ربما كان هناك صندوق ثالث».

قال آرون عند الباب: «ما الذي تفعلونه جميعًا؟» كان جاسبر وهارييت يقفان خلفه، يبدو أنهما أحضراه.

قلت: «نحقق».

قالت ليزا: «نفكر».

قال فولفجانج: «نقرأ».

صاح آرون بينما يدفعنا خارجًا إلى الممر ويغلق الباب من خلفنا: «اخرجوا. اخرجوا. اخرجوا! لا أصدق أنني مضطر لقول هذا، لكن هل يمكنكم ألا تلعبوا حول جثة؟».

قلت: «لسنا نلعب. إذا كان هناك قاتل في القطار، فإننا نريد معرفة من هو قبل أن يقتل واحدًا آخر منا».

تمتمت بروك بصوت مرتجف: «واحد آخر؟».

سألت آرون: «كم من الوقت تحتاج الشرطة إلى الوصول إلى هنا؟».

- إننا في منتصف الصحراء، لا يمكنهم الوصول إلينا.

قلت: «فليرسلوا مروحية».

قال بينما يمضغ شفته: «جميعها مشغولة في إخماد حرائق الغابات. ليست هناك طائرات متاحة». فكرت في نفسي: ذلك الطائر اللعين.

قالت ماجورز: «فلنعد أدراجنا إلى أليس سبرينجز، ماذا في ذلك، قرابة ست ساعات؟».

- آه، أجل، سأدير القطار إلى الوراء في الحال، ما رأيك؟

قلت: «حسنًا، أوقف القطار واستدع حافلة».

- هذا خط شحن يعمل بشكل دائم، علينا الوصول إلى محطاتنا حتى تتمكن قطارات الشحن من تجاوزنا.

قال فولفجانج: «حسنًا، فلتغيروا مواعيد قطارات الشحن اللعينة. أريد النزول من كومة الخردة هذه فورًا». بدا مظهره في غاية التهديد رغم أنه يرتدي بيجامة مخططة، إذ وقف شامخًا أمام آرون.

فقد آرون صبره أخيرًا، وقال: «اسمعوا! لا أحد منكم محقق أو شرطي. سيحدث تمامًا مثلما حدث عندما وجدنا الجثة الأولى، سأطلب منكم العودة إلى مقصوراتكم والانتظار. سنتوقف في مانجوري حيث سينضم إلينا ضابط شرطة، سنسمح لقطار الشحن الذي خلفنا أن يتجاوزنا، ثم سنتجه مباشرة إلى أديلايد».

سألت ليزا: «ماذا عن كوبر بيدي؟ يفترض أنها وجهتنا التالية في الجدول».

أضفت قائلًا: «إنها بلدة صغيرة، لكنها تحوي ما لا يقل عن ألف شخص، صحيح؟».

قال آرون: «لن نتوقف في كوبر بيدي، سنتوقف في مانجوري، هذه أقرب نقطة على خط القطار إلى كوبر بيدي. مانجوري ليست محطة متكاملة، بل رصيف في وسط الصحراء مصمم ليسمح لقطارات الشحن بتجاوزنا، ولا خيار لدينا سوى التوجه إليها إذا لم نرغب في أن يصدمنا قطار شحن من الخلف. ثمة أربعون كيلومترًا من الأنفاق والمناجم بيننا وبين المدينة. صدقوني، الخطة الأفضل هي التوقف في مانجوري، ننتظر مرور قطار الشحن، ثم نتجه مباشرة إلى أديلايد. آمل أن نصل هناك قبل موعد وصولنا الأصلي بقرابة اثنتي عشرة ساعة».

كان فولفجانج بالفعل قد سار مبتعدًا، صاح من فوق كتفه: «حسنًا، وأنا آمل ألا أموت. سأتناول طعامي في غرفتي، من فضلكم».

بسط آرون يديه، كما لو يحاول توضيح أنه لا يملك شيئًا أفضل ليقدمه لنا. وصلت سينثيا مع كرسي ووضعته في الممر. بدا واضحًا أن هذه كانت التعليمات: ستكون الحارس الآن.

بدأ الأدرينالين يتلاشى ونفقد الإحساس بالوقت، كان الفجر قد اقترب. شعرت أن قول: تصبحون على خير، سيبدو غريبًا ورسميًّا جدًّا، ولكنه لا يتناسب مع الموقف. حملت عبارات مثل: «نم جيدًا» ضمنيًّا معنى خفيًّا مثل: ابق آمنًا. وعبارة: «أراك غدًا» أصبحت سؤالًا مظلمًا. لكننا تجنبنا المجاملات على أي حال، وتفرقنا ببطء نحو غرفنا.

كانت ليزا هي الأخيرة التي بقيت عندما وصلت إلى باب غرفتي. كانت غرفتها أقرب إلى البار، مما يعني أنها تبعتني عمدًا متجاوزة غرفتها إلى غرفتي.

سألت: «ماذا تظن؟ الحب أم المال؟».

قلت، مفكرًا في جاسبر تحديدًا: «لا يمكن أن يكون الأمر متعلقًا بالمال فقط. كل من لديه دافع مالي لقتل ماكتافش لا يملك دافعًا لقتل وايت». بدت تأملاتي في وقت متأخر من الليل بأن لديه دافعًا لإزالة المنافسة مضللة الآن. كان قتل ماكتافش لتأمين صفقة كتاب منطقيًّا بما يكفي لجعله مشتبهًا في ذهني الليلة الماضية، لكنه أعطاه على الأرجح أقل الدوافع لقتل وايت، الذي قد أبرم معه صفقة للتو. «كيف عرفتِ أن هذا سيحدث؟».

عقدت ليزا حاجبيها، وقالت: «لم أقل ذلك».

- قلتِ إن شيئًا ما سيحدث، وأنني سأعتقد أنك القاتلة. ربما توقعتِ أن يُعثر على الجثة لاحقًا في الصباح. ربما أفسد جاسبر الأمر باكتشافها مبكرًا. هل هذا ما قصدتِه؟

نظرت يمنة ويسرة. كان الممر المظلم فارغًا، بينما راحت ظلال النباتات الجانبية تتراقص على وجهها مثل عجلة روليت تضيء وتظلم. اقتربت مني، وأخفضت صوتها قائلة: «هل هذا حقًّا السؤال الذي تريد طرحه ونحن وحدنا؟».

قلت: «عليك أن تبذلي مجهودًا أكبر إذا أردت أن تبدين مُهددة. استخدمي كتفيك قليلًا. كما أنك أنت من تبعتني إلى هنا. كنت أفكر فيما يعنيه كتابة كل هذا. تريدين أن تضمني مكانًا في هذا الكتاب، أن تكوني شخصية ذات مساحة كبيرة بما يكفي للكتابة عن قصتك. لهذا السبب

تبذلين جهدًا لافتعال مشاهد. لا أعتقد أنك القاتلة، لكن ثمة ما تريدين مني أن أكتبه عنك».

ارتعشت وجنتها قليلًا.

تابعت: «لا يمكنك تشويه سمعة الموتى، إذا كان هذا ما يشغلك». عندما بقيت صامتة، تابعت التحقيق، قلت: «لم أكن أعلم أن وايت نشر كتابك».

قالت: «نشر وايت روايتي الأولى. الكتاب الذي عن سارق السيارات. ليس وكأنني أخفي ذلك. يمكن لأي شخص أن يبحث عنه. وقد نقلت هذا الكتاب إلى دار نشر أخرى. قرار تجاري بحت». رفعت إصبعها. «قبل أن تتسرع في استنتاجاتك».

- لم أفعل.

قالت: «إنني أصدق هذا بقدر أقل من تصديقي لآرون وهو يقرر إبقاءنا على متن مصيدة الموت هذه». اقتربت مني أكثر. «إليك الخبرة القانونية التي طلبتها مني. لقد عملت مع جهات إنفاذ القانون بما يكفي لأعرف كيفية عملهم. يمكنهم بسهولة نقلنا بحافلة إلى كوبر بيدي، إنها بلدة صغيرة، لكن بها فندقًا ومطارًا صغيرًا. لكن كلما زادت الروابط في سلسلة ما، مثل الحافلة إلى البلدة، على سبيل المثال، أصبحت أضعف. نحن الآن مقيدون. لا أحد يصعد، لا أحد ينزل».

أدركت فجأة، وقلت: «لا يمكنهم ذلك».

- بلى، يمكنهم. لا يريدون لهذا القاتل أن يهرب. لذا حبسونا معه. طوال الطريق.

الفصل السابع والعشرون

يقول المثل: «لا تمشِ إلى الخلف في كوبر بيدي».

تشتهر كوبر بيدي بشيئين. الأول، الحرارة القاسية التي تجبر الكثير من سكان البلدة الصغيرة، البالغ عددهم نحو ألف شخص، على العيش تحت الأرض. محفورة منازلهم في جوانب الجبال، بغرف معيشة صخرية تشبه الملاجئ النووية من خمسينيات القرن الماضي. الأبواب الأمامية إما مداخل محفورة في المنحدرات وإما فتحات في الأرض نفسها. والمثير للدهشة، بالنظر إلى الشيء الأول، أن الشيء الثاني الذي تشتهر به البلدة ليس نقص فيتامين د، بل تعدين الأوبال. والأكثر غرابة، بالنظر إلى الثروات المدفونة تحت الأرض، أن البلدة ليست بالكامل تحت سيطرة شركات تعدين بمليارات الدولارات، بل تتم أعمال التنقيب فيها إلى حد كبير بواسطة مزيج من العمليات الصناعية والمغامرين الطامحين. تقول الشائعات إن البلدة مليئة بمليونيرات سريين يختارون عرض مظاهر الفقر حتى لا يشتبه الناس في قيمة أراضيهم ويحاولوا الاستيلاء على ثرواتهم.

إن تعدين الأوبال عملية بسيطة: احفر حفرة، تحقق منها، ثم اتركها. تفرض بيدي كوبر قاعدة بأن تُترك فتحات المناجم مفتوحة

وبجانبها كومة التراب المستخرجة. وهذا يخدم غرضين: منع الناس من السقوط في فتحة منجم لم تُملأ على نحو صحيح، ولتوحي بأن الموقع قد استُكشف بالفعل. ترتب على ذلك أن الصحراء باتت تعج بفتحات الحفر، وفتحات المناجم، وأكوام التراب. ورغم أن كوبر بيدي لم تكن مرئية من المحطة في مانجوري، حيث يقف القطار الآن بلا حراك، فإن حفريات التنقيب تلك تناثرت أمامي مثل حزام كويكبات يتمدد باستمرار. كل حفرة غالبًا ما تبعد مسافة متر واحد فقط عن الأخرى، مع أعماق متفاوتة تتراوح بين الآمن والمميت. لذا، النصيحة العامة هي أن تراقب خطواتك دائمًا. ومن هنا جاءت القاعدة: لا تمشِ إلى الخلف أبدًا.

لم أكن في خطر كبير من السقوط في فتحة تنقيب، نظرًا لأننا كنا محبوسين في غرفنا لبقية الرحلة. لم أشعر بالغيرة من آرون وسينثيا في الطرف الآخر من القطار، حيث لم يكن الضيوف غير المشاركين في المهرجان على علم بمقتل ماكتافش المحتمل أو مقتل وايت المؤكد، وكانوا على الأرجح منزعجين فقط من اختصار برنامج رحلتهم التي تحدث مرة واحدة في العمر.

نظرت من النافذة إلى آلاف العلامات التي تشبه تلال النمل الأبيض وتشير إلى مواقع التنقيب. انهمكت في محاولة الوصول إلى الحقيقة وسط العديد من النظريات والدوافع والمشتبه فيهم. كان حل الجريمة يشبه كثيرًا تعدين الأوبال: احفر حفرة، تحقق منها، ثم اتركها. لو كنت صادقًا معك، فقد ظننت أنني حللت ما يكفي منها لأستبعد أربعة مشتبه فيهم في هذه المرحلة، وكل ما كنت أحتاج إليه هو قطعة واحدة فقط لاستبعاد البقية. كل ما كان عليَّ فعله هو حفر حفرة أخيرة.

أثارت سيارة لاند كروزر ذات الدفع الرباعي سحابة من الغبار بينما تشق طريقها بين مواقع التنقيب عن الأوبال، وتوقفت بجانب القطار.

لم تحمل السيارة علامة الشرطة، ولا يرتدي الرجل الذي نزل منها زيًّا رسميًّا أيضًا، لكن من الواضح أنه كان إما ضابطًا وإما محققًا. يحمل حقيبة ويعتمر قبعة واسعة الحواف مهترئة من كثرة الاستخدام، على عكس أغراض السياح الخفيفة التي ارتداها دوجلاس. ارتدى الرجل ملابس قشدية اللون وفضفاضة تناسب المزارعين ولديه شارب كثيف بدا كأنه نما ليمنع الذباب من دخول فمه. مال إلى باب اللاند كروزر وتحدث عبر جهاز لا سلكي مثبت على لوحة القيادة، ثم سار باتجاه القطار وطرق على جانب عربة البار.

عم الصمت أرجاء الممر، بدا أن الضيوف الآخرين كانوا أكثر التزامًا بالقواعد أكثر مني، لدرجة أنني شعرت وكأن مغادرتي لغرفتي تصرف محظور. بعد قضاء ثلاثة أيام في حركة مستمرة مع صوت ارتطام القضبان أسفلنا، أصبح الصمت أشد وطأة. يبدو القتل مثيرًا في الروايات، لكنه في الواقع الحقيقي رحلة مليئة بالأدرينالين، وأحيانًا تحتاج إلى لحظة وحدك. كان هذا هو المزاج السائد في العربة: الجميع منعزلون وغارقون في التفكير.

نامت سينثيا على الكرسي خارج غرفة وايت. مشيت على أطراف أصابعي إلى أن تجاوزتها.

في عربة البار، كان آرون يتحدث إلى الضابط عندما لمحني. رفع ذراعه على الفور مشيرًا بإصبعه، قال: «لا، لا لا لا، ليس مجددًا. ليس أنت. لدينا محترفون الآن. عد إلى غرفتك، من فضلك».

قلت: «أريد أن أعرف ما الذي يحدث».

ارتعش شارب الشرطي بابتسامة ساخرة، قال: «هل هذا هو المحقق الهاوي؟ الذي كان يساعد؟».

قال آرون بحزم: «لم يكن يساعد. لقد كانوا يثيرون الفوضى بمعنى أدق».

دلفت إلى عربة البار ومددت يدي للشرطي، وقلت: «إرنست». صافحني وقال بدوره: «المحقق هاتش».

توسل آرون: «من فضلك أيها المحقق، هذا العبث قد طال بما فيه الكفاية. لا أعتقد أننا يجب أن نسمح بهذا أكثر من ذلك».

- سأحتاج إلى أن أتحدث مع إرنست في مرحلة ما، ربما يكون الوقت مناسبًا الآن. أنا متأكد من أن مساهماته ستكون قيمة.

لم أستطع إلا أن أنفخ صدري قليلًا. مساهماتي ستكون قيمة. بالطبع ستكون كذلك. وضع المحقق يده على ظهري وقادني بلطف إلى مقعد. استطعت أن أشعر، حتى من خلال قميصي، بيديه القويتين والخشنتين. بدا مستقرًّا، غير متعجل، خمّنت أنه يخطط للسفر معنا إلى أديلايد، ثم ركوب القطار التالي عائدًا إلى مانجوري لاستعادة سيارته.

قال هاتش: «أخبرني بما تعرفه يا شريكي». وأعترف أن كلمة شريكي أثارت داخلي شعورًا طفيفًا بالحماسة.

- حسنًا، ما حدث أن هنري ماكتافش انهار في وسط الندوة صباح أمس. نحن نشك أنه كان سمًّا. الهيروين على الأرجح، رغم أننا لا نستبعد أي نظريات أخرى.

- نحن؟

- آلان رويس وأنا.

ضمَّ هاتش يديه معًا أمامه، وقال: «آه، مختص علم الأمراض السابق؟» ظننته واحدًا من أولئك المحققين ممن يمتلكون عقولًا حاضرة بما يكفي لكي تجعلهم لا يحتاجون إلى ملاحظات. من نوعية موربند

الحقيقية. أومأ ببطء، وأضاف: «حسنًا، يبدو أنك محق، نحن نظن هذا. هو الهيروين، وفقًا لتحاليل الدم».

بيني وبينك، فكرت أنه سواء كان متدربًا أم لا، فقد أثبت رويس جدارته.

سأل المحقق: «وماذا بعد؟».

قلت: «معظم الأشخاص هنا كان لديهم سبب ما للإطاحة بماكتافش. أعتقد أن الأسباب تراوحت بين البغض والكراهية الشديدة، هذا يعتمد على المشتبه فيه. بدءًا من إس إف ماجورز، على سبيل المثال. هي تعتقد أن ماكتافش..».

فتح هاتش يديه وقاطع شرحي قائلًا: «أجل، أجل. دعنا نتحدث عن جميع الحقائق قبل أن ندخل في النظريات. ماذا عن الجريمة الثانية؟».

قلت: «وقعت في وقت مبكر من هذا الصباح. وجدنا وايت، ناشر ماكتافش، مطعونًا في عنقه بعد مغادرة القطار أليس سبرينجز. وهذا يجعل الأمور معقدة: يمكن القول إن وايت كان لديه أكبر دافع لقتل ماكتافش، لأنه كان سيجني مبلغًا كبيرًا من المال جراء ارتفاع قيمة الكتاب بعد وفاته». شرحت له ما وراء الكواليس عن السبب الذي يجعل الكلمات الأخيرة لماكتافش -حرفيًّا، اسمه المكتوب بخط اليد على صفحة الغلاف كان على الأرجح آخر أثر تركه في العالم -تزيد من قيمة الكتاب لناشره. «ولكن من لديه الدافع لقتل وايت؟ حسنًا، إذا نظرنا إلى المشتبه فيهم مرة أخرى، يمكننا التفكير في ليزا فولت..».

- أجل. هذا عمل ممتاز. أجل.

- لم أخبرك بنظرياتي حقًّا بعد.

قال وهو يمد يده إلى جيب صدره ليخرج دفتر ملاحظاته، وضغط على قلمه، ثم راح يلفه بين أصابعه كما لو كان قطعة بوكر: «سنصل إلى ذلك، سنصل إليه. والآن، وايت لويد. وجدتم جثته بعد أن بدأ القطار بالتحرك. حسنًا، جاسبر هو من وجدها. هو في الغرفة المجاورة، قال إنه سمع الجميع يمرون أمام الغرفة، وبمجرد أن استيقظ، استطاع أن يشم رائحة الدم. هل رأى أحد وايت يغادر العشاء في محطة التلغراف؟».

قلت: «أنا لم أره، لا أستطيع التحدث نيابة عن الآخرين. هل ترغب في أن أتابع ذلك في مقابلاتي القادمة؟».

قال بينما ينقر على القلم وهو يدور: «دعنا نمضي خطوة بخطوة. قبل أن نضيف المزيد إلى قائمتك. لذا لم يره أحد منذ العشاء. هل من المحتمل أنه مات قبل أن تغادروا أليس سبرينجز؟».

- لا أظن ذلك. بدت الدماء حديثة، تقريبًا.

نطق الكلمة كما لو كانت لغة مختلفة: «تقريبًا؟ هل هذا رأي رويس الطبي؟».

تنحنحت، وقلت: «ليس بالضبط. لقد ارتأيت أن رويس يشكل نقطة ضعف، لذا اعتقدت أنه من الأفضل أن يبقى بعيدًا عن هذا الأمر».

قال المحقق هاتش: «أحسنت التصرف، لقد أبعدت رويس، الذي بدا كأنه نقطة ضعف واضحة. قرار معقول. أبعد أولئك الذين يعرقلون التحقيق واستخدم خبرتك الخاصة، الواسعة جدًّا». ركَّز على كلمة «واسعة» بوضوح.

أخذ شعوري بالفخر يتلاشى بسرعة. أدركت أن اختياراته للكلمات مثل: قضية، وشريك، تشبه الطريقة التي ترسل بها طفلًا إلى المتجر لشراء آيس كريم: *والآن، لدي مُهمة هامة جدًّاااااااا لك، أيها النائب!*

قال وهو يدور قلمه في الهواء: «ثم توصلتم إلى الإجماع الطبي بشأن وقت وفاة وايت، كيف بالضبط؟».

- كان ذلك واضحًا جدًّا.

- أجل، دماء حديثة تقريبًا. جيد جدًّا.

- هل تستهزئ بي؟

قال: «لا يا سيد كانينجهام، إنني آخذ الأمر بجدية شديدة». دوَّن شيئًا. «إذن، من المرجح أن وايت لويد قد قُتل قبل مغادرة الغان لأليس سبرينجز».

- أفترض ذلك. أعني، لقد كانت الدماء حديثة.

- تقريبًا.

تراجعت قائلًا: «أجل، من الممكن أنه كان ميتًا لبعض الوقت. لا أعلم».

- آه.

ملت نحوه، وقلت: «انظر. ألم ترد أن تعرف تحليلي للمشتبه فيهم؟ لقد أجريت بضعة استجوابات».

- استجوابات؟ مذهل.

- في رأيي...

ابتسم وقال: «أظن أننا سنلتزم بالحقائق فقط حاليًّا يا سيد كانينجهام».

- أنت لست مهتمًّا برأيي في هذا الأمر على الإطلاق، أليس كذلك؟ كنت تحاول أن تتملقني فقط.

ظهرت أسنان هاتش من خلال شواربه الكثيفة، مثل نمر أبيض يطل من خلف أشجار غابة كثيفة، قال: «لا، لا أحتاج إلى نظرياتك العشوائية،

ويمكنني الاستغناء عن تمثيلياتك. كل ما أحتاج إليه هو مساعدتك في التأكد من بعض الحقائق المتعلقة بالخطوط الزمنية للجرائم».

استدرت نحو آرون، وقلت: «لن أجلس هنا وأتلقى الإهانات بينما هناك قاتل طليق في هذا القطار. دعني أساعدك».

قال آرون: «إنك في أمان تام. القاتل ليس في القطار على الإطلاق، إذ قُبض عليه في أليس سبرينجز».

قال هاتش بحزم: «هذا يكفي. شكرًا». لكن آرون قد قال أكثر مما ينبغي بالفعل. التفت هاتش نحوي، فأدركت أنه حتى لو لم يهتم باستنتاجاتي، فهو يحتاج إلى أن أخبره بشيء ما.

قلت: «ألقيتم القبض على شخص؟ من؟» قفزت أفكاري بين كل من رأيتهم منذ صعودي إلى القطار. كنت متأكدًا أنني رأيت الآخرين يصعدون، ربما باستثناء وايت. هل حقًّا تم قتله قبل مغادرة المحطة؟ كنت أعلم أن هاتش لا يثق كثيرًا في آرائي الطبية، لكن حتى هو قد يعترف بأنني أستطيع التمييز بين الدم الطازج والجاف. التفتُّ إلى آرون، وقلت: «لا أفهم من يمكن أن تكونوا قد قبضتم عليه في أليس سبرينجز. لا أعتقد أننا في أمان على الإطلاق».

قال هاتش مطمئنًا: «هي رهن الاحتجاز، أنتم بأمان».

- هي؟

ضاقت عينا هاتش عندما أدرك خطأه. وأدركت فجأة سبب رغبته في الحديث معي. ولماذا لم أتلق مكالمة أو رسالة قبل أن نفقد إشارة استقبال الهاتف. ولماذا كان قلقًا من أن يخبرني آرون أكثر من اللازم.

شحب وجهي، وقلت: «لا بد أنك تمزح!».

- غادرت جولييت العشاء قبلك. هل رأيتها مجددًا قبل المغادرة؟

هممت بالنهوض، وقلت: «هذا سخيف».

وضع هاتش يده الثقيلة على كتفي ودفعني إلى الأسفل. رغم ملابسه غير الملائمة، كان ذا بنية قوية، وفاجأتني قوته وتغلبت علي، قال: «أحتاج إلى أن تجيبني عن السؤال». ضغط قليلًا على كتفي. «وهذا ليس سخيفًا. كانت جوليت ترتدي الشال الذي وُجد ملفوفًا حول قبضة الرجل الميت. ما لم تستطع تفسير ذلك، أحتاج إلى أن أعرف إذا كنت قد رأيتها بين العشاء والمغادرة».

- أنت مخطئ. إنه شال سيمون، جولييت استعارته فقط.

- إذن فقد أعادته جولييت إلى سيمون، صحيح؟

قلت: «حسنًا، لا... لكنها تركته على طاولة الإفطار». ثم تذكرت شيئًا. «أخذه وايت! لأنه عرف أنه يخص سيمون. أخبرني أنه سيعيده إليها».

ثبت هاتش عينيه في عينيَّ، وقال: «إذن الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يؤكد على أن الشال لم يكن مع جولييت هو شخص ميت؟».

قلت متوسلًا: «هذه هي الحقيقة. ولا، لم أرها بعد العشاء».

- لكنها غادرت قبلك، صحيح؟ استقلت سيارة أجرة. لقد تحدثت بالفعل مع السائق الذي أوصلها إلى المحطة في أليس.

كنت أرتجف غير مصدق. قلت: «ربما لأنها وسط البلدة؟ لا تزال حقائبها في المقصورة، لم تُلمس. هي لم تعد إلى القطار».

- أو هذا ما تريدك أن تعتقده. لماذا قد تغادر القطار؟ الناس يحلمون بهذه الرحلة، وهي تغادر مبكرًا؟ إلا إذا أرادت الهرب من شيء.

كان هذا السؤال لاذعًا. لا بد أن هاتش يعرف السبب الحقيقي لمغادرتها. بالتأكيد جولييت كانت ستشرح دوافعها بشكل منطقي عندما استجوبوها. بالتأكيد.

لقد اكتفيت. سألت بحزم: «هل يمكنني الذهاب الآن؟».

خفف هاتش من قوة ضغطته على كتفي واستبدله بتربيت خفيف، مثلما يربت الطبيب على كتف طفل بعد أخذ حقنة ليقول له: أرأيت؟ ليس الأمر بهذا السوء. قال: «بالطبع، شكرًا على خبرتك».

لم أستطع مقاومة قول الكلمة الأخيرة وأنا أقف: «خطيبتي ليست قاتلة».

قال هاتش ساخرًا: «لكنها «تقريبًا» خطيبتك، أليس كذلك؟».

لم أسمح للفكرة بأن تجد طريقها إلى ذهني. ولا حتى لثانية واحدة. لم تخطر ببالي مطلقًا. جولييت بريئة. لا بد أن تكون كذلك. وهذا الإيمان الأعمى، الذي أرادتني جولييت أن أتحلى به قبل اثنتي عشرة ساعة، عندما كنت على ركبة واحدة في التراب، أيقظ شيئًا جديدًا بداخلي.

لا يحتاج محققو العصر الذهبي إلى التعمق في الشخصيات أو الدوافع، بمعنى: الفضول الفكري هو سبب وجودهم. يكفيهم أن يحكوا حكة غامضة، أن يحلوا لغزًا فقط لأنه موجود ليُحل. بدأت من هذا المكان، بدافع الفضول فقط بشأن تركيب القطع معًا، دونما اهتمام بما قد تعنيه الإجابة. لكن دوافعي اتسعت، أردت أن أبني كتابي على هذا الأساس، ثم، مع كون وفاة وايت أكثر عنفًا بكثير من وفاة ماكتافش، تحول السعي وراء الحبكة إلى خوف. لكن كل هذه الدوافع -الفضول إلى السعي للوصول إلى الأمان- كانت دوافع أنانية. وهذا بالضبط ما قالته جولييت عن نظرتي لهذه القصة. قصتي.

تخيلت جولييت جالسة على مقعد ألومنيوم بارد في زنزانة احتجاز. لم يعد دور المحقق مجرد تمثيلية. لم أعد أرغب فقط في حل هذه القضية، بل توجب عليَّ ذلك. وبسرعة.

جاء هذا الإدراك في اللحظة نفسها التي حدث فيها شيئان في الوقت ذاته. الأول، صوت آرون عبر نظام الاتصال الداخلي، معلنًا أن المسارات أصبحت خالية وأننا سنغادر مانجوري لنبدأ رحلتنا الأخيرة إلى أديلايد خلال خمس دقائق. والثاني، أنني لاحظت أن نافذة سيارة لاند كروزر الخاصة بالمحقق هاتش كانت مكسورة، وظل أحدهم جالسًا على مقعد السائق.

اندفعت خارج الغرفة. لم يكن عليَّ الذهاب بعيدًا إلى عربة البار لأصطدم بهاتش، الذي كان ينظر بداخل غرفة وايت، وهو يهز رأسه متذمرًا بينما يفحص المكان. كانت سينثيا، التي استيقظت الآن، قد نهضت من مقعدها بينما اقتربت. استدار هاتش ومد ذراعه ليمنعني.

قال هاتش: «أعتقد أنك من الأفضل أن تبقى بمقصورتك». لكنني استطعت أن أرى من خلال الفجوة بين ذراعه وجسده، وقد رأيت ما يكفي لتأكيد شكوكي. أضاف: «هيا يا صديقي. أصبح هذا الأمر الآن من اختصاص المحامين والمحاكم».

أوشكت أن أقول له: «هناك من يسرق سيارتك اللاند كروزر»، لكن بدلًا من ذلك، رفعت يدي مستسلمًا وتراجعت معتذرًا. حاولت أن أبدو طبيعيًّا قدر الإمكان في أثناء عودتي إلى غرفتي، لكن ساقي كانتا تحكانني للركض، فانتهيت بأن مشيت مشية سريعة متيبسة. ألقيت نظرة سريعة لأتأكد أن هاتش قد استدار بينما اقتربت من غرفتي، ثم تجاوزتها واستمررت في السير نحو فاصل العربات. بمجرد عبوري الباب، أطلقت ساقي للركض. ركضت عبر العربات المتبقية بسرعة، متمايلًا على جدران الممرات الضيقة، حتى وصلت أخيرًا إلى العربة الخلفية، حيث فتحت باب شرفة التدخين بقوة.

ضربتني حرارة الصحراء مثل جدار. جعلني الضوء الأبيض الساطع أغمض عيني للحظة. ثم هدرت محركات القطار عائدة للحياة وبدأنا في التحرك نحو أديلايد. نظرت إلى نهاية القطار، حيث تحولت الأرض تحته إلى حزام ناقل. زادت السرعة، من مشي إلى ركض خفيف إلى عدو. استحالت الأرض ضبابية. لم يعد هناك مجال للتردد. لقد انتهيت من حفر الحفر. حان الوقت للعثور على الأوبال. أمسكت بسياج الحديد وقفزت فوقه، هابطًا بقوة على القضبان مع صوت قرقعة تحت قدمي.

الفصل الثامن والعشرون

لم أملك الوقت للتفكير في عواقب ابتعاد القطار عني وتركي من دون ظل أو طعام أو ماء، وعلى بعد أربعين كيلومترًا من الصحراء القاحلة التي تفصلني عن أقرب بلدة. أو في حقيقة أنني كنت وحدي أطارد قاتلًا محتملًا، ليس فقط وحدي، بل على قدمي، بينما هو لديه سيارة. كنت أتصرف بناء على غريزتي والأدرينالين فقط.

كنت أشك أنهم سيسرقونها في مرحلة ما، لكنني لم أعرف متى بالضبط. لكن عندما رأيت الظل جالسًا في سيارة لاند كروزر وتذكرت سينثيا وهي نائمة، علمت أن الأمر قد حدث. لمحة سريعة من فوق كتف هاتش إلى غرفة وايت كانت كل ما أحتاج إليه: الطاولة بجانب النافذة كانت فارغة. رواية الحياة والموت والويسكي قد اختفت.

ركضت بأقصى سرعة على طول القضبان، تسببت حركة القطار في إبعادي عن سيارة اللاند كروزر، لذا كان عليَّ العودة إليها. تلاشى صوت اهتزاز قطار الغان، واستطعت الآن سماع صوت محرك يئن بينما يحاول شخص ما جاهدًا لتشغيل السيارة بواسطة الأسلاك، انزلقت أصابع الشخص المتعرقة عن الأسلاك عندما رآني قادمًا. كنت على بعد قرابة

خمسين مترًا من السيارة عندما استسلم، وترجَّل منها إلى الصحراء، نظر إلي للحظة، ثم ركض عبر الطريق واتجه نحو حقول الأوبال.

صحت: «ليزا! انتظري!».

انحرفتُ عن القضبان ودخلت إلى الحقول، متجاوزًا لافتة ضخمة تحمل علامة جمجمة وعظمتين متقاطعتين، مكتوب عليها: **تحذير: فتحات تنقيب مكشوفة، ممنوع الدخول سيرًا على الأقدام.** ركضت متجاهلًا التحذير. كانت ليزا أمامي، والمسافة بيننا تقل بقرابة عشرة أمتار. رحت أراقبها بينما أحاول إبقاء نظري منخفضًا. تفتحت الأرض من حولي إلى آبار متباعدة، مع أكوام التراب بجانبها. توخت ليزا مزيدًا من الحذر حول فتحات المناجم مني، لذلك كنت أقترب منها أكثر فأكثر.

صرخت قائلًا: «أعرف ما حدث! من فضلك، لنتحدث في الأمر».

لكن ليزا لم تتوقف. فاستمررت في الجري متعرجًا بين الحفر والتراب، أقترب منها خطوة بخطوة. أقرب. فأقرب. ركزت على ظهرها بينما تقل المسافة بيننا. ثلاثون ثانية وسأصل إليها.

انزلقت قدمي اليسرى جانبًا. نظرت للأسفل ورأيت فتحة يتدفق منها الطين إلى حفرة سوداء عميقة. تأرجحت ذراعي بشكل دائري لاستعادة توازني. وقفت لثانية، أحدق إلى الحفرة بينما أتنفس الصعداء بعمق.

عندما رفعت نظري، كانت ليزا قد اختفت.

أدرت رأسي بعنف في كل اتجاه، لكنها لم تكن في أي مكان. بدا الحقل بأكمله قاحلًا وفارغًا. أكوام التراب أحاطت بي كالتماثيل. ترتفع أرجل الرافعات والمثاقب الطويلة كأرجل الحشرات نحو السماء الزرقاء الساطعة. أصخت السمع. لا صوت خطوات.

لا يمكن أن تكون قد سبقتني بهذه السرعة، لم أستغرق سوى بضع ثوان لاستعادة توازني. هل يمكن أن تكون قد سقطت؟ فكرت أنني ربما كنت سأسمع صرخة. لا بد أنها تختبئ، ربما انحنت خلف واحدة من أكوام التراب. وربما كانت تتحرك من كومة إلى أخرى، تحاول العودة إلى السيارة. أو تقترب مني بخطى خفية من الخلف. تخيلت يديها على ظهري فانتفضت بسرعة من حولي. لا شيء، فقط أنا ومئات من الأكوام الصامتة.

تحركت إلى الأمام، بتُّ الآن أفضل الصمت على السرعة، أتفحص خلف كل كومة في أثناء مروري، قلت: «اخرجي يا ليزا، لقد غادر قطار الغان. نحن وحدنا هنا».

واصلت التقدم إلى الأمام بحركة واسعة، مانحًا نفسي أكبر رؤية ممكنة لما وراء أكوام التراب. ثم لمحت شيئًا، مِرفَقًا. كان غير واضح، بالكاد يظهر، عند الكومة الثالثة إلى يساري. كانت ليزا بالفعل تتحرك عائدة نحو السيارة، تقفز من كومة إلى أخرى بينما أدير رأسي في الاتجاهات الأخرى. بالكاد لمحتها فقط، خطوت خطوة جانبًا لأتمكن من رؤيتها بوضوح أكبر.

يجب أن تكون القاعدة الحقيقية في كوبر بيدي: لا تمشِ إلى الخلف أو إلى الجانب أبدًا، لكن لم يكن هذا هو الوقت المناسب للحذلقة. هذه المرة، خطوت خطوة أثقل، إلى منتصف فتحة المنجم مباشرة: فراغ. على الفور اندفعت ساقي بأكملها داخل الحفرة. اصطدم صدري بالحافة صدمة هرب في إثرها الهواء من رئتي. انزلقت ساقي الأخرى بعدها. أخذت يداي تبحثان عن شيء للتمسك به، لكن لم يكن هناك سوى الحصى وشظايا صغيرة من التراب والحجر مزقت أطراف أصابعي وكسرت أظافري. حاولت الصراخ لكنني عجزت عن التنفس.

كانت قدماي ترفرفان في الهواء من تحتي. حاولت تثبيت ساعديَّ على الحافة، لكنهما استمرا في الانزلاق بينما لم تنفك الجاذبية تسحبني للأسفل. لم يكن لدي أدنى فكرة عن عمق الحفرة، لكن، حتى لو لم تكن السقطة كافية لقتلي، فإن أحدًا لن يعثر عليَّ أبدًا في هذا المكان، سيكون لدي ساق مكسورة وأسبوع للموت، في الظلام. تمنيت أن أموت إثر الاصطدام.

سمعت خطوات، تركض. كان من الصعب تحديد مصدرها بسبب صوت صراعي. أصبحت محاولاتي للتشبث أكثر يأسًا. لكن كل ما كنت أفعله الآن هو زحزحة المزيد والمزيد من التراب، مما صنع، دون قصد، قمعًا شبه مثالي يساعدني على الانزلاق أكثر للأسفل. شعرت بالدم على أطراف أصابعي، لزجًا ودافئًا. ها هي مجموعة ثانية من بصماتي قد ضاعت.

انزلقت إلى الخلف بضع إنشات أخرى، وعرفت أنني انتهيت. كان الغبار الأحمر في شعري، في عينيّ، متجمعًا في فمي. ها أنا أعض التراب، ما رأيك؟ انزلقت الدموع على وجهي. تساءلت إذا كنت سأستطيع رؤية السماء من قاع الحفرة، أو سأموت في الظلام. فكرت في جولييت وهي وحدها في الزنزانة. تساءلت لو كانت لديها نافذة صغيرة، ولو أن باستطاعتها أن تنظر إلى شظية السماء الزرقاء نفسها التي قد أراها من الحفرة، لجعلني ذلك أشعر أنني لست وحيدًا تمامًا.

ثم سقطت.

الفصل التاسع والعشرون

شدَّت يدٌ حول معصمي.

هزة عنيفة اجتاحت كتفي، توقفت عن السقوط. نظرت إلى الأعلى. ظهر ظل ليزا أمام الشمس، ساقاها متباعدتان، وكعباها يغوصان في الأرض عند حافة الحفرة. بقينا هكذا للحظة، بينما أنا معلق في الهواء. كانت قوية كفاية لتعادل ثقلي بفضل تموضعنا النسبي، لكي توقف السقوط، لكنها لم تكن قوية بما يكفي لتسحبني للخارج مرة واحدة. غرست ركبتي في جدار الحفرة وبدأت أحاول الصعود، وبطريقة ما تغلبنا على الجاذبية لتخرجني وتسقطني على التراب. وضعت خدي على الأرض، مبهورًا بعودة النفس إلى صدري. جلست ليزا رافعة ركبتيها ووضعت رسغيها فوقهما.

قلت: «شكرًا لكِ».

قالت ليزا بهدوء: «لم أقتله. لا هذا ولا ذاك. ولأنني لست قاتلة، لن أتركك تتعفن في قاع حفرة هنا». مسحت أنفها بظهر يدها. كان شعرها فوضويًّا بفعل الركض. «لكنني لا أعتقد أنك ستصدق أي من هذا».

انقلبت على ظهري، ما زلت أحاول استعادة أنفاسي. انغرزت الصخور الحادة في رقبتي. هذا ما ينقص مشاهد الأكشن في مثل هذه الروايات، أحيانًا تحتاج شخصيات القصة إلى استراحة قصيرة.

ارتكزت على مرفقي، وقلت: «في الواقع، أنا أصدق هذا تمامًا، وأعرف ما فعله بك في إدنبرة عام 2003. هذه العلاقة المزعومة ليست الحقيقة. لقد اغتصبك».

قالت: «هو لم..». ظننت أنها على وشك إنكار ذلك. لكن شيئًا ما خرج كصرخة مكتومة من حلقها. نظرت إلي بعينين مغرورقتين بالدموع. «لم يتوقف. حاولت. فعلت كل ما استطعته. أخبر ماكتافش الجميع أنني رغبت في ذلك. كنت الشابة الطموحة الجديدة، وكان هو الرجل الكبير المشهور. كان من الصعب جدًّا أن يصدقني أحد. ظنوا جميعًا أنني كنت منبهرة به. لكن الأمر لم يكن كذلك».

- لا بأس.

- لم أخبر أحدًا بهذا من قبل. لكن ماجورز كانت في البار، قبل أن نتفرق جميعًا. أنا متأكدة تقريبًا أنها شعرت، في قرارة نفسها، أن هناك شيئًا خاطئًا. ذهبت إليها، توسلت إليها أن تدعمني. لكنها التزمت الصمت للسبب نفسه الذي جعلني أصمت. لن تفهم. أردت أن أُعرف بالفن الذي صنعته، بكلماتي وصوتي، وليس بالعلامة التي تركها رجل عليَّ. (تنهدتْ بعمق) بالطبع، في البداية أردت أن أتكلم. حتى لو واجهته بمفردي، أردتُ العدالة. لقد قاومته وخدشته على خده، لذا كان لدي حمضه النووي تحت أظافري. لكن هل تصدق؟ حدث خطأ إداري سخيف ووضعوا اختباراتي تحت اسم خاطئ. بحلول الوقت الذي وجدوه فيه، لم يعد من الممكن قبوله كدليل لأن لا أحد يمكنه التأكد من أنه لم يُعبث به. هددني وايت، قال إنه سيدفن مسيرتي المهنية، واعتقدت حينذاك أنه لا خيار أمامي، لذا وقعت على اتفاقية عدم الإفصاح. كان هناك مال أيضًا. لكن بصراحة، كان الأمر قد أصبح مجرد كلمتي ضد

كلمته، والتوقيع بدا كأنه الطريق الوحيد للخروج. وكنت بحاجة إلى المال. (شدت فكها بغضب) كيف اكتشفت ذلك؟

- عدة أسباب. نشر وايت كتابك الأول، لكنك انتقلت إلى ناشر آخر في الكتاب الثاني، مما يشير إلى وجود خلاف بينكما. بالطبع، لن ترغبي في العمل مع الرجل الذي سمح لهنري ماكتافش بالإفلات بفعلته. لكن هذا لا يتضح إلا عندما تستقر جميع القطع في أماكنها. كانت وكيلتي، سيمون، مساعدة لماكتافش في السابق، وإن لديه... لنقل أسلوبًا معينًا في تعامله مع النساء.

- هذه إحدى الطرق التي تصف الأمر بها.

- أو يمكن القول إنه منحرف، إذا كنت تفضلين ذلك. لكن هذا وصف شخصي. كما هو الحال مع حقيقة أنكما أنتِ وماجورز رفضتما دعم اتهامات بعضكما بعضًا بعد إدنبرة. كنتما هناك معًا، بالتأكيد كل واحدة منكما رأت شيئًا قد يساعد الأخرى.

أخبرتني ليزا بنفسها، ليس وكأنها على منصة الشهود. من دون ماجورز، افتقرت ليزا إلى شاهد يدعمها. ومع استبعاد أدلتها المادية، لم تكن ثمة فرصة لإجراء دعوى جنائية. قلت: «كان بإمكان ماجورز أن تكون الصوت الثاني، أن تغير سردية كلمتك ضد كلمته، لكنها لم تأتِ لمساعدتك. بعد عام، أدركت أن ماكتافش سرق فكرتها لكتابه الجديد، والدليل الوحيد الذي تملكه جاء من تلك الليلة ذاتها. كنتِ شاهدة على المحادثة عندما أخبرت ماجورز ماكتافش بقصتها. توجهت إليك، لكن بحلول ذلك الوقت كنتِ قد وقعتِ بالفعل على اتفاقية عدم الإفصاح الخاصة بك. إلى جانب ذلك، لا بد أنك كنت مجروحة للغاية لدعم قصتها. هل اقتربت من الحقيقة؟».

ألقت ليزا بحجر إلى الحفرة، وشاهدته يختفي في الظلام. لم أسمع صوته يصل إلى القاع، مما جعل معدتي ترتجف، قالت: «أنا لا ألومها. لم تملك الكثير من الخيارات. كانوا سيدمرون حياتها المهنية. وكان عليَّ أن أكسر اتفاقية عدم الإفصاح الخاصة بي لدعمها. لكن ذلك أوجعني. لذلك أعتقد أنني اخترت ألا أساعدها أيضًا. عدد المرات التي رأيت فيها هذا يحدث». هزت رأسها. «لا يستطيع العالم تحمل وجود امرأتين قويتين وناجحتين في المكان نفسه، لذلك علينا أن نكره بعضنا بعضًا، علينا أن نتنافس. هذا هو النظام الذي صممه أشخاص مثل وايت. ليس لدي شيء ضدها، فقط... تركت وايت وهنري يفوزان. حتى لو لم أكن أعرف أن هذا ما كنت أفعله في ذلك الوقت». حجر آخر طار إلى الهاوية.

قلت: «هكذا عرفتُ الأمر، لم يكن وايت ليتقبل بسهولة خسارة كتابك الجديد لصالح ناشر جديد. وماكتافش كان شخصًا خبيثًا. لذلك دبرا خدعة. وبالطبع، سيشعر ناشرك الجديد بسعادة غامرة لرؤية كلمة من هنري ماكتافش على الغلاف، حتى مع التحذير بأنك لن تريه قبل هذه الرحلة. في البداية، ظننت أنك كنتِ مشوشة عندما رأيتِ الاقتباس، لكنك لم تكوني كذلك: كنتِ مرعوبة. لأن تلك هي الكلمة بالضبط التي استخدمها هنري في رسالة أرسلها لكِ. كانت سيمون مساعدته السابقة، ورويس منحرفًا، لكنني سمعت الكلمة نفسها منهما، قنبلة. لذا، بوضع تلك الكلمة على شيء كان من المفترض أن يكون ملكك، فقد وصموه إلى الأبد. علامة على إذلال لا يعرفه أحد سواك».

قالت ليزا: «يبدو كل هذا كسبب وجيه جدًّا لقتل كليهما. ما زلت لا تملك سببًا لتصدقني، لماذا تصدقني إذن؟».

قلت: «أعتقد أن رؤية الاقتباس كانت القشة الأخيرة. اقتحمتِ غرفة ماكتافش وأخبرته أنك لم تعودي تهتمين باتفاقية عدم الإفصاح، وأنك

سئمت حماية أسراره. كتب شيكًا بخمسة وعشرين ألف دولار، حاول رشوتك، كما فعل من قبل، لكنك أحرقته أمامه. العالم تغيّر: كنت تأملين أن الناس قد يستمعون لكِ هذه المرة. كنتِ قد انتهيتِ. هل كان هذا عندما أمسك بكِ؟».

أومأت ليزا: «نعم».

تنهدت، وقلت: «أنا خائب الأمل. اعتقدت أننا وصلنا لمرحلة قول الحقيقة. لماذا تكذبين الآن؟».

ازدردت ليزا ريقها بصعوبة. توقفت عن إلقاء الحجارة في الحفرة، لكنها راحت تحدق إليها وكأنها تفكر في القفز فيها كوسيلة للهرب من المحادثة.

تابعت: «هنري لم يمسك بك. إن جانبه الأيسر مشلول، ودائمًا ما يمسك بعصاه في يده اليسرى. لو أنه أمسك بك، لابد أنه سيستخدم يده اليمنى، وإذا كنتِ أمامه، وهو الوضع الوحيد الذي يتيح لك ضربه على أنفه، لكان قد أمسك بذراعك اليسرى، لكن الكدمة على الذراع الخطأ هكذا».

ضغطت ليزا على أسنانها بشدة.

تابعت: «لا بأس. هذا ليس اتهامًا، أنا أحاول فقط ترتيب كل الأوراق على الطاولة. كنت ستضربين ماكتافش في كل الأحوال، لهذا السبب ذهبت إلى هناك. ضربته برأسك مباشرة على أنفه. من ناحية شعرت بالرضا لضربه، ومن ناحية لأنك احتجت إلى منديل ملطخ بالدماء. تسببت بالكدمة لنفسك لكي تدعي أنه دفاع عن النفس إذا أقدم ماكتافش على ملاحقتك بسبب الضربة، من باب التأمين. كنت تعرفين أنه سيبقى صامتًا، بالنظر لما تحدثتما عنه. ما أردته حقًّا هو المنديل، أو بالأحرى الدم الذي عليه. هنا حيث يتعقد الأمر».

ضحكت ليزا، ولكن ضحكة مضطربة، وقالت: «لماذا قد أحتاج إلى منديل ملطخ بالدماء؟».

- أنجبتِ طفلًا. طفلَهُ. احتفظتِ به. هذا هو السبب الذي جعلك تأخذين المال في البداية، لأنك كنتِ حاملًا. الآن، بعد مرور كل هذه السنوات، أردتِ حمضه النووي لإثبات ذلك. لقد استغرقك عقدين تقريبًا لكتابة كتابك الثاني، جزء بسبب شعورك تجاه هذه الصناعة، وكيف كان من الصعب أن تثقي بأي شخص بعملك، بحياتك مرة أخرى، وجزء لأنك كنتِ تربين طفلًا بمفردك. تدبير شجار أمر لا بأس به وكل شيء، وغادرتِ مع ما أردتِ: الحمض النووي. لكن بعد ذلك يموت ماكتافش وتدركين أنك قد تكونين المشتبه فيه الرئيسي. هناك تاريخ بينكما، والآن هناك أيضًا دليل مادي على مواجهة عنيفة. والآن لديك دافع أكثر وضوحًا، لأن حقوق الطبع والنشر لكل كتبه، بما في ذلك الكتاب الجديد، من المفترض أن تذهب إلى تركته. وابنتك هي الوريثة. أو على الأقل هذا ما كان من المفترض أن يثبته اختبار الحمض النووي. لذا سرقت المخطوطة لحمايتها، وتأملين أنه بحلول الوقت الذي يدرك فيه أحد أنك اختفيتِ، نكون قد قبضنا على القاتل الحقيقي. مشكلتك الوحيدة كانت أن تشغيل سيارة بواسطة الأسلاك في الحياة الواقعية أصعب بكثير من مجرد البحث عنه. وبالطبع، أنك اضطررتِ لترك ابنتك وراءك».

شحب وجه ليزا لدرجة أنني أعتقد أنها أصيبت بحروق الشمس على الفور. وقفت، ونفضت الغبار عن ركبتي. قلت: «لنضع مهارتك في سرقة السيارات تحت الاختبار، لأنكِ بحاجة لمساعدتي في العودة إلى القطار. ثم يمكن لبروك أن تخبرني جانبها من القصة بنفسها».

الفصل الثلاثون

استغرق الأمر ضعف الوقت لكي نعود إلى سيارة اللاند كروزر. حتى على الأرض المستوية والآمنة، مشينا كما لو نعبر نهرًا مليئًا بالحجارة المتحركة. رحت أتأكد مرتين من كل خطوة أخطوها.

- الذراع الخطأ.

قالت ليزا: «ظننتني أخفيتها جيدًا جدًّا، لم أرد أن يعرف هنري».

قلت، مشيرًا إلى كدماتها: «البنت تشبه أمها».

رفعت كتفيها، وقالت: «هل آذاها؟».

- لا. لقد احترقت ذراع بروك اليمنى من الشمس. يقيم جميع ضيوف المهرجان في عربات الجانب الشرقي من القطار، لقد دفعوا مقابل التذاكر لذا يحصلون على إطلالة شروق الشمس. أما الكتاب، فهم على الجانب الغربي، حيث يحصلون على غروب الشمس. تتعرض كل مقصورة للشمس لنصف اليوم فقط. لو أنها تجلس بجانب النافذة في مقصورة الضيوف، كما يفترض بها، لكانت ذراعها اليسرى هي التي تعرضت للحرق، وليست اليمنى. لو كانت قد احترقت في أثناء وجودها في الخارج، لكان الحرق موزعًا

بالتساوي على كلا الذراعين. وهذا يعني أنها تقيم في مقصورة مخصصة للكتّاب. بالإضافة إلى ذلك، بدا واضحًا تمامًا أنها كذبت بشأن رقم المقصورة عندما سألتها. إنها ترافق أحدهم».

ضحكت ليزا. وصلنا إلى سيارة اللاند كروزر. نفضتُ شظايا الزجاج المكسور عن المقعد وجلست على مقعد الراكب. انحنت ليزا بجانب دواسة السائق، بالقرب من اللوحة المنزوعة والأسلاك المتدلية التي كانت تعبث بها قبل أن ألحق بها.

قالت: «عجبًا، ذلك كله بسبب ذراع محترقة من الشمس».

قلت: «ليست الذراع فقط. حرصتْ على أن تخرج من المقصورة بسرعة، حتى لا يرى أحد شخصًا آخر بداخلها. أيقظ رويس الكتّاب فقط عمدًا، لكن طبعًا، طرقه على بابك أيقظها هي أيضًا. غلبها فضولها ولحقت بكِ. هذا يفسر لماذا كانت آخر من وصل، ولماذا انزعجتِ عندما جلستْ بجانبك. ثم انبهارها بماكتافش، والذي لا يتناسب مع عمرها بأي شكل، استغرقني الأمر بعض الوقت لأعرف إن كان ذلك بدافع اضطراب نفسي أم لا. بالإضافة إلى أنك أبعدتها عن جثة وايت. أخبرتِها أن تحذر وهي تلقي الصخور في الوادي. أعطيتها كريم الصبار لتدهنه على حروقها. كل هذا يشير إلى غريزة الأمومة. وكذلك حقيقة أنها كانت في عربة الرئيس تبحث عن المخطوطة».

قالت ليزا، وثمة كابل في فمها: «جيد جدًا».

- وكانت تعرف الكثير عن تلك الليلة في إدنبرة، عندما حملتِ بها. احتفظت بنسخة من المقال الذي ظهرتِ فيه أنتِ وماجورز وماكتافش، على سبيل المثال. لكنها كانت تعرف الكثير عن اتهامات ماجورز بالسرقة الأدبية أيضًا. حاولت التخفيف من الأمر وادعت أنه مجرد معرفة عامة، لكن هذا ليس صحيحًا: لم يكن

هناك فعليًّا أي اتهام واضح بالسرقة الأدبية خلال هذه الرحلة، مجرد تهديدات مبطنة. الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تعرف بها بروك ما حدث تلك الليلة هي إذا أخبرها شخص كان هناك. أخبرتِها أن تحاول تشويه سمعة ماكتافش.

لقد قالت لي بروك، عندما ظننت أنها تتحدث عن ماجورز: كان يجب أن أصدقها. لكنها كانت تتحدث عن والدتها.

- لقد كانت مفتونة به، بهنري نفسه، مع الأخذ في الاعتبار نجاحه الكبير بالطبع، ولكن بفكرة الأب بشكل أساسي. مع دخولها في سن المراهقة، بدأت تطرح الأسئلة. علمت أنها ستفعل. وقضيت الكثير من الوقت أفكر فيما يجب أن أقوله لها. لم أستطع الكذب عليها، لكنني لم أستطع أيضًا أن أحمل نفسي على أن أخبرها بما فعله بي. كنت آمل أن يكون إخبارها عن ماجورز كافيًا لتعرف أنه شخص سيئ من دون أن أضطر إلى رواية القصة كاملة. ظننت أنني لن أضطر أبدًا لذلك، وأنه كان يبعد مسافة محيط وحياة كاملة عنَّا. ظننت أنها لن تلتقيه أبدًا.

خمنتُ: «لكنها أرادت صورة للأب، فكونتها بنفسها... من خلال كتبه». تذكرتُ تفسير إس إف ماجورز للهوس: قد يتخيلون أنفسهم في علاقة معينة مع هذا الشخص. اتصال يعتقدون أنهم الوحيدون الذين يرونه. يضعون أنفسهم في عالم ليسوا جزءًا منه. في هذه الحال، كان الاتصال حرفيًّا أكثر، لكن التفسير لا يزال قائمًا. لقد نشرت راعي الجيش22 أنها شعرت وكأن هنري يتحدث إليها مباشرة. مثل قصة تروى قبل النوم. بالنسبة إلى بروك، كانت قراءة كتب المحقق موربند أشبه بالتحدث إلى والدها. ليس غريبًا أنها لم ترد أن تنتهي هذه السلسلة.

قالت ليزا: «لقد تساهلت معها، فكرت أن الأمر غير مؤذ، وربما صحي حتى. نوع من التنفيس. مثلما قلت، كان من المفترض أن يكون في قارة بعيدة».

- حتى هذه الرحلة.

قالت ليزا: «بالضبط. أوه!» وأشعلت الكابلات في أطراف أصابعها وهزتها بينما تلعثم المحرك ثم زأر أخيرًا. صعدت إلى مقعد السائق وربتت على لوحة القيادة، وقالت: «البحث يؤتي ثماره في النهاية».

ثم بدأنا في التحرك. كان الطريق الوحيد في مانجوري الطريق المنحني باتجاه كوبر بيدي، لذلك قادت ليزا السيارة خارج الطريق بالتوازي مع مسار القطار. استوت الأرض بما يكفي لاستيعاب القطار، لكنها خشنة بدرجة جعلتنا نتأرجح بقوة في مقاعدنا. كان قطار الغان مجرد نقطة صغيرة على الأفق أمامنا.

- أتصور أنها توسلت للقدوم معك عندما تلقيتِ الدعوة إلى هنا؟

- باستماتة. لكنني لم أكن مستعدة لذلك. لم أنو قبول الدعوة حتى، بالتأكيد لم أرد أن أكون بالقرب منه. لكنها أرادت حقًّا أن تقابله أخيرًا. لقد نشب بيننا خلاف كبير، من النوع الذي يتزعزع له حتى البلاط في المطبخ بسبب صراخنا. وفي لحظة غضب، أخبرتها بما فعله، أنه اغتصبني.

قلت، رغم أنني كنت أعرف الإجابة بالفعل. *كان يجب أن أصدقها:* «ومع ذلك أرادت أن تأتي؟».

- لقد جعلها ذلك ترغب أكثر في المجيء. يجب أن تفهم، أنا لم أجلس معها بهدوء وأشرح لها الحقيقة، بل صرخت بها عبر الغرفة.

أبعدت ليزا نظرها عن القضبان، حيث أصبح الجزء الخلفي من قطار الغان أقرب، وتحول من كتلة غامضة في الأفق إلى وميض فولاذي. ثم نظرت إلى وجهي. قالت: «من الواضح أنك لا تملك أطفالًا. أو إذا كان لديك، فليسوا بنات. كانت غاضبة للغاية، اتهمتني بأنني أقول أي شيء لمنعها من الذهاب. إنها فتاة ذكية، لم تكن لتسمح للغضب بأن يتجاوز المنطق السليم، وتعرف ما يمكن للرجال أن يفعلوه. لكن يجب عليك أن تفهم، كانت لديها صورة عنه في ذهنها. عن والدها. كاتب كتبها المفضلة، راوي قصصها قبل النوم. لقد تحدث إليها لسنوات عبر شخصية موربند. لم تستطع استبدال تلك الصورة التي بنتها بسهولة».

- أتخيل أنها كانت ستجد طريقة للمجيء حتى من دونك.
- قالت لي إن لم آخذها، ستدفع تكاليف رحلتها بنفسها. ستبيع سيارتها إذا اضطرت. فكرت أنه من الأفضل أن أكون هنا لحمايتها.
- يبدو أنها لم تكن الشخص الذي يحتاج إلى الحماية.
- يستحيل أن تكون قد قتلتهما.
- لا أعتقد أنك تصدقين ذلك.

مرَّت محادثاتي مع بروك كلمحات في رأسي. استجماعها للشجاعة لتقديم نفسها لماكتافش. إعطاؤها مفتاح غرفته. الصورة التي كونتها عنه، متجاهلة تحذيرات والدتها، تنهار أمام عينيها. المفتاح، مضغوط بشدة لدرجة أنه ترك أثرًا في كف يدها. الملاحظة على زجاجة الويسكي: من معجب. ماكتافش يهمس لها: إنه شراب رائع وقوي لتشربيه وحدك. عندما أخبرتني في عربة الرئيس ألا ألتقي بأبطالي أبدًا.

قبضت ليزا على عجلة القيادة حتى ابيضت مفاصل أصابعها. الرجل الذي اغتصبها، والرجل الذي تستر عليه، كلاهما ميت الآن. لم أكن بحاجة إلى قول ذلك. عرفت ليزا ما جال في خاطري. عرفتُ بالضبط لماذا

تركتْ بروك بمفردها. كما قالت جولييت: «حتى لو للحظة، مجرد أن الفكرة عبرت ذهنك». لا يجعلك الحب منيعًا ضد الشك. كنت أعرف ذلك مثلما يعرفه الجميع. عرفت ليزا أن مغادرتها للقطار ستجعلها تبدو مذنبة، وستدفع الآخرين إلى الشك بها، ولكنها غادرت لأنها فكرت أن ذلك قد يمنح ابنتها فرصة للنجاة. لقد بحثت ليزا عني، وأخبرتني بما أخبرتني به، على أمل أن أكتب أي شيء تقرأه ابنتها يومًا ما وتفهم ما فعلته والدتها لتحميها.

الشيء المثير للسخرية هو أن بروك كانت تؤمن بأن والدتها قادرة على ارتكاب الجريمة نفسها. ولهذا السبب سعت جاهدة لإقناعي بدوافع ماجورز المحتملة، لتشتيتي عن دوافع والدتها. كل واحدة كانت تحمي الأخرى.

سألتها: «لماذا تعيدينني؟».

- لأنك حللت القضية، أليس كذلك؟

أومأت، ولكن بسبب ارتدادات اللاند كروزر القوية، أومأت بحماسة أكثر مما كنت أنوي. لذا أضفت: «تقريبًا».

قالت: «وأنت لا تعتقد أنها هي. يمكنني أن أرى ذلك. لذا ربما تحتاج إليك». ضغطت على دواسة الوقود إلى نهايتها حتى أصدر المحرك أنينًا. «لهذا السبب سأعيدك إلى القطار».

كنت منشغلًا بها لدرجة أنني فوجئت تقريبًا عندما رفعت رأسي ورأيت الجزء الخلفي من قطار الغان يملأ مجال رؤيتي. كانت ليزا تقود بسرعة تقارب الثمانين، ثم تباطأت إلى سبعين واحتفظت بمسافة قريبة من القطار. من الخارج، كان الصوت الهادئ والرتيب لحركة القطار على القضبان قد اختفى تمامًا، وراح القطار يصدر هديرًا مرعبًا بينما يتحرك.

صاحت ليزا بصوت عال يغطي ضجيج القطار: «أنت تبعتني ليس لأنك تهتم بأنني أخذت المخطوطة، وليس لأنك اعتقدت أنني قاتلة. لقد أتيت لتسألني شيئًا، ولم تسأل بعد. لقد أخبرتني بما تعرفه بالفعل. القطار يقترب، لذا من الأفضل أن تسأل الآن.

- ماجورز... هل كانت تقول الحقيقة؟

- حقًّا؟ هل هذا كل شيء؟

- كنت هناك في تلك الليلة. أعتقد أنها أخبرت ماكتافش نسخة من القصة لم تكن القصة الحقيقية من الصحف. تلك هي النسخة التي سرقها من أجل رواية الخروج عن المسار. صحيح؟

- قفزت من قطار متحرك لتسألني هذا؟

- كان عليَّ أن أعرف بالتأكيد.

- أنت تعرف بالفعل، ألم تعلم أي شيء عن هنري ماكتافش؟ عما يفعله؟

قالت وهي تومئ: «هذا رجل يأخذ من النساء. أخذ جسدي. وأخذ عقلها».

الفصل الحادي والثلاثون

كان التشبث بنافذة سيارة أمرًا أصعب بكثير مما يصورونه في الأفلام، ناهيك بالقفز منها.

أمسكتُ بيد واحدة المرآة الجانبية وبالأخرى سقف السيارة، وأنا أحاول المناورة والتسلل إلى خارجها. النافذة لم تكن تنزلق بالكامل إلى داخل الباب، لذا كان الزجاج ينغرس في فخذيّ. الرياح كانت تصرخ في أذنيَّ، والإطارات تقذف الغبار في عينيَّ، وخداي يلتهبان من وخز الحشرات التي اصطدمت بهما. ضيَّقتُ عينيَّ لمواجهة الريح، محاولًا التركيز على الغان.

استهدفت ليزا الشرفة المخصصة للتدخين، وقادت اللاند كروزر بأقرب ما يمكن إلى القضبان دون أن تصطدم بها. كانت الشرفة مرتفعة جدًّا بحيث يصعب القفز إليها مباشرة، لكنني كنت شبه متأكد من قدرتي على التشبث بالسياج وتسلقه.

تقدمنا ببطء، حتى صرنا على الخط نفسه. كان السياج بالكاد خارج متناول أصابعي. وضعتُ قدمي على حافة النافذة، استندت بثبات، وشددت عضلات ساقيّ.

صحت بليزا: «سأقفز! حافظي على الثبات!».

رأيت شفتيها تتحركان، لكنني لم أسمع ردها وسط عواء الريح وهدير القطار. آمل أن تكون قد سمعتني. مددتُ ذراعي نحو الدرابزين، أخذتُ نفسًا عميقًا و...

اهتزت السيارة بعنف تحتي، راحت تفرمل وتنعطف في الوقت ذاته. اختل توازني وانحرفتُ جانبًا، وجهي نحو التراب الأحمر المتسارع من تحتي، قبل أن أرتد في الاتجاه الآخر، مرتطمًا بقوة بإطار الباب، مما جعل أحد أضلاعي يئن بالألم.

ثم اقتربت من مؤخرة قطار الغان بسرعة. كنا نسير أسرع منه، واندفعت برأسي إلى الداخل في اللحظة المناسبة تمامًا، حيث مرت العربة بجوار النافذة، لتنتزع المرآة الجانبية في انفجار من الزجاج المتناثر.

قالت ليزا: «آسفة، إنه عمود التليجراف».

نظرتُ عبر النافذة الخلفية لأرى عمودًا ضخمًا يتضاءل خلفنا بالقرب من القضبان، لقد اضطرت للانعطاف حوله.

قلت: «ما رأيك في إشارة بسيطة المرة القادمة؟».

- لقد قلت بالفعل ألا تقفز.

نظرتُ إلى القطار بجانبنا. خفَّفت ليزا من ضغطها على دواسة الوقود وأبطأت لتعيدنا قرب شرفة التدخين مرة أخرى، هذه المرة خلفها قليلًا. ألقيتُ نظرة سريعة على عداد السرعة. خمسون الآن. تباطأ القطار قليلًا. قلت: «ربما نحتاج إلى خطة جديدة. هذه البطولات تفوقني قليلًا».

فكَّرت ليزا هنيهة، ثم انحرفت بعجلة القيادة بشدة نحو القضبان. ارتطمت السيارة بالسكك المعدنية، فتطايرت شرارات خلفنا، وسرعان

ما أعادت توجيه المقود بحركة حادة أخرى، لتستقر بنا السيارة في المنتصف تمامًا. السكك الآن تمر بين العجلات، كنا نلاحق القطار مباشرة.

أومأت بإعجاب: «هذه خطة أفضل. راقبي السرعة. يبدو أنه يتباطأ قليلًا».

- ثمانية وثلاثون.

دفعتُ نفسي خارج النافذة مرة أخرى، لكن هذه المرة بدلًا من محاولة القفز جانبًا، تسلقت بحذر إلى الأمام حتى وجدتُ نفسي متربِّعًا على غطاء المحرك. لم تكن هذه بالتأكيد مغامرة سريعة كما في أفلام الحركة، في الواقع، كان بإمكاننا تنفيذها في منطقة مدرسة بسهولة. ومع ذلك، أخذت ساقاي ترتجفان وكأنهما بلا عظام.

إذا سقطت، ربما لا يكون السقوط قاتلًا، لكن لو انتهى بي الأمر تحت اللاند كروزر، أو عالقًا بين السيارة والقطار، أو أسوأ من ذلك، تحت القطار نفسه، كنت متأكدًا أن مصيري سيكون محسومًا بغض النظر عن السرعة.

دفعت ليزا السيارة إلى الأمام بحذر. سمعتُ صوتًا مرضيًا لاصطدام المعدن بالمعدن، هذه كانت أقصى درجة من القرب يمكننا الوصول إليها. لم يكن عبور المسافة بسيطًا كأنك تعبر جسرًا: إذ من الصعب على ليزا مطابقة سرعة القطار تمامًا، مما جعل الفجوة تتفاوت بين أن تكون غير موجودة إلى أن تكون مرعبة، مع اهتزاز السيارة وتقدمها وتراجعها باستمرار.

هيّأت نفسي في وضعية البداية كما لو أنني على وشك الركض، محافظًا على يد واحدة ملامسة لزجاج السيارة الأمامي.

ثم، في اللحظة الأكثر حرجًا، رنَّ هاتفي.

بشكل أكثر تحديدًا، شعرت بالاهتزاز في جيبي. يبدو أننا التقطنا بصيصًا من التغطية. أخرجت الهاتف وأجبت دون أن أنظر، صرخت قائلًا: «جولييت؟».

- كلا يا صديقي، إنه آندي. مشغول؟

نظرتُ إلى مقدمة اللاند كروزر المحطمة، وهي ملتصقة بمؤخرة قطار سريع، والرياح تعصف حولي بينما أتمسك بالغطاء الأمامي. كان قطار الغان يحجب عني جزءًا كبيرًا من ضجيج الرياح، لذا استطعت بصعوبة سماع آندي وسط الفوضى. قلت بصوت مرتفع: «ليس أنسب وقت، بصراحة».

- سأسرع. الموضوع بخصوص مارجريت.

دوى صوت بوق السيارة، والتفتُ لأرى وجه ليزا المليء بالإحباط وعدم التصديق، ويداها مرفوعتان في الإيماءة العالمية التي تعني: ما هذا بحق السماء؟

- مارجريت من؟

- السرقة التي أعمل عليها.

- ظننتك قلت إن اسمها بوبي؟

- لا، قلت إنها تبيع *الخشخاش*.

- لم تفعل. أخبرتك أن المعلومات المحددة مهمة في هذه الأمور يا آندي.

أطلقت ليزا بوق السيارة مرة أخرى، طويلًا وبطيئًا. رفعت إصبعًا نحوها. فنطق فمها بكلمة لا يصح نشرها. اتضح أن آندي مهم جدًّا في الواقع. أخبرتك أن هذا النوع من الكتب يعتمد دائمًا على تداخل قضايا غير مترابطة.

- يا إلهي، نحن نعمل على القضية نفسها يا آندي.

- هاه؟ لديك قضية؟

- بضع جرائم قتل.

تزمر آندي بضيق: «يجب أن تكون متفوقًا دائمًا، أليس كذلك؟».

قلت متجاهلًا تعليقه: «قضية السرقة عندك، أنت تعتقد أنها مرتبطة بمدمن مخدرات، صحيح؟».

- بالضبط! هذا ما أردت أن أخبرك به. السرقات أصبحت شيئًا شائعًا في صناعة الزهور. لأن بعض النباتات، كما تعلم، تحوي الأفيون. وهو أساسًا الهيروين. يمكن استخراجه بالغليان.

قلت: «الخشخاش؟».

- لا. اسمها ليس بوبي. قلت لك، اسمها مارجريت.

- الخشخاش يحوي الأفيون يا آندي.

قال: «نعم، هذا ما أقوله. إن المكان متخصص في..». انقطع صوته ثم عاد مجددًا. «غريب، أليس كذلك؟ ما علاقة هذا بجرائم القتل عندك؟».

- أعتقد أن سارقك هو قاتلي.

- قفزة كبيرة، أليس كذلك؟

نظرت إلى شرفة التدخين، حيث يجب أن أقفز، وقلت: «للغاية».

تحولت حماسة آندي من وتيرة بطيئة إلى صراخ فجائي: «مستحيل! هل حللتها لك؟ هل حللتها؟».

في الحقيقة، لم يفعل. كنت قد حللت معظمها بالفعل بعد حديثي مع ليزا، لكنني كنت في مزاج كريم. ربما بسبب الأدرينالين. وهو قد أعطاني بالفعل دليلًا مهمًّا الليلة الماضية. لذا قلت: «أجل يا آندي، لقد حللتها».

قال: «أجل! سأضيف ذلك إلى الموق..». ثم انقطع صوته مرة أخرى.

أطلقت ليزا البوق مرة أخرى، هذه المرة بإشارتين حادتين – بيب-بيب – فأعدت تركيزي إلى القطار أمامي. كان صوت الرياح أقل بكثير الآن. أطلقت ليزا البوق مجددًا، بافتراض أنها تحثني على الإسراع. الفجوة بين غطاء المحرك والسياج كانت تهتز، لكنها بقيت صغيرة. هذه فرصتي. وقفتُ بثبات، خطوت عبر الغطاء، ثم قفزت.

***

لقد بالغت في الأمر.

لقد توقعت أن تستغرق قفزتي نصف ثانية أطول نظرًا للسرعة، لكنني اصطدمت بالسياج فورًا. انزلقت قليلًا وأنا في قمة ذهولي قبل أن أتمكن من التشبث بالسياج، قابضًا عليه بشدة بينما أحاول استعادة أنفاسي. هنا، كان تأثير الرياح أقل، والضوضاء أخف. ضحكتُ بشكل لا إرادي في استجابة عفوية للبقاء على قيد الحياة. من كان يظن، عندما بدأتُ هذه الرحلة، أنني سأكون متشبثًا بمؤخرة قطار مسرع؟ الآن كل ما عليَّ فعله هو تسلق السياج.

لم أجرؤ على النظر إلى الأسفل، لم أكن واثقًا من أنني سأتحمل رؤية الأرض وهي تمر بسرعة تحت قدميَّ. لكنني ألقيت نظرة خاطفة إلى الوراء نحو اللاند كروزر، متوقعًا أنها قد ابتعدت في سحابة من الغبار، لتصبح ليزا ومخطوطة رواية الحياة والموت والويسكي في أمان.

كانت اللاند كروزر ما زالت خلف القطار. لكن هذا ليس الجزء الأكثر إدهاشًا. الجزء الأكثر إدهاشًا هو أن ليزا لم تعد في مقعد السائق. ولم تكن تحاول تسلق غطاء المحرك أيضًا. بل وقفت بجانب السيارة، على التراب.

لحظة. وقفت؟

نظرت إلى الأسفل، كانت الأرض موجودة بالفعل، لكنها لا تتحرك.

هكذا إذن، كل هذا التعلق بقطار سريع لا معنى له. لم يكن غريبًا أنني ارتطمت بالسياج بعد أن قفزت، وأن الرياح خفت. كانت إشارات ليزا بالبوق تقول لي ألا أقفز، لأنها حاولت تنبيهي أن القطار كان يتوقف. لا بد أنني قفزت عندما كنا نسير بسرعة المشي. وها أنا الآن، متشبث بالسياج كأن حياتي تعتمد عليه، بينما قطار الغان متوقف تمامًا.

تسلقت إلى شرفة التدخين وأنا محرج. أخذت ليزا حقيبة من المقعد الخلفي وتبعتني. فُتح الباب الخلفي، وخرج آرون وراح ينظر إلينا في دهشة، سأل: «ماذا تفعلان هنا بحق السماء؟».

لشدة دهشتي ودهشته، عانقته قائلًا: «شكرًا لك، شكرًا أنك توقفت من أجلنا».

نظر إلى اللاند كروزر ذاهلًا، وقال: «ما هذا الذي على القضبان؟ ماذا كنتما تفعلان؟».

- كنا نحاول العودة إلى القطار.

قالت ليزا: «أليس هذا سبب توقفك؟ ألم تر إرنست وهو يؤدي حركات توم كروز؟».

- ما الذي تتحدثان عنه بحق السماء؟ لم نتوقف من أجلكما.

توقف لثانية ليستوعب مظهري بالكامل: وجهي مغبَّر، وذقني مغطاة بالتراب، وشعري مشعث بفعل الرياح. ألقى نظرة أخرى على اللاند كروزر، وفغر فمه وكأنه على وشك السقوط.

قلت، متمنيًا ألا يكون أحد قد مات: «اضطررت للتوقف؟ لماذا؟».

هز رأسه غير مصدق: «يوجد أبقار على القضبان. هذا ليس فيلم أكشن لعين».

الفصل الحادي والثلاثون ونصف

أوشكت على حل الجريمة.

في الحقيقة، لقد حللتها بالفعل. أنا فقط على وشك شرحها للجميع. مثلما حاول رويس أن يفعل. الفرق أنني سأفعل بذلك بالطريقة الصحيحة.

أنت تعرف كيف تعمل لحظات الكشف الكبرى هذه. وفقًا للمخطط السردي الذي استخدمته في كتابتي، والذي تصادف أن تتبعته أحداث الأيام الأخيرة بشكل مرعب، فقد تجاوزنا للتو لحظة «ضاع كل شيء» (إذ كادت حياتي تنتهي مرتين!)، وهذا يعني أن الوقت قد حان لكشف كل شيء.

لذا فكرت أن أتوقف هنا وأمنحك فرصة أخيرة لتضع تخميناتك. هذه هي الصفحة الأخيرة التي يمكنك أن تتباهى فيها بأنك اكتشفت الأمر قبل أن أكشفه أنا. إذا أردت أن تلتقط قلمًا وورقة وأن تحاول حل لغز آرتشي بنش مرة أخرى، فهذا هو المكان المناسب لذلك. أريدك أن تعرف أيضًا أنه، خلال الفصول القادمة، ستُقال عبارة «لم أقتل أحدًا» من قِبَل ستة أشخاص مختلفين. هذا التكرار ليس نقصًا في إبداعي،

إنه فقط ما حدث. أخبرتُ محررتي بذلك، وسألتني إن أمكنني تنويع العبارة. فاقترحتُ عليها أن تناقش رأيها مباشرة مع الأشخاص الذين قالوا هذه العبارة، لكنني لا أظن أنها كانت مهتمة كثيرًا بمطاردة كل المعنيين، دعك من زيارة زنزانة سجن أو مشرحة.

حسنًا، لنرجع إلى مرجوعنا.

لا مزيد من الوقفات، سنأخذ القطار السريع إلى أديلايد.

- هنري ماكتافش: 337
- آلان رويس: 246
- ليزا فولتون: 149
- وايت لويد: 138
- إس إف ماجورز: 106
- سيمون موريسون: 106
- فولفجانج: 94
- آرون: 80
- بروك: 71
- جاسبر مردوخ: 63
- هارييت مردوخ: 53
- دوجلاس بارسونز: 37
- سينثيا: 31
- نادي الكتاب/ فيرونيكا بلايث/ الشعر الفضي: 29
- أرشيبالد بنش: 26
- إريكا ماثيسون: 12

- راعي الجيش22: 8
- تروي فيرث: 4
- جولييت: مستثناة
- نوح ويتروك: مستثنى
- المحقق هاتش: مستثنى

أدبي

الفصل الثاني والثلاثون

حان دوري الآن لطرق الأبواب بعنف، أيقظت الكتّاب وبعض الضيوف. الغموض عادة ما يتضمن الكثير من الانتظار بالنسبة إلى الجميع عدا المحقق، والجميع كانوا في حالات متفاوتة من الكسل، يعدون الدقائق حتى وصولنا إلى أديلايد. كانت ماجورز تستمع إلى بودكاست. اضطررت لإيقاظ رويس. وجاسبر وهارييت يلعبان «ترافل سكرابل». دوجلاس لم يكن في غرفته. فولفجانج يكتب في دفتر مُسطَّر وبدا متشككًا عندما طلبت منه أن يقابلنا في البار، متمتمًا أنه رأى هذا المشهد من قبل خلال هذه الرحلة. وكانت سيمون تراجع عقدًا. نظرت إلى وجهي المغطى بالدماء والتراب، ثم ربتت على كتفي وقالت: «أرى أنك في الفصل الثالث المليء بالأخطار».

ألقت بروك بذراعيها حول والدتها، قبل أن تراني وتسرع في تركها، محاولة تبرير وجودها بقصة مفبركة ومتلعثمة عن أنهما صديقتان وأنها كانت تنتظرها في الغرفة.

قالت ليزا وهي تعيد معانقتها: «انتهت اللعبة، إنه يعرف، لا بأس».

قلت كمحاولة لطمأنتها: «لقد حللت لغز آرتشي بنش».

قالت بروك وهي تتجه نحو البار: «يا لك من عبقري، سيكون هذا ممتعًا».

الجميع كانوا إما فضوليين وإما يشعرون بالملل بما يكفي ليتبعوني. حتى آرون استسلم وتوقف عن الاعتراض. الضيوف الوحيدون الذين لم أستدعهم هن النساء الثلاث من نادي كتاب إريكا ماثيسون، وفيرونيكا بلايث وصديقتيها. ليس لأنهن غير مهمات، بل هن كذلك، ولكن ببساطة لأنني لم أحتج إلى وجودهن شخصيًّا.

داخل عربة البار، راحت سينثيا تمسح ماكينة القهوة، والمحقق هاتش يحقق مع دوجلاس في ارتياح. وقف هاتش عندما دخلنا جميعًا. اعترض بغير جدوى أمام تقدمنا داخل الغرفة: «توقفوا! ما زلت أجري التحقيقات. أطلب منكم جميعًا البقاء في غرفكم».

قلت: «ألم تسمع؟ هذا مهرجان للكُتَّاب. في الواقع، ما زال لدينا حديث أخير. سأعلن عن كتابي الجديد. عنوانه *كل شخص في هذا القطار يخفي شيئًا ما*».

صفقت سيمون تصفيقًا صغيرًا يشبه تصفيق الجنيات تعبيرًا عن حماستها. قاطع هاتش تصفيقها، وقال غاضبًا: «المهرجان مُلغى. لا مزيد من الندوات».

قالت ماجورز بحزم: «أنا مديرة المهرجان، وأقول إن لدينا جلسة أخرى وفق الجدول. الآن. المهرجان مستمر».

جلس هاتش على كرسيه متذمرًا، ولوح بيده كأنما يقول: تفضلوا، أكملوا.

قلت: «في الواقع، لا تتراخ بسرعة هكذا، سأحتاج إلى مساعدتك قليلًا».

تنهد هاتش، وقال: «ماذا؟».

- هل تملك سلاحًا؟

- لا، لدي صاعق كهربائي.

أشرت إلى حقيبته قائلًا: «حسنًا، كم زوجًا من الأصفاد معك؟».

- اثنان.

فكرت لثانية، وقلت: «هذا سيفي بالغرض. أول شيء، أحتاج منك إلى أن تلقي القبض على آلان رويس».

الاستنتاجات السبعة

لإرنست كانينجهام

الفصل الثالث والثلاثون

احتج رويس: «لم أقتل أحدًا».

قال هاتش بصرامة: «لن أضع الأصفاد في يد أي شخص فقط لأنك قلت ذلك».

قلت: «لم أقل أن تعتقله بتهمة القتل. أعتقد أن ثمة مصطلحًا رسميًّا لذلك. تعطيل سير العدالة؟ العبث بالأدلة؟» ثم خاطبت الجميع: «ارتكب هنري ماكتافش جريمة شنيعة، ووايت لويد وآلان رويس ساعداه على إخفائها».

هربت الدماء من وجه رويس، وتوجهت أنظار الناس إليه الآن، يحاولون معرفة ما الذي فعله. نظرت إس إف ماجورز إلى الأرض. التفتُّ إلى ليزا. لم أرد أن أجعل هذا أكثر إيلامًا لعائلة فولتون مما يجب، لكنهما استحقا العدالة عما فعله رويس بهما، وهذا يعني أن عليَّ كشف كل الحقائق على الطاولة. سألتهما: «هل تسمحان لي؟».

أومأت ليزا بتثاقل، بينما شدَّت بروك على ذراعها.

تابعت: «في إدنبرة عام 2003، ماكتافش وليزا لم تكن بينهما علاقة عابرة كما زُعم. لقد اغتصبها». عم الغرفة صمت ثقيل الوطأة. «كانت

كلمتك ضد كلمته يا ليزا. لم تكن لديك أي فرصة أمام المال والنفوذ اللذين تمتع بهما ماكتافش، والمتمثلان في وايت. لكنك امتلكت دليلًا جنائيًّا، هو الحمض النووي لماكتافش تحت أظافرك افتُرض أن يكون الدليل على أنك حاولت الدفاع عن نفسك. حتى حدث خطأ إداري بسيط أفسد صلاحية الأدلة. ومع غياب أي شاهد في قضيتك، عرض عليك وايت صفقة، بعض المال مقابل الصمت. خذي الشيك واطوي الصفحة. قبلتِ العرض، لأن ماكتافش لم يكتف فقط باغتصابك، بل أنجب منك طفلة. بروك هي ابنة هنري ماكتافش».

يسرني أن أخبرك أن ذلك قد تبعته شهقات خافتة.

تابعت: «على الرغم من أنكِ لم تلتقيه من قبل يا بروك، كنتِ تُعظِّمين والدكِ من خلال كتبه. ومتحمسة جدًّا للقائه. لم تصدقي والدتكِ حقًّا عندما حاولت تحذيركِ من هنري. ثم جئتِ إلى هنا، وكان بالضبط كما وصفته ليزا. لقد حطم قلبكِ».

صرخ رويس: «هذا يبدو دافعًا أكبر للقتل أكثر مما لدي بكثير! والدها، ثم الرجل الذي ساعده على الإفلات بفعلته» ثم أشار إلى صدره بإبهامه. «بــ ر يء!».

قالت بروك: «لم أقتل أحدًا».

أجبتها: «لديك دافع، بالطبع. الجميع هنا لديه. ولكن لو كنت أنت القاتلة، ولتلك الأسباب على الأقل، فعلى الأرجح لكان رويس مقتولًا الآن أيضًا».

- هل تهددني؟
- لا يا رويس. ما أقوله هو لو أن أحدًا يقتل الأشخاص المتورطين في التغطية على اغتصاب ليزا فولتون، فستكون هدفًا محتملًا جدًّا.

تفوه رويس بشيء أشبه بـ «لا تفعل» ولكن شفقتي قد نفدت.

تابعت: «أنت لم تكن قط طبيبًا شرعيًّا مؤهلًا كما تقول سيرتك الذاتية. كنت مجرد متدرب في مختبر. وكان هذا في إدنبرة، صحيح؟».

لم يخبرني رويس هذا مباشرة، لكنه تفاخر ذات مرة بأنه درس في الجامعة نفسها التي درس فيها آرثر كونان دويل، وهي بالفعل جامعة إدنبرة. لذا لم يكن من الصعب تخمين أن فترة تدريبه كانت في المدينة نفسها.

رحت أقول: «لكن كانت لديك أحلام بأن تكون كاتبًا. أُهملت أعمالك فوق مكاتب الناشرين رغم أنك أرسلتها أربع مرات إلى جيميناي. إلى أن وقعت في يد وايت. إلى أن جاء وايت ذات يوم، وقدم لك صفقة يحلم بها أي كاتب. مقابل خدمة صغيرة فقط. وهي أن تبدل الملصقات على بضعة أنابيب عينات. كانت هذه الصفقة، أليس كذلك؟ تتستر على الأمر لصالح وايت، وفي المقابل ينشر عملك كنجم جديد واعد. هذا منطقي: لماذا قد تغير جيميناي رأيها بعد رفضك أربع مرات؟ لا بد أنك ذكرت وظيفتك في سيرتك الذاتية. لم يصدق وايت حظه عندما وجدك. وكل شيء يتطابق مع الجدول الزمني، كتابك الأول نُشر في عام 2004. لكن الآن مبيعاتك تتراجع، ولم يعد وايت مهتمًّا بك، فارتأيت أن الحصول على توصية من هنري سيصلح الأمر. شعرت بالإهانة عندما اختار هنري إعطاء التوصية لليزا بدلًا عنك. لقد قلت لي شخصيًّا إن ماكتافش كان مدينًا لك».

سال المخاط من أنف رويس. لن أنشغل بإعادة سرد حواره، لكنني أستطيع أن أؤكد أن وصفه بالتوسل والنحيب ملائم جدًّا. اعترف بين فقاعات المخاط بأن كل ما استنتجته كان صحيحًا. فانحنى هاتش إلى الأمام في تركيز.

تحدثت هارييت: «إذن هناك ثلاثة أشخاص في مؤامرة سرية، واثنان منهم ماتا؟ ومع ذلك، آلان ليس القاتل؟».

قال فولفجانج: «بالتأكيد كان اتهامه الكبير محاولة لتشتيت الانتباه. تلك المسرحية كلها هدفت إلى اتهام شخص يعرف تمامًا أنه بالفعل قد مات. كانت طريقة لإبعاد الأنظار عنه».

قلت: «شكرًا لكما. ولكن رويس ليس الفاعل. والسبب الأساسي لأنه جبان. يتبع الآخرين ويختبئ خلفهم، هذا ليس الرجل الذي يحمل السكين. ولكن تدمير فرصة ضحية فقط من أجل نشر كتاب، يبدو لي قمة الجبن». نظرت إلى هاتش. «يمكنك تقييده الآن إذا أردت».

رفع هاتش الأصفاد باتجاه رويس، وقال: «ليست لدي سلطة قضائية على جريمة دولية قد تكون حدثت أو لم تحدث. لكن التعاون الآن قد يساعدك حقًّا».

أومأ رويس. كانت ذراعه مسترخية كعجينة طرية بينما قيّده هاتش بمسند الكرسي، فجلس كأنه كائن رخو بلا عظام. بدا مستسلمًا لما يعرف أنه قادم. يمكنني القول إنه سقوط من النعيم، لكن كلمة نعيم تبدو وكأنها على بعد طوابق كثيرة جدًّا فوق مستوى رويس ليرتطم ارتطامًا حقيقيًّا. على الأرجح أن الشيء التالي الذي سيكتبه سيكون اعتذارًا على تويتر، المنصة الرسمية لأصدق الاعتذارات طبعًا.

واصلت حديثي: «على الرغم من استنتاجه الخاطئ، فقد قدم رويس بعض الدوافع المعقولة لبقيتكم. لكن يا ليزا، هذا هو السبب الذي جعله يرفض اعتبارك مشتبهًا فيه في تحليلاته». تذكرتُ محاولتها استدراجه عندما قالت له: أخبرهم لماذا أعد مشتبهًا فيه يا آلان. «لقد تعمد تجاهل مسار تحقيق كامل الصلاحية لأنه عرف أنه لو كشف دوافعك، فقد يُفضح تورطه بالأمر».

عبرت ماجورز الغرفة بعينين مدمعتين، وعانقت ليزا.

تنحنح هاتش، وقال: «هل يستغرق الأمر كل هذا الوقت عادة؟».

أجاب كُتَّاب الجريمة الحاضرين جميعًا في اللحظة نفسها: «أجل».

قلت: «علي أن أناقش دوافع وحجج كل واحد منكم علنًا، هذا شرط أساسي في هذه الفئة الأدبية». أخفضت صوتي إلى همس يوحي بالمؤامرة: «كما أن وكيلتي الأدبية حاضرة هنا، وبالنظر إلى كل ما فعلته، خلف الكواليس، من أجل خروج هذا الكتاب للنور، فأظن أنها سترغب في نهاية جيدة. سترغب في حلب كل الأحداث حتى آخر قطرة فعليًّا».

اضطربت سيمون في مقعدها. لقد استمتعت بذلك كثيرًا لدرجة أنني قررت تأجيل التفسير، والتفتُّ بدلًا من ذلك إلى إس إف ماجورز، وقلت: «ثمة شيء واحد أصاب فيه رويس، وهو دافعك. في تلك الليلة نفسها في إدنبرة، أخبرتِ ماكتافش بفكرتك للرواية. وبعد عام، نُشرت روايته الجديدة الخروج عن المسار، والتي دارت حول الحبكة نفسها، وهذا أشعل غضبك، لأنها لم تكن فكرتك فقط، بل قصتك أيضًا، أليس كذلك؟».

عضت ماجورز على شفتيها، وألقت نظرة خاطفة على شخص آخر. سأخبرك بهويته في لحظة.

تابعت: «لقد التحقت بمدرسة ابتدائية إقليمية، أليس كذلك؟ هذا مذكور في سيرتك الذاتية. لقد اعتدت قراءة ثلاثة كتب فقط في مكتبة مدرستك مرارًا وتكرارًا، والتي تبدو لي مدرسة صغيرة للغاية. أنت تعرفين أليس سبرينجز، حيث رشحت لنا أفضل مخبز للحصول على كعك الفانيليا. لقد كبرتِ هنا».

أومأت ماجورز.

- تلك الحافلة التي صدمها قطار الغان، أظن أنها كانت حافلة مدرستك. ولكنني لا أظنك نجوت من الحادث، هذا مستحيل. أظن أنك فوتِّه كله.

قالت ماجورز: «كنت مريضة. في أي يوم آخر لأجبرني والداي ببعض المناديل والدواء وأرسلاني إلى المدرسة، ولكنني لم أحب الألعاب الرياضية في يوم الأربعاء قط، لذا فقد بالغت في الأمر. كان من الممكن أن أذهب». اهتز صوتها، فاعترتني موجة من التعاطف، إذ إنني عانيت صراعًا «لماذا أنا» كثيرًا. قالت: «الفتاة... التي في قصتي، لو أن ذلك ما ترمي إليه بهذا... اسمها آنا. كانت صديقتي المقربة. لو يهمك أن تعرف».

علمت أن الأمر كان مثل أن تدفع سنًّا متعفنة بلسانك بالنسبة إليها، لذا فقد بدلت انتباهي إلى دوجلاس، رحت أقول: «لنتحدث عن كيف قابلتما بعضكما. شريكك، نوح، كان معلمًا في مدرسة، وقد مات ذاك اليوم في حادث القطار، لقد أخبرتني أن سائق الحافلة، تروي فيرث، كان يتصرف تصرفات غير لائقة مع طالبة، آنا، كما علمنا للتو. أقنع نوح آنا بأن تكشف الأمر. ومن أجل منع ذلك من الحدوث، توقف تروي بالحافلة على القضبان وأقفل كل الأبواب».

قال دوجلاس: «لقد قتل خمسة أشخاص، أربعة أطفال».

قلت: «تصدر الحادث الأخبار المحلية، كانت مأساة، لكن الأمر لم يتعد أكثر من ذلك. عادة ما تنسى مثل هذه القصص بمرور الوقت، لكن ليس هنا. لأن القصة أعيد سردها واستمر ذكرها في واحدة من روايات الجريمة في الكتاب الثالث لأحد أكثر الكتاب شعبية في العالم، ولكن رواية الخروج عن المسار ليست مجرد إعادة سرد للحادث، إنها القصة الحقيقية، شخص يدبر جريمة قتل لتبدو كحادث قطار، وهي قصة لم

يكن يعلم بها سوى قلة من الناس: صديقة الضحية المقربة (أشرت إلى ماجورز) وشريك معلمها. لكن ثمة فرقًا جوهريًّا: ففي الرواية، ينجو القاتل بفعلته. وإذا كنت تعتقد أنها قصة حقيقية، ربما يمكنك أن تصدق شيئًا جنونيًّا. قد تصدق أن الخروج عن المسار تحمل معنى خفيًا، وهو أن تروي فيرث ما زال حيًّا يرزق».

كل النساء في الغرفة رمقن الرجال بنظرات متفحصة: فولفجانج، رويس، جاسبر، دوجلاس، حتى آرون لم ينج من التدقيق.

قلت، مما أثار همهمات خافتة: «وهنا يأتي دورك يا دوجلاس. لقد أحضرت مسدسًا إلى القطار. لا تقلق يا هاتش. المسدس في سلة مهملات في أليس سبرينجز. دوجلاس، لقد سألتني سؤالًا عن الانتقام في جلستنا الأولى. أردت أن تعرف كيف يشعر المرء عندما يأخذ حياة شخص آخر. لقد صعدت إلى هذا القطار بنية قتل شخص ما».

- أنا لست...

- أعرف أنك لست تروي فيرث، لكنك كنت تبحث عنه.

تركت كلماتي تغوص في الصمت.

شهقت سيمون، وقالت: «تروي فيرث هو هنري ماكتافش، إصابته!».

قال فولفجانج: «آسف على التدخل التحريري، ولكن، هل هذا منطقي؟ أن تعرف ماجورز أن الرجل الذي تحرش بأقرب صديقة لها وقتلها على قيد الحياة، ولا تبلغ عنه الشرطة؟».

وافقته قائلًا: «هذا عارٍ تمامًا من المنطق، فالتوقيت غير متطابق، هذا أولًا. قد يمثل هذا عنصر حبكة في واحدة من رواياتنا، لكنه لا يناسب الحياة الواقعية. المشكلة هي، أن هذا بالضبط ما اعتقده دوجلاس. اعتقد أن الخروج عن المسار كانت القصة الحقيقية التي تسرد كيف

أفلت هنري ماكتافش من جرائم قتله المتعددة. أقنع نفسه أن ماكتافش هو فيرث، وأن الخروج عن المسار كانت بمنزلة اعتراف. لأن الرواية كان بها من الحقائق ما جعلها تبدو مقنعة في النهاية. لكنها كانت حقائق سرقها ماكتافش، من دون أن يحسب العواقب، من قصة ماجورز».

تنحنحت ماجورز، وقالت: «لقد جاءتني فكرة الرواية لأنني اعتقدت أنني رأيت رجلًا يشبه تروي فيرث، بعد سنوات طويلة. هذا كل شيء، لمحة عابرة أثارت ذكرى بعيدة. هذا ما تبحث عنه يا هاتش، إذا لم تفهم بعد. الكتابة هي تكديس للعيدان والعشب على أمل أن تصدر شرارة صغيرة تشعل فيها النار. مثل الأفكار المميزة كلها، تحضرك فجأة وتفرض نفسها في شكل قصة. قلت لنفسي: ماذا لو كنت قد رأيت تروي فيرث للتو؟ هذا ما أخبرت به هنري عام 2003. هي فكرتي أنا. ولكن بها تفاصيل من حياة آنا. تفاصيل حقيقية، بما يكفي لتقنع دوجلاس أنها ما حدث حقًّا. ولكنه يأتي إلي لاحقًا على العشاء بعد الندوة الأولى، حيث جلس ماكتافش وأنا نتجادل حول رواية الخروج عن المسار، ليظن أن لدي الشكوك نفسها مثله. أخبرته أنه مجنون، وأن مشكلتي مع ماكتافش تكمن في أمر آخر، وأن حبكة الرواية خيالية». تذكرت همساتهما بينما يستبعدان رويس من حديثهما. «ثم واجهته في محطة التليجراف في الليلة التالية. كان تروي فيرث رجلًا فظيعًا، لكنه مات منذ زمن طويل. لقد سمح دوجلاس لرغبته في الانتقام أن تخلط بين الخيال وما أراد أن يكون الحقيقة».

ركزت انتباهي على دوجلاس، وقلت: «لهذا السبب شكرتني وألقيت بالمسدس بعدما مات ماكتافش، لقد جئت إلى هنا لكي تقتله، وظننت أنني فعلت ذلك من أجلك. لقد كانت ماجورز تصرخ بك في محطة التليجراف لأنها ظنت أنك تبعت شكوكك وقتلته. بالطبع، لقد أخطأت كل

الخطأ. فهنري ماكتافش هو هنري ماكتافش: في أي جزء تبعًا لسيرته الذاتية تظنه سيجد الوقت ليقود حافلة مدرسية في أستراليا؟ كما أن تروي فيرث قد مات في الحادث. وأصيب هنري ماكتافش في حادثة دهس، وهذا موثق. ولكن حقيقة أنك جئت إلى هنا معتقدًا عكس ذلك، ومبيتًا نية القتل بناء على هذا الاعتقاد، حسنًا، فهذا صحيح».

قال دوجلاس بينما ينظر حول الغرفة: «أنا لم أقتل أحدًا، كما قلت لك بالضبط، لقد أخذت المسدس في داروين بنية الانتقام، هذا صحيح. لكنني غيرت رأيي، بعد ما قلته عن الثمن الذي يدفعه المرء. لقد فوَّتُّ نزهة الغابة لكي أنثر رماد نوح، وتركت الأمر».

قلت: «قانونيًّا، أنا أيضًا لم أقتل أحدًا، تذكرون؟» كنت أومن بأن نوايا دوجلاس وأفعاله كانت منفصلة. بالطبع، أصبح الغفران أسهل عندما مات ماكتافش بالفعل، لكن دوجلاس توفرت لديه الكثير من الفرص لإطلاق النار عليه في اليوم الأول ولم يفعل. ربما وضعت ماجورز ما يكفي من الشك في ذهنه، وساعدته على إدراك أن العدالة الحقيقية ليست مجرد انتقام. على كل حال، فقد استعاد رشده وألقى المسدس في محطة أليس سبرينجز.

قلت: «في العشاء الرسمي، بدوت وكأنك قد تحررت، لم أفهم ذلك في حينه، لكنني بتُّ أفهمه الآن».

طوى هاتش ذراعيه، وقال: «لقد حللت الكثير من الجرائم. لكنني قد وُعدت بإيجاد القاتل».

- هذا صحيح. قبل أن أبدأ في الجزء التالي، أردتكم فقط أن تتذكروا جميعًا أن سلاح الجريمة المستخدم في قتل وايت.

قال هاتش: «قلم».

قلت مصححًا: «ليس فقط أي قلم، بل قلم من دار جيميناي للنشر. هدية مقدمة لكل كُتَّاب وايت، التي تتضمن كل من، على حسب فهمي للأمر: رويس وماكتافش، وربما جاسبر، وليزا، من أجل كتابها الأول. وسيمون، التي منحها وايت قلمًا بالأمس». لقد تذكرت كلمات وايت الساخرة على العشاء: «لم تخرج خالية الوفاض على أي حال. أعطيتها جائزة ترضية. ليس الأمر وكأنها ستستخدمها للتوقيع مع أي أحد». لم يتمكن وايت من تفويت فرصة التعالي على سيمون بينما يسلمها قلمًا بتعبير يحمل عبارة: حظ أوفر في المرة القادمة. أضفت: «وبالطبع، فولفجانج».

قالت سيمون: «في الواقع أن ناشر فولفجانج هو هاربر كولينز».

التفت نحوه، وقلت: «فقط أخبرني يا فولفجانج، إلى أي درجة مشروعك الفني تفاعلي؟».

الفصل الرابع والثلاثون

راح فولفجانج يضرب يديه في تصفيق بطيء ساخر، وقال: «تعتقد أنك ذكي جدًّا، أليس كذلك؟». توقف عن التصفيق وبسط يديه قائلًا: «المسرح لك، أمتعنا».

لم أتردد: كنت أنتظر هذا الجزء بفارغ الصبر، قلت: «منذ أن رأيت اسم مشروعك، موت الأدب، أدركت أنه لا بد أن يشمل نوعًا من إذلال المؤسسة الأدبية. لأنك تؤمن أن أعمالك هي أعمال فنية، وأي شيء آخر هو... ماذا كنت تسمي كاتبًا مثلي؟» أشرت بيدي مكونًا علامتي تنصيص في الهواء لأذكره بكلماته في الندوة: «آه، أجل، أدب شعبي. ومن يمثل هذا الأدب الشعبي في الوقت الحالي؟ حسنًا، قد يقول أحدهم إنه نجم الجريمة الاسكتلندي هنري ماكتافش. وقد يقول آخر إنه وايت لويد نفسه، المتخصص في نشر الأدب التجاري، بما في ذلك أعمال هنري ماكتافش وإريكا ماثيسون أيضًا».

تثاءب فولفجانج، وقال: «لقد جرب رويس ذلك بالفعل، سوف تحتاج إلى أكثر من ذلك بقليل».

- من الواضح أن مشروعك قد صُمم لتشويه سمعة وايت. إنك لم تستطع مقاومة التفاخر على العشاء في الليلة الأولى، ولقد صُدم وايت مما أخبرته به، وصرخ في وجهك قائلًا إن ما تفعله سيدمره، ثم حاول شراء صمتك، وأفترضُ أنك رفضت عرضه؟

- لا يمكن لأمثاله أن يدفعوا ثمن الحفاظ على الأدب.

- بالضبط. لذا فالسؤال كالآتي: ما الذي يمكن أن تفعله قد يدمر وايت لويد؟ الإجابة بسيطة، لقد دعوت ثلاثة أشخاص في هذه الرحلة: اثنتان من المحافظين الفنيين وناقدة أدبية. الثلاثة يقرأن كتاب إحدى عشرة نشوة لديبورا وينستوك، لكاتبته إريكا ماثيسون. الثلاثة لديهن نسخ جديدة، اشترينها من مكتبة في داروين. إحدى النسخ موقعة حديثًا، من كاتبة منعزلة لا تظهر علنًا أبدًا. الثلاثة، نساء محترمات ذكيات، يعتقدن أن الكتاب عبقري للغاية، لماذا؟ لأن إريكا ماثيسون هي مشروعك الفني.

إذا كنت تتابع معي وأنت في منزلك، ستعلم أن اسم فولفجانج قد ذُكر 94 مرة، وإريكا 12 مرة. وعند جمعهما معًا حسب قواعدي للأسماء المستعارة، فإن المجموع يصل إلى رقم سحري معين.

ابتسم فولفجانج ابتسامة ساخرة، وقال: «أنت أفضل كثيرًا من آلان».

قلت: «لهذا لديك قلم جيميناي».

أدى فولفجانج حركة درامية وكأنه يخلع قناعًا غير مرئي من ذقنه إلى جبينه، وقال وعيناه تومضان بنظرة ساخرة: «أنت تنظر الآن إلى إريكا ماثيسون. وايت لم يكن يعلم أنها أنا. أعددت الأمر من خلال شركة، بحساب دولي وصندوق بريد ليُرسل إليه العقود أو أي شيء آخر».

- أو قلم.

قال: «بالضبط، كانت خطتي بيع أكثر أدب مبتذل وبائس بقدر الإمكان». توقف قليلًا ليبصق الكلمة الأخيرة بازدراء. «وقد التهمه كالكلب. ثم حوله إلى واحد من أكثر كتب السنة مبيعًا. مما يثبت وجهة نظري: الأدب الحقيقي لا يُقدر بقيمته الحقيقية، بينما الأدب التجاري يُختلق اختلاقًا».

- لكنك لم تبدُ وكأنك تمانع الأدب التجاري، أليس كذلك؟ أخبرتني سيمون أن مبيعاتك كانت كارثية، ومع ذلك فقد أتيت إلى بريما بسيارة جاجوار قيمتها مئتا ألف دولار. أنت لست روبن هود الأدب كما تدعي.

قال فولفجانج بابتسامة ساخرة: «الغنائم جزء من الهدف كله، إنها بغرض السخرية. يمكنني أن أشرحها لك إذا أردت».

- يمكنك أن تبرر الأمر كما يحلو لك. ولعلمك، أعتقد أنك منافق. لكنك رجل ذو قناعات، وهدفك من التجربة لطالما كان كشف الحقيقة. هذا ما أخبرت به وايت في أثناء العشاء: من تكون حقًّا. أخبرته أيضًا أنك ستعلن الأمر للعامة. لهذا السبب دعوت أولئك الأشخاص المؤثرين ممن تحترم آراءهم. أقحمتهم في مزحتك، ووقعت كتبهم، واستمتعت بإعجابهم بعبقريتك.

أصبحت التعليقات التي أزعجت سيمون أيما إزعاج منطقية الآن، تعليقات من محترفين يُفترض أنهم محترمون حول رواية مبتذلة كتلك، مثل: عبقري... رؤية حقيقية... اكتشاف مذهل.

توقفت، وألقيت نظرة حول الغرفة، ثم عدت بوجهي إلى فولفجانج. «لكن لا شيء من هذا يبدو كافيًا لتدمير أحد، وهذا ما لم أستطع فهمه. يمكن أن تكفي أطروحتك لإثبات أن أي شخص يمكنه أن يكتب كتابًا يحقق مبيعات ضخمة. في الواقع، يُقال إن ماريو بوزو فعل ذلك برواية

«الأب الروحي». أو ربما أردت أن تلقي الضوء على العائد المادي الذي يحصل عليه بعض الكُتَّاب أو بعض الكتب. ولكن في النهاية، هذا كله لا يهم. لا يزال ملايين الناس يقرأون كتب إريكا ماثيسون. ربما يشعر وايت بالإحراج، ولكن أرباح دار جيميناي ستحلق في السماء. مشروع موت الأدب يتطلب أشياء أكثر درامية».

افترض بإريكا ماثيسون أن تكون إهانة عظيمة للوسط الأدبي، افتُرض بها أن تُحقِّر من شأنه. لقد قالت فيرونيكا بلايث ذلك بنفسها لسيمون: «يمكن لأمثالك تعلم الكثير من هذا الكتاب». رحت أتجول في المكان وأفكر بصوت عالٍ في استنتاجاتي. تحرك آرون ببطء إلى خلف الحشد. كسر أخيرًا قناع الاحتراف الذي اكتسى به، وسحب كرسيًّا عند البار وأخذ يفك غطاء زجاجة فودكا.

قلت: «إريكا ماثيسون ليست شخصًا حقيقيًّا. ولكن إليك المفاجأة الكبرى: هي أيضًا لم تكتب أيًّا من الكتابين».

عند هذا، تلاشت ملامح غطرسة فولفجانج لأول مرة. كان يعلم أنني كشفته.

تابعت: «لم يكن الأمر يومًا بسيطًا مثل كتابة كتاب تعتبره دون المستوى. لقد صنعت كتاب إحدى عشرة نشوة لديبورا وينستوك باستخدام برنامج. الذكاء الاصطناعي هو من كتبه لك. لهذا السبب كنت تقرأ كتابًا علميًّا عن برمجة الذكاء الاصطناعي في صباح ذلك اليوم، بعنوان ثمن الذكاء. أصبح الذكاء الاصطناعي مفتوح المصدر الآن، والجميع يمكنهم استخدامه. حتى أن عمي استخدم ChatGPT لإنشاء موقعه الإلكتروني. فلماذا لا تستخدم الذكاء الاصطناعي لكتابة كتاب. قلت بنفسك في تلك الندوة إن الكتب مثل كتبي ستكتبها الآلات خلال خمسين عامًا. وهذا» – أشرت إليه بإصبعي – «كافٍ ليكون دراميًّا

لإثبات وجهة نظرك. أكثر الكتب مبيعًا، وأحدث إصدارات وايت لويد قد كُتب بواسطة آلة. هذا كفيل ليجن جنونه. إنه تقريبًا يستحق القتل من أجله».

قال فولفجانج: «ستفاجئك سهولة الأمر. أنا فقط وضحت ما أردت حدوثه في كل فصل. فأعادت الخوارزمية إخراجه لي في شكل كتاب. استغرقني الأمر يومًا واحدًا فقط. لم تكن الكتابة مثالية، لكن فريق وايت اهتم بتصحيحها خلال التحرير. طار فرحًا بهذا الخليط المبتذل، وتأثر لدرجة أنه أغفل الإشارات التحذيرية كلها. لم يهتم حتى بحقيقة أننا لم نلتق قط. بهذه البساطة. كان هذا هو الهدف، إثبات أن الأدب التجاري مجرد وصفة. بينما الأدب الحقيقي لا يمكن أن يُخلق إلا هنا». أشار إلى جبهته.

قاطعه هاتش، وقد مال إلى الأمام بحماس تلميذ صغير، وقد توقف عن الاعتراض وانخرط في القصة بكل جوارحه: «لو أنني فهمت الأمر بشكل صحيح، فهذا يعطي وايت دافعًا لقتل فولفجانج، وليس العكس».

قال فولفجانج: «تمامًا. وليس هذا فقط، ولكني أردت أن يعرف الجميع. لهذا السبب دعوت ضيوفي. كان يفترض بالأخبار أن تملأ الصحف مع وصولنا إلى أديلايد. لقد أخبرت وايت في وجهه. لطالما نويت إفشاء هذا السر في الوقت المناسب. أنا لم أقتل أحدًا لكي أخفيه». كان هذا، إذا كنت تعد، المرة الخامسة من ست مرات ستُقال فيها هذه العبارة.

قلت: «أنت محق. لقد حدث وتساءلت إذا كان المال كافيًا ليجعلك تغير رأيك. والآن بعد أن ذُقت متعة النجاح المادي الذي غاب عن حياتك المهنية إلى الآن، هل يمكن أن تقتل للحفاظ عليه؟ لكنني لا أظنك قد

تفعل. حتى إنك قد أعطيتني أكبر دليل على الإطلاق لمعرفة القاتل الحقيقي».

قال فولفجانج بجفاء: «في خدمتك».

- بلا مزاح. لقد أعجبت بأسلوب أحدهم بالفعل.

زفر فولفجانج، ربما شعر بالإهانة لاتهامه بالإيجابية.

قلت: «إنني أتحدث عن رواية الحياة والموت والويسكي. عندما قلبت فيها في مقصورة وايت، قلت إن أسلوب ماكتافش في الكتابة قد تحسن، صحيح؟».

قال فولفجانج: «قليلًا».

- أجل، حرفيًّا. لقد قلت إن رواية الحياة والموت والويسكي قد عكست تحسنًا طفيفًا. قلت إن كتابه الأول، الكتاب الوحيد الذي قرأته له، كان بشعًا. ويعج بالفواصل غير الضرورية، لقد أخبرتني بهذا. أخبرتني كذلك أن الكتابة مثل الوشم. وأن بعض العادات يصعب التخلص منها. وأن الاستخدام المفرط للفواصل كان إحدى عادات ماكتافش. لقد كانت الإجابة نصب أعيننا طوال الوقت.

بالنظر إلى أننا نوينا مناقشة التقنيات الأدبية، فقد تمكن معظم الكُتَّاب في الغرفة من إدراك الأمر بالفعل. إلا أن هاتش احتاج إلى مزيد من الشرح، لهذا تابعت: «إنها في العنوان نفسه بحق الجحيم! إن العنوان لم يحوِ أي فواصل: الحياة والموت والويسكي».

أود أن أعتذر سريعًا. فأنا أوشك على كسر واحدة من قواعدنا الأساسية. اتضح أن هناك أشباحًا في هذا الكتاب رغم كل شيء.

قلت: «لم يعد هنري ماكتافش يكتب كتبه بعد الآن، بل كان جاسبر مردوخ من يكتبها».

الشبح

الفصل الخامس والثلاثون

كاتب شبح. كان الأمر بهذه البساطة.

توجب أن يكون الأمر في غاية الوضوح أن ماكتافش لم يعد يكتب كتبه بنفسه بعد الآن. الخط الزمني لنشر أعماله وحده كان كافيًا لكشف القصة. كان كتابه الأول من أكثر الكتب مبيعًا على مستوى العالم، والثاني فاشلًا بالكلية، مما جعل ثقته بنفسه تنهار. ومع تعافيه المؤلم من حادثه – كما قالت سيمون: واستطعت أن أرى أن الكتاب الثالث كان يخرج منه كخروج حصوة كلوية– اضطر إلى السرقة من إس. إف. ماجورز فقط ليتمكن من كتابته. لكنه لم يكن قادرًا على استخدام هذه الخدعة مرتين.

لخصت بروك الأمر بشكل مثالي في عربة الرئيس: ربما *أعتقد الآن أنه رجل يحب المتعة لكنه لا يريد أن يبذل جهدًا للحصول عليها*. لقد احتاج إلى طريقة أخرى لكتابة الكتب.

همس جاسبر: «اعتقدت أنك صدقت قصة إريكا ماثيسون».

- كما قلت لك الليلة الماضية، كنت أعلم أنك لم تكن تكتب لنفسك. بدوت قلقًا بعض الشيء من أن أكون قد كشفت الأمر في البداية،

ولكن حينذاك، فقد ظننت أنك إريكا ماثيسون. بدوت مرتاحًا عندما أخبرتك بهذا، وهو ما ظننته رد فعل طبيعيًّا بعد إخفاء مثل هذا السر الكبير لمدة طويلة، ولكنه في الحقيقة كان لأنك ظننت أن سرك ما زال محفوظًا. فرغم كل شيء، لا قيمة لهذه الخطة إذا عرف بها أحد، كما قلت لي. كنت سعيدًا جدًّا للاعتراف بأنك إريكا ماثيسون عندما استدرجتك، من دون أن تدرك أنه فولفجانج، فقط لإبعاد شكوكي. لكن، حتى لو أخطئتُ بشأن ذلك، فالأدلة هي نفسها. أسلوبك في التصرف يعكس شخصًا لم يكن قط في دائرة الضوء، ولا تنفك هارييت تساعدك وتدفعك إلى الاعتراف بإنجازاتك. وقد أزعجك ذلك، أفترض أن بند السرية في عقدك صارم للغاية، وهذا غالبًا هو السبب الذي يجعلك تحاول إسكاتها في كل مرة. أخبرتني أن هارييت تريدك أن تكتب باسمك الحقيقي، وربما كان هذا حلمك أيضًا في يوم من الأيام. صدرت روايتك الأولى عام 2009، ووضعتك مراجعة نيويورك تايمز في مقارنة غير منصفة أمام ماكتافش، رغم أنك أيضًا من يكتب كتبه. ورغم ذلك، فقد أثنت هارييت بشدة على الكتاب الخامس لماكتافش، الذي كتبته أنت عام 2006، لدرجة أن الثناء ما زال يستخدم على أغلفة كتبه حتى الآن. وهناك هذا التشبيه بالوشم مجددًا، فصوتك ليس شيئًا يمكنك إخفاؤه. أنت هو أنت، ولا يمكنك أن تتخلص من ذلك، حتى لو ظن العالم كله أنك شخص آخر. لكن تلك المراجعة، هي ما كشفتك. كان ذلك عندما توقفت عن مطاردة صوتك الحقيقي وقررت أن تقنع بمكانك في مؤخرة الغرفة. لقد فعلت شيئًا أيضًا لا ينبغي لأي كاتب أن يفعله أبدًا: لقد كتبت ردًّا على المراجعة.

جفل جسد سيمون. لقد أخبرني جاسبر ذلك بنفسه، أن المراجعات السيئة جزء من كونك كاتبًا... وأنه حصل على واحدة قبلًا، وأنه كتب ردًّا إلى الناقد.

تابعت: «لقد أخبرت هارييت بالحقيقة في ردك، أليس كذلك؟ قلت لها إنك شعرت أن مراجعتها غير منصفة لأنها لم تكن تعلم أنك هنري ماكتافش. أفترض أن ذلك الاعتراف هو ما أدى إلى لقائكما الأول».

أومأت هارييت موافقة، بينما شرح جاسبر: «أردت أن أعتذر، كانت تعتقد أنه ربما يكون سبقًا صحفيًّا كبيرًا، واحتجت إلى التوسل إليها لكي تبقي الأمر سرًّا. تناولنا القهوة، وفجأة لم تعد مثل هذه الأمور الصغيرة تهم كثيرًا».

قلت: «إنها أكبر داعم لك. لقد أصبحت كذلك منذ أن اكتشفت أنك هنري ماكتافش الحقيقي، تحاول أن تمنحك التقدير الذي حتى هي لم تمنحك إياه في تلك المراجعة. وبينما تحاول أنت أن تتهرب من الاهتمام، لم تستطع هارييت مقاومة الإطراء بين الحين والآخر قط. أو أن تحاول ملامسة الحقيقة. لقد سألت ماكتافش في الندوة عن مصدر أفكاره. وأخبرتني أنك حققت مبيعات بقدر مبيعات ماكتافش. عبارة يسهل تقبلها كنوع من التفاخر العادي، لكنها كانت محددة للغاية، مبيعاتك هي نفسها مبيعات ماكتافش. وعندما سألتها إذا كانت من معجبي ماكتافش، قالت هارييت إنها من أشد المعجبين بكتبه. ليس الكاتب لشخصه، بل كتبه. أو بالأحرى كتبك أنت».

التفت جاسبر وراح يرمق هارييت، تذكرت غضبه عندما أخبرتني بتلك الأشياء، ذلك الخلاف بينهما، هي أرادته أن يصبح مركز الاهتمام، بينما كان هو سعيدًا، أو هكذا قال، عن البقاء في الظل. شدَّت هارييت على كتفه، يصعب القول إذا كان ذلك بدافع الخوف أم الاعتذار.

تابعت: «ولكن الأدلة لم تأت من هارييت وحدها. اعتاد ماكتافش كتابة كتبه كلها على آلة كاتبة، مخطوطة واحدة لكل كتاب للحماية من التسريبات كما يُزعم، ولكنه في الحقيقة لا يريد أي وجود لأي بيانات رقمية تشير إلى المؤلف الحقيقي أو أي دليل على الجهاز الذي كُتبت عليه. من المفترض أنه أنهى رواية الحياة والموت والويسكي على متن القطار وسلمها يدًا بيد إلى وايت، إلا أنه ليس لديه آلة كاتبة في غرفته. وبالطبع، نجد يدي جاسبر المتصلبتين نتيجة العمل على آلة قديمة. ولدينا الندوة أيضًا، في بداية كل شيء».

تذكرت تلعثم ماكتافش وهو مخمور قليلًا، وخلطه بين روايتي مجيء الليل وبزوغ الفجر، متجاهلًا حقيقة عدم معرفته أي كتاب صدر أولًا، توجد الكثير من تواريخ الإصدارات والصيغ والدول لمتابعتها لدرجة تجعل من السهل أن يختلط عليك الأمر.

قلت: «لم يعرف ماكتافش حتى أي كتاب كان يفترض به أن يتحدث عنه خلال الندوة. وليس هذا فقط، بل بدا غير مدرك تمامًا أن السلسلة قد انتهت». لقد أخطأت فهم هذا الأمر: لقد ظننت أن ماكتافش قد انزعج لأن وايت أجبره على متابعة السلسلة، ولكن في حقيقة الأمر ربما لم يكن يعلم بموت موربند في رواية بزوغ الفجر أصلًا إلا خلال الندوة الأولى. تذكرت كيف رمق وايت حينها. تابعت: «أفترض أنه تحدث إلى وايت بشأن تلك المفاجأة الصغيرة. لقد كان مرتاحًا للغاية لدرجة أنه لم يدرك أن البقرة التي تدر له المال قد شارفت على النضوب. أما جاسبر، فقد كان ذلك تحذيرك الأخير لوايت. لا مزيد من روايات موربند حتى ينشر روايتك الخاصة، الحياة والموت والويسكي. ثم عندما أعطيتها لوايت، لم يرغب في أخذها. لأن وايت أراد أن يحسن علاقته بماكتافش، فتراجع عن اتفاقه معك: لقد كان بحاجة إلى موربند جديد منك. سمعت جدالكما».

تذكرت عندما قال وايت: «هذا موجود في عقدك. ستستمر سلسلة موربند، هذا بسيط. لماذا تغير ذلك بعد كل هذا الوقت؟» وما إن أدركت خطئي بشأن إريكا ماثيسون، عرفت أنه ليس ماكتافش الذي كان في غرفة وايت. كما أنني لم أسمع الصوت المميز لعصا ماكتافش، فقط مجرد خطوات عادية.

قال جاسبر: «ظن وايت أنني سأكتب له رواية أخرى من سلسلة موربند، حتى على الرغم من أن بزوغ الفجر كانت الجزء الأخير كما يفترض. الطريقة الوحيدة التي تمكنت بها من إقناعه بقتل موربند كانت بتقديم الفكرة له على أنها حيلة دعائية، إذ ستتضخم المبيعات إذا قيل إنها الجزء الأخير، ومن بعدها مبيعات أضخم لعودة موربند. أملت حقًّا في أنني لو كسبت بعض الوقت، وإذا وضعت أمامه شيئًا رائعًا، سيغير رأيه، أو ربما أستطيع إقناعه بأن أتوقف عن كتابة موربند لمدة عام، ثم أتمكن من كتابة كليهما. (جز على أسنانه بغضب). لم يقرأ أكثر من صفحة واحدة».

راحت هارييت تُدلك كتف جاسبر. هذا يتماشى مع ما استنتجته. لقد قال وايت: *لقد وعدتني أنك ستعيده. أعلم، أعلم. آرتشي بنش. يا لها من فكرة رائعة لعينة.*

قال هاتش: «لكن وايت كان يمكنه أن يأتي بكاتب شبح آخر، أليس كذلك؟».

قالت هارييت: «لا يوجد من هو أفضل منه». وافقتها، إذ إن الحمض النووي لسلسلة موربند يعود لجاسبر أكثر من ماكتافش نفسه. لقد كتب معظمها رغم كل شيء. لا بد أن وايت كان يعلم أنه لا بديل له.

تابعت: «لهذا السبب وضعت شخصية آرتشي بنش في الكتاب الأخير، كان ذلك وعدك لوايت. وللمعجبين ذوي الانتباه الحاد، بما

فيهم بروك، التي أخبرتني أن آرتشي بنش هو السبب في أنها لا يمكن أن تكون قد قتلته. آرتشي بنش هو جناس لكلمة رايشينباخ، كما في شلالات رايشينباخ حيث مات شيرلوك هولمز بعد سقوطه منه. لكنه لم يبق ميتًا، إذ أعاده كونان دويل سالمًا معافى. وهذا، بالطبع، سبب إضافي جعلني أعلم أن ماكتافش لم يكتب ذلك. وجدت قصاصة ورق بين ملاحظاته، مكتوبة على ورقة تحمل شعار قطار الغان بينما راح يحاول حل الجناس بنفسه بعد الندوة. لماذا يحتاج إلى حل لغزه الخاص إذا كان هو من ابتكره؟».

ابتسمت بروك عند سماعها ذلك.

تدخل هاتش الآن قائلًا: «جاسبر، كيف كان رد فعلك عندما رفض وايت كتابك؟».

تنهد جاسبر، وقال: «قلت إنني سأكشف كل شيء. سأكشف عن هويتي، وعن حقيقة ماكتافش، عن كل شيء».

سمعت وايت من خلف الباب وهو يقول: لا تهددني.

قلت: «يوجد دليل أخير» لم أكن بحاجة لهذا حقًّا، فبالفعل لدي ما يكفي من التأكيدات على أن جاسبر كان كاتب ظل، لكن بما أن سيمون قد بذلت جهدًا كبيرًا لمنحي هذه الفرصة، ربما أمنحها أيضًا النهاية التي تتوق إليها. «سيمون، كنت تعلمين بهذا كله، أليس كذلك؟ منذ البداية، بعد تسليم الكتاب الثالث أخيرًا؟ علمتِ أن الخروج عن المسار كانت مسروقة، وكنت مطلعة على اتهامات ماجورز، وبدأت المفاوضات مع جاسبر حول الكتاب الرابع. أخبرتِني أنك أردت العمل على أدب حقيقي، لهذا السبب تركت تلك الوظيفة».

بدت سيمون متفاجئة من تحول المحادثة من جاسبر إليها بهذه السرعة، تلعثمت قائلة: «عندما تلتصق بك رائحة كريهة، فإنها تلاحقك أينما ذهبت. أردت أن أنسحب قبل أن تتساقط قطع الدومينو».

قلت: «لكنها لم تسقط، ورحت تراقبين وايت وماكتافش بينما يزداد ثراؤهما بسبب السر الذي تحتفظين به. أردتِ حصتك، وهذا يعني إقناع ماكتافش بالتوقيع مع وكالتك، لذا لجأت إلى قليل من الابتزاز التقليدي. أخبرتِني أن الوصول لماكتافش يتطلب التحدث إليه بالرموز والألغاز، وهذا بالضبط ما فعلتِه».

هذا ما أخبرتني به: *عليك استخدام حيله الخاصة لجذب انتباهه أو إبهاره. هو يحب الرموز والألغاز واللعب بالكلمات وتلك الأشياء التي تعود إلى العصر الذهبي.*

تابعت: «قبل أن نصعد إلى القطار مباشرة، سجلتِ دخولًا إلى حسابه على موقع جودريدز، ذلك الحساب الذي لطالما توسل وايت إليه لاستخدامه، وعلى الرغم من أن جودريدز لم يكن موجودًا عندما كنت تعملين معه، فقد اعتاد استخدام كلمة المرور نفسها، رغم أنك أخبرتِني أنك لا تتذكرينها. وتركتِ خمس مراجعات فردية باسم هنري ماكتافش».

تلاشى اعتراض سيمون قبل أن يغادر فمها.

قلت: «لقد ارتبك ماكتافش عندما أخبره فولفجانج أنه يحالفه في كرهه لأسلوبي، رغم أنه قد منحني نجمة واحدة. لم يستخدم ماكتافش تلك المنصة من قبل، وكانت هذه مراجعاته الوحيدة. هذا هو السبب لرفضك التحدث إلى وايت في أمر إزالتها، لأنها كانت رمزًا، تهديدًا لماكتافش».

رأيت هذا في دفتر رويس، مرصوصًا في ترتيب شبه مثالي، وشعرت أنني أحمق لعدم اكتشاف هذا الجزء من اللغز في وقت أبكر:

إرنست: ★ أرعن.

فولفجانج: ★ ★ لامع.

إس إف ماجورز: ★ ★ ★ شنيع.

أنا: ★★★★ بديع.

المومس: ★★★★★ حصيف.

تابعت: «لقد كونت شفرة لكلمة من خمسة أحرف. لهذا السبب لا يبدو تقييم فولفجانج بنجمتين متناسقًا مع كلمة لامع، ويبدو وصف ماجورز بشنيع قاسيًا بعض الشيء على تقييم بثلاث نجوم. حدد عدد النجوم ترتيب الأحرف في شفرة الكلمة. وباستخدام أول حرف من كل كلمة بالترتيب، تعطينا كلمة «الشبح».

عند البار، تجرع آرون جرعة طويلة من الفودكا مباشرة من الزجاجة، الشفرات ليست للجميع.

رحت أقول: «بالطبع، فماكتافش لا يستخدم حسابه على جودريدز، لكنك كنت تعلمين أن وايت سيخبره بالأمر. وكان ماكتافش ذكيًّا بما يكفي ليجمع الأجزاء ببعضها، نظرًا لمهارته في فك الرموز. ولانعدام احتمالية أن تكون من وايت، لا بد أنه اشتبه بأنك الأكثر احتمالًا لتسجيل الدخول إلى حساباته، حينها عرضت عليه فكرتك. لا بد أنه دعاك إلى عربته للخصوصية، إذ شممت رائحة دخانك بطعم التوت البري في غرفته. إلا أن التهديد بكشف الحقيقة لم يكن كافيًا لإقناع ماكتافش بالتوقيع معك. وكل ما حصلت عليه هو وجه غاضب وقلم كتعزية من وايت. لكن بعد موته، فكرتِ أنني قد أكتب عن الأمر. قلتِ لي إن الأدلة كلما كانت أكثر تعقيدًا وغموضًا، زادت مبيعات الكتاب. حرضتني على التفكير في المراجعات أيضًا، إذ لفت انتباهي لها على العشاء قائلة: «تستحق خمس نجوم على مجهودك» كنت تشيرين إلى جاسبر كقاتل

طوال الوقت. وإذا اكتشفتُ ذلك، فستربحين بطريقتين: سيكون لدي فرصة أفضل لكتابة كتاب آخر يحقق مبيعات ضخمة، وسأقلل من شأن وايت في القصة. ولكن مع الأسف، لقد مات قبل أن يرى اسمه مطبوعًا. في الوقت المحدد تمامًا، كما يبدو لي».

طوت سيمون ذراعيها، وقالت: «ربما بعض مما قلته صحيح. لكنني لا أقتل الناس لكي تكتب كتابك الغبي يا إرنست. وأنا أعطيتك نجمة واحدة فقط لأنني ظننت أنك تستطيع تحمل الأمر، لم أدرك أنك بهذه الهشاشة».

قلت: «أنت لا تعرفينني جيدًا، أليس كذلك؟».

كانت آخر شخص في المجموعة ليقول هذه الجملة: «أنا لم أقتل أحدًا. هذا لا يعني أنني أؤذي الناس». ثم اندفعت نحو البار، وانتزعت زجاجة الفودكا من يد آرون، وأخذت جرعة منها ثم تركتها على الطاولة. قالت موجهة حديثها إلى هاتش: «هلَّا ألقيت القبض على جاسبر الآن؟».

اتخذ هاتش خطوة باتجاه جاسبر، بعد أن سمع ما يكفي لإقناعه. تراجع جاسبر إلى الوراء، لكنه كان محاصرًا، إذ كان البار خلفه. لم يجد مكانًا يذهب إليه. أمسكت هارييت بيده في تعاطف.

تابعت: «المشكلة هي أن جاسبر قد عقد صفقة مع وايت. ضاعف وايت دفعته المقدمة ككاتب شبح حتى تصبح رواية الحياة والموت والويسكي لماكتافش بعد وفاته. إذا كان لديه دافع لقتل ماكتافش، فهو ليس لديه دافع لقتل وايت. جاسبر ليس الفاعل».

قبل أن أتمكن من قولها بصوت عال، كشفت الفاعلة عن نفسها. بصراحة، كان الأمر نوعًا من قلة الاحترام، يفترض بالمحقق أن يكشف الحل بينما تتجه أعين الجميع نحو الجاني ببطء. لكن ما إن أمسكتْ

بزجاجة الفودكا من على البار وحطمتها ووجهت فوهتها الحادة إلى عنق سيمون، توجهت كل الأعين بالفعل إلى هارييت مردوخ.

الفصل السادس والثلاثون

قال لي جاسبر في ارتباك: «هارييت؟» ثم التفت إليها، وقال، كأنه يسأل، *هل هذا أنت حقًّا؟*: «هارييت؟» ثم إلي مجددًا مرة أخيرة: «حقًّا؟ هارييت؟» ساعد تكراره المرتاب لاسم زوجته في إنجاز إحصائي كثيرًا.

تفوقت هارييت على سيمون في القوة والعمر والحجم. أمسكت بها وأدارتها بقبضة محكمة وشدت ساعدها ضد صدر سيمون. تراجعنا جميعًا، بما فينا جاسبر. كان بإمكان العديد منا مواجهتها بمفرده، إلا أن شظايا الزجاجة الحادة المغروسة في عنق سيمون قد أوقفتنا.

قلت: «آسف يا جاسبر».

قال متوسلًا: «أخبريهم أن ذلك ليس صحيحًا، أخبريهم. أو قولي لهم إنك لم تقصدي ذلك، إنه كان حادثًا، أرجوكِ».

لم تقل هارييت شيئًا، تجمعت قطرة حمراء على الزجاج المكسور وانزلقت داخل الزجاجة. راحت سيمون تحدق بعينيها الواسعتين، ترتعش يداها بجانبها محذرة: ابقوا بعيدًا. حاول هاتش أن يقدم عرضًا هزليًّا بأن وضع صاعقه جانبًا على أمل أن تهدأ هارييت.

قلت: «لم يكن حادثًا. صعدت هارييت إلى القطار بخطة وحقيبة من الزهور المسروقة بنية استخدامها في القتل. لكن، إذا أصدقك القول، أظن أنها استغرقت وقتًا لتستجمع شجاعتها بعد صعودها إلى القطار».

قال هاتش: «المعذرة، سلاح الجريمة هو الزهور؟».

- تُستخدم زهور الخشخاش لصنع الهيروين. يمكنك صنع شاي بها. تزرع في تسمانيا لأغراض صيدلانية، ولا يمكنك شراء هذا النوع من الزهور في متجر. غالبًا ما يحاول المدمنون سرقتها لصنع المخدرات. تعرفين كل هذا بالطبع، أليس كذلك يا هارييت؟ ما لا تعرفينه هو أن الشخص الذي سرقتِ مزرعة الخشخاش الخاصة به كانت سيدة عجوز تُدعى مارجريت، تتميز بشغف للعدالة وذوق فظيع في روايات المحققين منخفضة الميزانية.

قال جاسبر بينما يحدق إلى زوجته كما لو كانت لوحة تجريدية: «تسمانيا؟».

قلت: «كنت أعلم أنكما بدأتما رحلتكما من هناك، قلت إنك انتهزت الفرصة لقيادة السيارة من شمال أستراليا إلى جنوبها في أثناء إنهاء الحياة والموت والويسكي. وأعطيت وايت عن طريق الخطأ حبوب دوار البحر بدلًا من أقراص حساسية الأنف. الطريقة الوحيدة لقيادة السيارة عبر أستراليا من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب هي بالصعود بسيارتك على العبارة التي تعبر مضيق باس من تسمانيا إلى البر الرئيسي: ومن هنا جاءت الحبوب. وايت، الذي كان في الغرفة المجاورة لكما، أصيب بحساسية مروعة في اليوم الأول. هذا لأن غرفتك، وملابسك، كانت مغطاة بحبوب لقاح الخشخاش التي حشرتها هارييت في حقيبتها. رأيت البتلات في الممر أيضًا، لكنني افترضت أنها مجرد لحظة رومانسية».

تراجعت هارييت خطوة إلى الوراء، متجهة نحو عربة المطعم. تعثرت سيمون مع الحركة، فرسمت حافة الزجاج المكسور خطًّا أطول من اللون الأحمر عبر عنقها.

قالت هارييت: «فعلت ذلك من أجلك، تلك المراجعة الغبية التي كتبتُها، رأيت ما فعلته بك. أطفأت طموحاتك في أي شيء أكثر من ذلك، وجعلتك راضيًا بالبقاء في ظل مهنة شخص آخر. هل تعرف بمَ يشعرني ذلك؟ بينما أعرف أنني جعلتك تعتقد أنك لا شيء سوى اسم شخص آخر؟ لقد سئمت من رؤية كلماتي، الفذة..». صرخت بغضب: «التي لا تقهر، على كل غلاف لعين. تلك الكلمات كان يجب أن تكون لك. هي لك. كلا. أردت إصلاح الأمر. يجب أن يكون لك اسمك أنت. نجاحك أنت. إرثك أنت».

قلت: «وماكتافش كان هو العائق أمام ذلك كله، أليس كذلك؟ لأن حتى مع محاولة جاسبر إنهاء السلسلة بقتل شخصية موربند، لم يكن وايت ليدع الأمر وشأنه قط. لم يُرد وايت رواية الحياة والموت والويسكي، لماذا يقبل رواية باسم جاسبر مردوخ بينما يمكنه متابعة نجاح ماكتافش؟ وهكذا، كان على ماكتافش أن يختفي لإفساح الطريق لجاسبر. لكن ذلك لم يكن القشة الأخيرة، صحيح؟».

هزت هارييت رأسها.

- كما قلت، لم تكوني متأكدة إذا كنت قادرة على فعل ذلك. لكن النقطة الفاصلة، إن الشيء الذي جعلك تنتقلين من الاحتمال إلى القتل بسيط جدًّا، قاعدة الكؤوس الورقية.

تذكرت جاسبر وهو يقترب من ماكتافش ويقدم نفسه. وقع ماكتافش على قاعدة الكؤوس: إلى جاسبر مردوخ. عندما قرأت هارييت العبارة بصوت عال، وقالت: «يا للروعة. هذا جدير بأن نحتفظ به».

صرخت هارييت بينما تراوغ لتحرك سيمون معها، متجهة نحو الممر الصغير بجانب البار، والباب المؤدي إلى العربة التالية: «لم يكن يعرف اسمك حتى!».

تقدمت أنا وجاسبر وهاتش بخطوات حذرة، خطوة واحدة إلى الأمام مقابل كل خطوة تأخذها إلى الوراء.

راحت تقول: «كل الأشياء التي فعلتها من أجله. المال الذي جنيته له. ويعتقد أنك مجرد معجب صغير يريد توقيعًا؟ توقيعًا؟».

تابعت حديثي: «حضَّرتِ شاي الأفيون في المطبخ الصغير في نهاية العربة. لهذا كانت الغلاية في سلة المهملات، لأنك لم تريدي أن يأخذ أي شخص آخر على القطار جرعة عن طريق الخطأ. خلطت شاي الأفيون بزجاجة الويسكي الفاخرة، من النوع الذي لا يستطيع ماكتافش مقاومته، ووضعتها أمام بابه بحيث يراها في الصباح، مرفقة ببطاقة مجهولة كُتب عليها: من معجب. ظن ماكتافش أن الهدية كانت من بروك، التي تحرش بها في الليلة السابقة، دون أن يدرك أنها ابنته. لهذا عرض مشاركتها معه في ذلك الصباح، قبل لحظات من وفاته، افترض أنها ستفهم ما يرمي إليه».

سمعته يقول لها إنه مشروب رائع وفاخر لتشربه بمفردها.

- والآن، لم تتعمدي أن تبدو ميتته بهذه الدرامية. تصورتِ أنه قد يتناول مشروبًا مسائيًّا، ويموت في نومه. أو الأفضل من ذلك، أن يشربه بعد الرحلة، عندما لن تكوني قريبة منه حتى. للأسف، كان ماكتافش مدمنًا على الكحول، فشربه مباشرة، وملأ قنينة الخمر به.

غرست الزجاجة أعمق في عنق سيمون.

قال جاسبر: «هاري... أرجوك..».

قلت: «على رسلك يا هارييت». لم أكن بحاجة إلى شرح جرائمها لها، ولكن بدا أن كلامي يشتتها عن قطع حلق سيمون، لذا تابعت: «المشكلة هي أنك أوشكت على الإفلات بفعلتك. كانت الخطة جيدة رغم كل شيء. المشكلة الوحيدة هي أن تأثير موت ماكتافش كان معاكسًا لما أردته. كان من المفترض أن تحرري جاسبر. لكن فجأة أصبح الحياة والموت والويسكي، الكتاب الذي لم يرده وايت في حياة ماكتافش، ذا قيمة. لم تحرري جاسبر على الإطلاق، بل وضعت قيدًا آخر حوله. لأنه، سواء يكتب باسمه أم لا، تمامًا مثلما قالت مراجعتك في نيويورك تايمز، إن جاسبر يكتب مثل ماكتافش. وهكذا يعلم وايت أنه يمكن تسويق رواية الحياة والموت والويسكي كعمل لماكتافش، لذا يضاعف المبلغ الذي اعتاد دفعه سابقًا لكتب موربند، وليشتري هذا الكتاب الذي أصبح الآن عملًا أدبيًّا لماكتافش بعد وفاته». عرفت الآن أنني عندما رأيته يتحدث على الهاتف في أليس سبرينجز، كان يسعى خلف الموافقة على مبلغ من المال بما يناسب الاتفاق. «وكان جاسبر في قمة سعادته بالمال، لذا فقد رحب بالموافقة. أراد أن يظهر عمله للنور فقط، ولا يهم من اسمه على الغلاف. سمعتكما تتجادلان بشأن موافقته على العرض في ممر سيمبسون الجبلي.

كنت مهتاجة. لقد فعلت ذلك كله ليتمكن جاسبر من تحقيق نفسه. تذهبين للحديث مع وايت تلك الليلة. لا أعرف كيف سارت المحادثة بالضبط، لكنني أعتقد أنني أعرف كيف انتهت. أخبرك أنه يملك جاسبر، وأن لا شيء يمكنك فعله حيال ذلك. ولإثبات وجهة نظره، أخرج قلم جيميناي وكتب بخط متباه على صفحة الغلاف، على عمل جاسبر العظيم: بقلم هنري ماكتافش. كانت تلك هي الكلمات الوحيدة المكتوبة

بخط اليد على النص بأكمله. كانت إهانة أخيرة لم تستطيعي تحملها، انتزعت القلم من يده و...».

قاطعتني هارييت قائلة: «أنت حر». استند ظهرها إلى باب العربة، وعيناها متوجهتان إلى جاسبر وحده. الحب، كما قالت ليزا، هو الدافع. هو الحب. قالت: «طوال حياتك المهنية، كان الجميع ينظرون إليك بطريقة معينة. أنت تستحق أكثر بكثير. لقد استحقوا ما لقوا. أحبك كثيرًا. هذا كله من أجلك».

قال جاسبر باكيًا: «هذا لم يكن من أجلي يا هاري، لا تقولي ذلك».

- أنا أحبك.

- لا تقولي ذلك.

قالت متلعثمة: «أحبك». لقد نظرت إلى أعين ما يكفي من القتلة لأعرف هذه اللحظة جيدًا. تكاد أعينهم تستحيل خزفية، وكأنهم يستيقظون من غيبوبة. «جاسبر؟ أنا أحبك».

بالكاد استطاع جاسبر أن ينطق الكلمات: «هارييت... أنا... أنا... أنا لم أعد أعرفك حتى».

كانت الحركة ضئيلة جدًّا، لكنني رأيت الأوتار في ذراع هارييت تتوتر، وأدركت أنها على وشك استخدام الزجاجة. انطلقت نحوها. رأتني هارييت أتحرك فدفعت سيمون نحوي، مما جعل الأمر في هذا الممر الضيق يشبه ضربة بولينج، فسقط الجميع. انحنت هارييت واندفعت عبر الباب بين العربات.

تخلصنا من أطرافنا المتشابكة. راح هاتش يئن ممسكًا بمعصمه. بدت سيمون بخير، تلطخ عنقها بالدم لكنه لم يتدفق مع جديد. دفعتني بعيدًا، وتمتمت بغضب: «أنا بخير، أوقفوها».

اندفعت إلى عربة المطعم، وجاسبر خلفي. كانت فارغة.

قال جاسبر: «إلى أين هي ذاهبة بحق الجحيم؟».

أتى صوت تحطم زجاج من العربة التالية، مصحوبًا بعواء الرياح التي اندفعت إلى داخل القطار. اقتحمنا المكان لنرى الأوراق تتطاير في الهواء، والزجاج متناثرًا على السجاد تحت النافذة الأقرب. أخرجت رأسي من النافذة ورأيت قدم هارييت تختفي فوق الحافة. لقد تسلقت السلم الموجود على جانب كل عربة. نظرت إلى جاسبر وأشرت نحو السقف، عصفت الرياح كالإعصار في آذاننا.

شق هاتش طريقه عبر الباب من خلفنا، جفل متألمًا وهو يحتضن معصمه المصاب. ربت على كتفي وسلمني صاعقه، إذ لن يتمكن من تسلق السلم. أومأت متفهمًا، وأشرت إلى نهاية العربة حيث تذكرت وجود اللافتة: لإيقاف القطار، اسحب المقبض للأسفل.

كنتُ قد تجاوزت بالفعل عدد المركبات المتحركة التي أرغب بالوقوف فوقها -الرقم المثالي بالطبع هو صفر- لكن، على عكس رغباتي الشخصية وإحباط أي شخص يخطط لتحويل هذا الكتاب إلى فيلم بميزانية ضيقة، وللمرة الثانية في ذلك اليوم، سحبت نفسي خارج النافذة.

تسلقت السلم بسرعة، مدفوعًا بالأدرينالين الذي أخفى ألم أطراف أصابعي الملطخة بالدماء. عندما وصلت إلى الأعلى، بالكاد استطعت فتح عيني بسبب الرياح. بدت هارييت كظل ضبابي، على الرغم من أنها لم تبعد سوى أمتار عني، متكورة مثل قطة. دفعتني الرياح إلى الخلف، وانزلقت أقدامي على السقف المموج. هذا هو السبب في أن هارييت كانت منحنية، وكنت أنا في مواجهة الرياح. انبطحت على بطني وانزلقت إلى الأمام.

شعرت بلمسة على كاحلي، ونظرت خلفي لأجد جاسبر قد صعد السلم. أمسكت بالصاعق بإحكام، وضغطته بالسقف بينما أزحف إلى الأمام. لم يبد أن القطار قد تباطأ على الإطلاق. كم يستغرق سحب مقبض؟ فكرت. لا بد أن آرون كان يتواصل مع السائقين أيضًا. لكنني أدركت أن ألفًا وأربعمئة طن لا يمكنها التوقف فجأة.

فجأة، ضرب شيء معصمي. استطعت أن أرى عبر الضباب الذي خلفته الرياح ما يكفي لتمييز حذاء، وانزلق الصاعق على السطح. كنت أحب أن أخبرك أنه تمايل على الحافة، متوازن بشكل خطِر، بحيث يمكن ليد ممدودة أن تمسك به في اللحظة المثالية، لكن بينما تحوي قصص الإثارة غالبًا مشاهد قتال مليئة بالحظ، فإن هذا الكتاب لديه شيء لا تمتلكه معظمها: الفيزياء. أخذ الصاعق يتمايل ثم سقط من الحافة.

مددت يدي في الهواء أمامي على أمل أن أمسك بهارييت. كانت عيناي قد بدأت تتكيف مع الرياح، وبدأ الضباب ينجلي والرؤية تتضح. بدت كأنها قد استدارت. في الواقع، استطعت رؤيتها بما يكفي لأشاهدها وهي ترفع الزجاجة المكسورة وتهوي بها بقوة على كتفي.

كان النزيف فوريًّا وخطيرًا. شعرت وكأن دلوا من الماء قد سُكب على ظهري. حاولت الإمساك بها، لكنني أدركت أنني لا أستطيع تحريك ذراعي اليمنى. شعرت بجلدي يتقلص عندما سحبت الزجاجة، ورأيتها تعرج مبتعدة. كان مشهد القتال الكبير بهذا القدر. شعرت بالدوار. كل ما استطعت فعله هو أن أتمدد وآمل ألا تدفعني الرياح عن القطار قبل أن يتوقف.

شعرت بيد على كتفي، ثم بنفس ساخن على أذني. مال جاسبر بالقرب مني، وقال: «استخدم اسمي، اسمي الحقيقي».

ثم تحرك أمامي، فتح ذراعيه على اتساعهما بينما اقترب من هارييت، ثم أسقطت الزجاجة. لم أتمكن من سماع ما قاله لها. مسحت وجهها بظهر يدها. ثم خطا جاسبر خطوته، وعانقها.

كان عناقًا محكمًا، محكمًا لدرجة أن يخفق قلباهما معًا، وكأنهما جنديان التقيا بعد حرب طويلة. دفنت هارييت وجهها في كتف جاسبر. ربما، لثانية واحدة، نسيا كل ما حولهما، الرياح، والدم، والموت، والألم. كل ما فعلاه هو أن احتضنا بعضهما.

ثم اندفع كلاهما بحركة من جاسبر عبر حافة القطار.

من: ECunninghamWrites221@gmail.com

إلى: penguinrandomhouse.com.au@

الموضوع: خاتمة

مرحبًا

هذه الخاتمة خادعة، والسبب الرئيسي هو أنها لم تحدث بعد.

من المفترض أن أطلعكم فيها على ما بعد ذروة الأحداث، وهذا أمر سهل كفاية. ليس هناك الكثير من النهايات المفتوحة التي تحتاج إلى تسوية. اعتقل رويس بتهمة التستر على جريمة الاغتصاب. أما دوجلاس بارسونز، إلى حد فهمي، فقد غُرِّم لحيازته سلاحًا ناريًّا بشكل غير قانوني. تمكنت ليزا فولتون من تجنب التهم الجنائية لسرقة السيارة، ولكن هاتش تذمر بأنها تدين له بسيارة لاند كروزر جديدة. وبما أن بروك قد أصبحت الآن وريثة ملكية ماكتافش رسميًّا (بفضل نتائج الحمض النووي)، فأنا متأكد أنه يأمل في أن تكون الإصدارات الأحدث منها.

بالنسبة إلى جاسبر وهارييت، حسنًا، فقد باتا مجرد لطخة حمراء على جانب قطار الغان. بالتأكيد رأيتم تلك الصورة التي في الصحف.

خرجت اتهامات ماجورز بالسرقة الأدبية للعامة، لذا ستحصل على الدعوى القضائية كما رغبت. ليس في استطاعتي إثبات ذلك، لكن لدي

شعورًا بأنها تخطط لتمزيق أي اتفاقية سرية قد وقعتها في الوقت نفسه مع ليزا. علاوة على ذلك، لا يمكنك أن تشوه سمعة الأموات، لذا فبات بمقدورها الآن أن تتهم ماكتافش بأي شيء تريده. كما أشتبه في أنها كانت تعرف أكثر مما ألمحت إليه بشأن الأمر برمته. إذ ما الذي جعلها تدعو ماكتافش ورويس وليزا معًا في الرحلة نفسها؟ ربما خططت هي وليزا معًا لكشف حقيقة ماكتافش وكشف جريمتيه كلتيهما.

أما بالنسبة إلى الضيوف الآخرين، فقد كنا حقًّا مجرد طفيليات: دُعي فولفجانج، كما أخبرتني، بسبب مؤهلاته في تمويل المنح، وأنا، حسنًا، الآن أعلم أنني لستُ مدعوًّا من الأساس. ماجورز كان لديها مكان شاغر وأرادت من جولييت أن تكتب لها توصية.

أعلم أنكم تعتقدون أنني أقسو على سيمون بعض الشيء. لا يهمني التقييم بنجمة واحدة حقًّا، صدقوني. لكن لو أنها أخبرتني عن علاقة الكاتب الشبح في وقت مبكر، بدلًا من أن تأمل أنني سأحل لغزًا لجعل القصة أكثر تعقيدًا، لكان وايت وجاسبر ما زالا على قيد الحياة. وربما هارييت أيضًا. وربما كان يجب أن تعيش هارييت وتلقى عقابًا عادلًا. على الرغم من أنها ليست أسوأ كذبة قيلت في ذلك القطار، فإنها صنعت فجوة غريبة بيني وبين سيمون، لذا أجد أنه من الأفضل أن ننهي علاقتنا المهنية.

ولكن المشكلة تكمن في النهاية الفعلية.

إحدى المغالطات في معظم الكتب المكتوبة بصيغة المتكلم هي الانطباع بأن كل شيء يحدث في الوقت الفعلي. ولهذا السبب يستطيع القراء الاستمتاع بالإثارة عندما، على سبيل المثال، يتسلق شخصية ما سطح قطار، إنه اتفاق ضمني بألا يعترفوا بالكاتب، الجالس في غرفة فندق، مع ذراعه في جبيرة، ويضرب على لوحة المفاتيح. لكن في قرارة

أنفسنا، نحن نعلم دائمًا. لهذا السبب يتوقع القراء أنني سأنجو من هذا الكتاب حتى نهايته.

نحن قريبون جدًّا من الزمن الحقيقي، بالنظر إلى أنهم لا يسمحون لي بمغادرة الفندق. لا أعرف كم من الوقت ستستغرقه التحريات في هذه القضية، لكنني أعلم أن هاتش ليس محققًا يستحق الكتابة عنه. أعني بذلك أنه قد يكون دقيقًا ومنهجيًّا وكفئًا، لكنه لا يملك فهمًا جيدًا لإيقاع الأحداث، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى ذلك، تلك الأدوية التي أعطوني إياها من أجل كتفي، والتي لا يمكنني تحريكها حتى الآن بالمناسبة، ترى هل ينبغي أن أقلق؟ إنها تجعل أصابعي تطير على لوحة المفاتيح، وهكذا استطعت كتابة القصة بهذه السرعة.

ميزة أخرى هي أنني حصلت على الكثير من الوقت للبحث على جوجل. هل علمتم أن ماثيسون هو الاسم الأوسط لآلان تورينج؟ الرجل الذي صنع آلة إنجما لفك شيفرات النازيين –يُعتبر والد تعلم الآلة. أو كما نعرفه الآن، الذكاء الاصطناعي. هاه. فولفجانج الكلاسيكي.

أما بالنسبة إلى شكواكم: نعم، قلت إن سبعة كتاب سيستقلون القطار. لكن ماكتافش لم يكن كاتبًا حقيقيًّا منذ فترة طويلة، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى جولييت وجاسبر، الأمر منطقي. قلت أيضًا إن خمسة سيغادرون القطار أحياءً في نهاية الخط. مرة أخرى، دون احتساب ماكتافش ككاتب، يموت جاسبر في السقوط – نعم، رأيته يمر تحت العجلات (يا إلهي، هو الجثة رقم 10 بالنسبة إليَّ) – وجولييت تغادر في منتصف الطريق. فنتركها كدليل للرياضيين، ما رأيكم؟

أما بالنسبة إلى آرون وسينثيا، فلا يوجد ماض مظلم للإبلاغ عنه هناك. لكن لا يمكنني حذفهما تمامًا من الكتاب، إذ يجب أن يعمل شخص ما على القطار، أليس كذلك؟ لا يمكنني تجاهل وجودهما هكذا.

إذا أراد القارئ اعتبارهما طُعمًا زائفًا بناءً على حقيقة وجودهما دون أن يساهما بشيء في الحبكة، فهذا خطؤه لأنه قرأ الكثير من الكتب التي تحوي منعطفات غير عادلة. لقد قلتُ منذ البداية إنه ليس من نوع الخادم هو الفاعل.

شيء آخر قلته هو إن في كتب كهذه، دائمًا ما تتشابك قضيتان معًا. عمل آندي، على ما يبدو، يزدهر الآن مع تدفق المكالمات بعد أن تبين أن لص الخشخاش كان قاتلًا متسلسلًا. تركته يحتفظ بسرديته الخاصة. حتى إنني أخبرته أنه يمكنه تولي كل وسائل الإعلام – والمهرجانات – هذه المرة.

إذن، بالعودة إلى الخاتمة. أعلم أنكم تنتظرون اللحظة الكبيرة، لحظة لقائي بجولييت. العناق والدموع وركبة واحدة على الأرض (ملاحظة لنفسي: يجب أن أبدأ بتمارين البيلاتس). بالطبع، تحدثتُ أنا وجولييت واعتذرت لها. لكن هناك حدودًا لما يمكنكم فعله عبر مكالمات الفيديو.

من المفترض أن تصل قريبًا. كان الخروج من الزنزانة في أليس سبرينجز أشبه بالخروج من الجحيم، بدايةً، ثم لم تكن هناك رحلات طيران بسبب حرائق الغابات والشرطة والإعلام. لقد استأجرت سيارة، لكنها رحلة تستغرق قرابة خمس عشرة ساعة، ومن الأفضل لسلامتها أن تتوقف لبضع محطات.

ألقيت مزحة بشأن أنها يجب أن تلحق بالقطار. وهو ما لم يلق ترحابًا كثيرًا.

مقصدي هو أن اللقاء الكبير لم يحدث بعد. أعلم أنكم ترغبون ببعض الرومانسية في نهاية الكتاب، لكن كل ما يمكنني قوله هو ما حدث بالفعل، وهو، في الوقت الحالي، لا شيء. يوجد تحسن بالمقارنة بعرض الزواج الأخير، هذا صحيح، لكن هذا لا يعني الكثير.

بالطبع أعرف كيف سأعتذر. جعلتني كتابة كل هذا أفكر في الأمر مليًّا. عندما بدأت، اعتقدت أن هذه القصة تدور حول الإرث. هذا هو السبب الذي يدفع الكتاب إلى تسجيل الأشياء في النهاية. بدءًا من غرور رويس، إلى حقيقة ماجورز، ومبادئ فولفجانج، وغضب ليزا، إلى ذكرياتي. إنه لكي تترك شيئًا خلفك. اعتقدت أن هذا هو معنى الإرث، أن تضع اسمك على شيء ما.

لكن الإرث ليس بصمة يتركها الناس بالحبر. لا يتعلق الأمر بترك بصماتك، بل بتلك البصمات التي تبقى عليك. وفي حالة الكتب، لا يُخلق الإرث من خلال كتابتها، بل من خلال من يأخذونها ويقرأونها، الذين يوسعون ويُثرون وينيرون كلماتك عن طريق تأويلاتهم لها، وكيف يتذكرونها ويعيشونها من منظورهم. إنه الشغف، إنه الدموع.

إنه منتديات الإنترنت، وراعي الجيش22. إنه جولييت وهي تسلم دعوتها لي سرًّا بدلًا من حضورها هي. كان جاسبر مردوخ يعلم أن اسمه هو أقل الأشياء أهمية في عمله، وأنا الآن أعرف ذلك أيضًا. ليس الكتاب كتابًا حتى يُقرأ.

أقول ذلك كله لأنني حظيت بالوقت لفهم ما قالته لي جولييت. لقد سألتني لمن تكون هذه القصة؟

الآن أعرف الإجابة.

تحياتي،

إرنست.

ملاحظة: ذكرناه فألقت الريح به، ها هو شخص يطرق بابي. ربما ستحصلون على خاتمتكم أخيرًا.

الكاتب المساعد

خاتمة

ليس هذا موضعًا للشماتة، لكنني حذرت إرنست مرارًا بأن قواعده الغبية ستؤدي إلى هلاكه.

كم مرة أخبرته أن حياته الواقعية لن تسير كما لو كانت لغزًا في رواية؟ لكن هل يستمع إلى حبيبته؟ بالطبع لا. وهنا الدليل: السرد بضمير المتكلم لا يعني البقاء على قيد الحياة. من البديهي أنك لا تستطيع الكتابة عن موتك، فهذا مستحيل. ولكن يمكن للكتاب أن ينتهي قبل أن تنتهي القصة. قد تصدمك حافلة وأنت في طريقك لتسليم المخطوطة إلى الناشر. أو، كما حدث مع إرنست، يمكن أن تهاجمك امرأة رأيتها تسقط من القطار قبل أربعة أيام، وأنت في غرفتك بالفندق.

لا أعلم كيف استطاعت هارييت العثور عليه، لكن ما أعلمه أن هذا هو السبب الذي جعل هاتش يبقيه منعزلًا، أولًا في القطار، ثم في المستشفى، وأخيرًا في الفندق. للحماية. ويا لها من حماية بائسة. كان العثور على الأجساد أمرًا صعبًا، إذ تمزقت تحت عجلات القطار، لكن سرعان ما أصبح واضحًا أنه، وبسبب مصادفة غريبة فيزيائية وتيارات الهواء، انتهى الأمر بجاسبر فقط تحت العجلات. أخبر هاتش إرنست

أنهم ما زالوا يعثرون على الأشلاء. لم يكن ذلك كذبًا حرفيًّا، لكنه أغفل الجزء الأهم: هارييت.

إذن، نعود إلى غرفة الفندق. سرقت هارييت سيارة، وصلت إلى أديلايد، وطرقت الباب. كان وجهها مغطى بطبقات من الدماء والأوساخ، سنَّان مفقودتان، وذراع تتدلى من كتفها وكأنها شراع خامل في يوم هادئ. لكن الذراع الأخرى كانت تعمل بشكل جيد. جيد بما يكفي للإمساك بالسكين التي أحضرتها معها. جيد بما يكفي لطعن إرنست مباشرة في بطنه.

سواء كان ذلك قدرًا أو مجرد توقيت معجزة، وصلتُ لأجد باب الغرفة مفتوحًا وفوضى تعم الداخل. كانت هارييت فوق إرن، ذراعها الميتة تتأرجح كخرطوم فيل، والأخرى مرفوعة لتطعن مجددًا، تصرخ بأن إرن قد سلب منها جاسبر. لم يسبق أن ضربت أحدًا من قبل، ودهشتُ من السرعة التي أطحتها بها. كسرتُ أيضًا أربعة من عظام يدي. هذا النوع من التفاصيل لا يذكرونه في الروايات.

بالمناسبة، إرن لم يمت. وصلت إليه في الوقت المناسب. أردت فقط أن أوضح نقطة. ورغم أن الأمر يبدو طفوليًّا قليلًا أن أستغل حالته وهو مثقل بالمخدرات ومعه لتران من دم شخص آخر، فإنه كان يجب عليه التفكير مرتين قبل أن يتهمني بالقتل.

وهكذا ينتهي الأمر فعلًا. إرن الآن مستيقظ ويتحدث، لكنه طلب مني أن أكتب هذا الفصل بدلًا منه، لألخص كل شيء. قمت أيضًا بتحديث قائمة الأسماء الخاصة به. حققت هارييت رقمًا واضحًا: 106 (مع أن خمسة من تلك الأسماء تعود لي)، إذا كنت تتابع الإحصاء.

شيء أخير. ليست التتمات دائمًا خيبة أمل، كما تعلم. أحيانًا تكون المحاولة الثانية هي الفرصة التي تحتاج إليها لتصحيح الأخطاء التي

ارتكبتها في المرة الأولى. أو لتطرح سؤالًا معينًا مرتين. بالمناسبة، قلت نعم في المرة الثانية، هذا ما أحاول قوله.

والسبب بسيط جدًّا. أعتقد أنه السبب نفسه الذي جعله يطلب مني كتابة هذه الخاتمة.

أخبرني إرنست أخيرًا لمن هذه القصة: إنها قصتنا.

ملاحظة المؤلف
أو
اعتذار لخبراء السكك الحديد

سيلاحظ أولئك الذين لديهم دراية بالقطارات أنني أجريت بعض التعديلات المتعمدة على قطار الغان الحقيقي لدواعي الحبكة. من أبرز هذه التعديلات أن قطار الغان لا يحوي منصة للتدخين، كما أنني نقلت عربة الرئيس من قطار مختلف تمامًا. أرجو أن يتسع تفهمكم لعدم دقتي ليشمل أيضًا مدى إجرامية الركاب ووصفي لقلة الراحة عبر الرحلة.

أود أن أعبر عن امتناني العميق للعاملين الاستثنائيين في القطار، الذين لم يبلغوا الشرطة ولو لمرة واحدة في أثناء استفساراتي حول مدى واقعية جرائم القتل المختلفة.